فضل الحضارة العربية
على الحضارة الحديثة

تأليف

د . طه عبد العزيز الخطيب
مدرس التاريخ الإسلامي
بجامعة الأزهر

د . عبد المعز فضل عبد الرازق
مدرس التاريخ الإسلامي
بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

آل عمران: ١١٠

مُقدِّمَة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي علّم الأمم ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .

أما بعد ،،،

فإن الحضارة الإسلامية تميزت دون غيرها من الحضارات بكونها ربانية المصدر والغاية ، عالمية الوجهة ، وإنسانية المنطلق وسطية المنهج ، أخلاقية المحتوى ، إيجابية البناء ، ترتبط بالأصل وتتصل بالعصر ، واقعية بلا تسيب ، صادقة بلا تضخيم ، متنوعة بلا تضاد ، متطورة بلا جمود ، قوية بالحق بلا تهور .

واستطاعت هذه الحضارة أن ترتقي بالبشرية في التفكير والسلوك ، وصاغت أتباعها صياغة قرآنية فريدة ، فارتفعت راية الحضارة الإسلامية على كثير من البقاع ، وامتدت إلى كثير من المواقع ، بصورة معجزة قلّ أن تتكرر في تاريخ الحضارات .

ومنذ تم للنبي ﷺ تأسيس دولة الإسلام ، حملت هذه الدولة مشاعل الحضارة ، ورفعت لواء الزعامة عبر عصورها التاريخية ، وكان لها تاريخ حافل ، ولأعلامها أثر بعيد ، حتى غدت دولة الإسلام قبلة الأنام ، وغرة في جبين الزمان ، ومنبعا للعلوم ، ومنارةً للمعارف والآداب ، ومقصداً للعلماء والطلاب من شتى البقاع والأوطان .

وآية العظمة في الحضارة الإسلامية إسهام كل العقول الإسلامية فيها على اختلاف الأجناس والعناصر واللغات والبيئات والرسالات السماوية ، واستمداد مفاهيمها من القرآن والسنة النبوية في المقام الأول ، ونبذ العنصرية البغيضة التي تفرق بين الأجناس والأعراق .

وكذلك أسهمت كل العناصر التي دخلت في الإسلام ــ على امتداد الرقعة الجغرافية الإسلامية ــ في إقامة النظام الإسلامي ، ووصلت إلى

مكان القيادة والصدارة ومن أجل هذا تعددت مراكز الحضارة الإسلامية ، وتنافست بلاد وعواصم ، فكانت : " دمشق وبغداد والفسطاط ثم القاهرة وقرطبة والبصرة والكوفة والقيروان وفاس وغرناطه ... " كلها مراكز للحضارة وتنقّل العلماء بين عواصم الإسلام ، وذهب رحالتهم من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق بجنسية وهوية واحدة " الإسلام " .

واستطاع الإسلام ــ لأول مرة في تاريخ الرسالات ــ أن يقيم الجوامع الخمسة التي حققت الانتماء الجامع للجماعة المؤمنة في : " العقيدة .. والشريعة .. والحضارة .. والأمة .. ودار السلام " .

هذا فضلاً عن أن علماء الإسلام وقفوا على تراث الحضارة اليونانية ، والرومانية ــ وغيرها ، ولم يجدوا غضاضة فى تدعيم حضارتهم بخير ما وجدوه من هذا التراث فى مجالاته المختلفة .

على أنه لم يقلل من شأن الحضارة الإسلامية أنها أفادت من تراث الأمم السابقة .

ولا يعيب أى أمة أن تفيد من تجارب أمة أخرى .

والأمة التى تتولى عن ماضيها المجيد ــ لا تستطيع السير فى ركب الحضارة الحديثة .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ محمد: ٣٨

المؤلفان

القاهرة فى :

رمضان المبارك ١٤٣٠هـ

أغسطـــــس ٢٠٠٩م

الفصل الأول[١]

الحضارة الإسلامية

(١) بقلم د / عبد المعز فضل عبد الرازق .

الحضارة الإسـلامية

تعريف الحضارة :

الحضارة تعني في اللغة : الإقامة في الحَضَرِ ، والحضارة خلاف البادية ، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ، ومساكن الديار التي يكون لهم بها استقرار ، وفي المدن والقرى نوع من الحياة يتميز بنوع من المدنية والاستقرار والتقدم ، واستخدام وسائل الإنتاج والابتكار لتيسير أمور الحياة ، خلاف ما عليه الحياة في البادية ، حيث الحياة فيها أقرب إلى الفطرة والبساطة ، وما كان عليه بدء الحياة البشرية (١) . وهم المقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد (٢) ، والحضر هم المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم .. والبدو أصل للمدن والحضر ، وسابق عليهما ، لأن أول مطالب الإنسان الضروري ، ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلاً(٣).

ويقول صاحب تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي (٤) : "فالحضارة إذن هي : مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكريِ والعقلي من عمران وعلوم ومعارف وفنون وما إلى

---

(١) انظر للمزيد : القاموس المحيط ، للفيروز أبادى ، ج ٢ ، ص ١٠ ، المطبعة الحسينية ، ١٣٣٠هـ ، مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، ص ١٥٧ ، طبع وزارة التربية والتعليم ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ص ١٢١ ، دار القلم ، بيروت ، د . ت .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٢٢ .

(٤) د / أبو زيد شلبي (رحمه الله) استاذ الحضارة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر .

ذلك ، والترقي بها في مدارك الحياة ومسالكها حتى تصل إلى الغاية التي تواتيها بها أحوالها وإمكانياتها المختلفة " (١) .

والحضارة في إصطلاح المعاصرين ، منهم من يرى أنها نوع من الخبرة والمعرفة يستخدمها الإنسان في مختلف أنشطة الحياة ، ومنهم من يرى أنها تعني التقدم المادي والصناعي والزراعي الذي يستخدمه الإنسان في رقي حياته ، مما يعني أن الحضارة تختص بالتقدم المادي الخارج عن ذات الإنسان والذي يستخدمه في رقي حياته وتطويرها ، مثل المخترعات والآلات ، وكل ما يشتمله التقدم المادي (٢) ، ولعل هذا هو التفسير لما ذهب إليه صاحب موسوعة " قصة الحضارة " (٣) ، بقوله : " الحضارة نظام إجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من انتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة : الموارد الإقتصادية، والنظم السياسية ، والتقاليد الخلقية ، ومتابعة العلوم والفنون ، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق " (٤) .

الحضارة في المفهوم الإسلامي :

وفي الفكر الإسلامي " الحضارة ما هي إلا جهود فكرية وعملية متعددة قدمتها أجيال بشرية متتالية ، تشتمل القيم الإنسانية التي تتصل بداخل الإنسان ذاته من حيث الرقي الروحي والعقلي والخلقي ، وتشمل كل تقدم بشرى ناتـــج عن النظر والتجربة والتفكر والعمل في إطار

---

(١) ص ٧ ، مكتبة وهبة ، الطبعة السادسة ، القاهرة د . ت .
(٢) د / شوكت محمد عليان ، دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص ٩ ، الطبعة الأولى ، دار الشواف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
(٣) ول ديورانت : مؤرخ انجليزي في التراث الشرقي .
(٤) ج ١ ، ص ٣ ، طبع هيئة الكتاب المصرية ، ترجمة د / زكي نجيب محمود، ومحمد بدران ، ضمن مطبوعات مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

القيم الإسلامية التي نقلت عن رسول الله ﷺ ، وعليه فالحضارة إن استُعْمِلَت في نفع الناس ولم تتعارض مع قيم الإسلام وتعاليمه فهي حق يؤخذ به بعين الاعتبار ، وإن خالفت ذلك أو استعملت في غير أهداف الإسلام وتعاليمه فهي باطل لا يجوز الأخذ بها .

والحقيقة أن التفرقة في مفهوم الحضارة بين القيم الروحية والتقدم المادي في فكرة أوروبا النصرانية ، حيث تفرق الكنيسة بين ما هو روح ومعنى وفكر ، وما هو مادة وجسد ، وترى أن ارتقاء الروح وقيمها لا يتم إلا على حساب إهمال الجسد والمادة ، ومن ثم كانت ولا تزال الرهبانية عندهم .

والإسلام يرفض أصلاً هذه التفرقة ، ولا يقيم لها وزنًا ، فهو ينظر للإنسان وكل ما يتصل به من معرفة وسلوك ، وكل ما يعيش فيه من نظم مادية ، وقيم معنوية كوحدة متكاملة ، وليس هناك من سبيل إلى فصل أجزائها ، لأن التقدم الروحي يؤثر هو الآخر في المادة ، فليس الإنسان في حياته الدنيا مجرد روح لا تتأثر بالجسد ، فالصلاة وإن كانت عملاً يشترك فيه الجسد والروح ، والصيام والحج وغير ذلك من العبادات لا تتم إلا باشتراك الروح والجسد معًا ، ومن هنا قرر الرسول ﷺ " إنما الأعمال بالنيات " (١) ، " فالعمل للجسد والمادة والجوارح ، والنية في القلب والروح ، ولا انفصال بينهما على وجه الاطلاق في أي عمل إسلامي " ومن هنا نستطيع أن نقول باطمئنان إن: "الإسلام هو الحضارة" (٢) .

---

(١) ــ الحديث ــ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رواه الخمسة .

(٢) انظر : د / شوكت محمد ، المرجع السابق ، ص ٩ ، ١٠ ، محمد قطب : واقعنا المعاصر ، ص ١٠٠ ــ ١١٢ ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة المدينة ، جدة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

وتؤمن هذه الحضارة بالشمولية والعمق فهي : " إرث مشترك بين جميع الشعوب والأمم التي انضوت تحت لوائها ، وشاركت في بنائها ، وأسهمت في عطائها ، وهي الشعوب والأمم التي كونت وشائج الأمة الإسلامية ونسيجها المُحْكم [١] " .

خصائص وروح الحضارة الإسلامية :

استطاع الإسلام أن يحقق الائتلاف بين الإنسان وأمته ومجتمعه والكون حوله ، و" لقد كانت الصناعة الثقيلة التي بدأت الدعوة الإسلامية فأقامتها ، منذ المرحلة المكية ، هي صناعة الصياغة الإسلامية للإنسان الذي تدين بدين الإسلام .

وكانت " دار الأرقم بن أبى الأرقم " ــ في مرحلة الدعوة السرية ــ هي أولى المؤسسات التربوية التي أقامها الرسول ﷺ ، وقبل فتح المسلمين للمدائن والأمصار والأقطار ، وقبل إقامة الدولة .. وتغيير الواقع .. وتطبيق القانون .. وبلورة العلاقات الدولية .. كان الفتح الإسلامي للقلوب والعقول بهدى القرآن الكريم ، ذالك الذي أصبح خلق سلوك وممارسات ، وسجية للحياة التي يحياها المسلمون .. بل إن أولى المدن التي فتحها المسلمون قبل الهجرة وإقامة الدولة ــ وهي المدينة المنورة ــ قد فتحها المسلمون بالقرآن الكريم .

وبعد إنجاز الصياغة الإسلامية بالتربية للإنسان جاءت كل الإنجازات والفتوحات وفي ميادين الحضارة وعلومها والثقافة وآدابها

---

(١) د / عبد العزيز بن عثمان التويجرى : التسامح في الحضارة الإسلامية ، بحث (التفاعل المتبادل والتواصل بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى ، ص ٨٧ من مجموعة أبحاث المؤتمر ١٦ للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، طبع المجلس القاهرة ، ١٤٢٥ / ٢٠٠٤م .

وفنونها .. فكانت تجسيدًا لهذا الذي سبق وتم إنجازه في نفس الإنسان ، وجاءت جميعها مصاغة بمعايير الإسلام ، التي سبق وصاغت نفوس وعقول وقلوب الذين اهتدوا بهدى الإسلام (١) .

خصائص الحضارة الإسلامية :

وحيث إن للحضارة الإسلامية أسسها الثابتة غير القابلة للتغيير أو التبديل كالقرآن الكريم والسنة النبوية واللغة العربية ، كان من المنطق أن يكون لها خصائص تتميز بها عن غيرها من الحضارات ، منها :

١ ــ أن أساس ما ترتكز عليه الحضارة الإسلامية في جوهرها وأصلها هو " **الوحي الإلهي** " ، فهي ليست بشرية الطابع ، فمصدرها الله تبارك وتعالى ، وكل المعارف تحكم بالقيم المنزلة من عند الله تبارك وتعالى، ولا وزن لأمور عن غير هذا المصدر (٢) .

٢ ــ أنها حضارة تتميز " **بالمنهاج التربوي الشامل** " ، فإن الإسلام يتميز بأنه فجر حضارة ، وصاغ مدنية ، وأثمر اجتماعًا إنسانيًا وجعل الإنسان يبدع الحضارة المصطبغة بصبغة الدين .. لقد حقق الدين الإسلامي الائتلاف والتوازن والأمن في نفس المسلم، فجاء الابداع الحضاري له ، ثمرة مجسدة لما أحدثه الدين في نفس المسلم (٣) .

٣ ــ أنها حضارة " **تربط الناس بخالقهم** " ، فإن الإسلام قد كفى الإنسان التفكير فيما سوى العالم المادي من الأمور الغيبية ، فقد جاء

---

(١) د / محمد عمارة : في فقه الحضارة الإسلامية ، ص ١٠٧ ، طبع مكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

(٢) د / شوكت عليان : المرجع السابق ص ١٩ ، ٢٢ ، د / أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٣٧ .

(٣) د : محمد عمارة : المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

الوحي ببيانها ، وفي هذا توفير لكثير من طاقات العقل البشري التي صرفها في مجال "الميتافيزيقيا " ، ولذا فإن قدرات الإنسان واستعداداته في المنظور الإسلامي ، ينبغي أن تتوجه إلى العالم المادي ، تكشف القوانين التي تحكمه وتستغل طاقاته بما ترقى به الحياة ، وفي نفس الوقت تربط تقدمها وعروجها نحو الأفضل بخالق هذا الكون ومدبر أمره ، المانح الحقيقي للحياة (١) .

٤ ـ أنها حضارة **"تكرم الإنسان لإنسانيته"** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾(٢) فهي دعوة تخاطب عموم البشر ، فكلهم لآدم، وآدم من تراب، وبالتالي أوجب الله للإنسان التكريم ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ (٣) وبالتالي فقد أوجب الله على الإنسان أن يتحمل المسئولية في بناء المجتمع الإنساني ، وأن يشارك في إعمار الأرض ، وأن يسمو بنفسه على العالم المادي ، خصوصًا وقد سخر الله تعالى الطبيعة للإنسان لنفعه وخيره لذلك فالعناية بالإنسان في الحضارة الإسلامية كل متكامل ، جسدًا وروحًا ، وغريزة وعقلاً ، وحاجات عضوية ، وعواطف وأخلاقًا ، فالحضارة الإسلامية تبعًا لذلك حضارة الأمن والطمأنينة، حضارة السعادة في الدنيا والآخرة (٤) .

---

(١) د / محمد عبد الستار نصار : الإسلام رؤية حضارية ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، العدد (٥١) من سلسلة قضايا إسلامية عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٤٣٠هـ / ١٩٩٩م .
(٢) سورة الحجرات : (١٣) .
(٣) سورة الإسراء : (٧٠) .
(٤) انظر : د / شوكت عليان : مرجع سابق ، ص ٢١ .

٥ ــ أنها حضارة **الابتكار والاستقلال** ، فقد كانت الحضارة الإسلامية ولطالما كانت هدفًا لأقوال المتقولين ، وجحد الجاحدين ، بغية ألا يكون للإسلام والمسلمين فضل على رواد الحضارة الحديثة ، لكن الحقيقة أن الحضارة الإسلامية لم تكن تقليدًا لحضارة من الحضارات ، ولكنها امتصت عصارة الحضارات السابقة وصهرتها في بوتقة الفكر الإسلامي بكل مميزاته وخصائصه ، ثم شاهدت ولاحظت ، ثم جربت وطورت ، بحيث اكتسبت صفة الذاتية والأصالة والابتكار والاستقلال ، وذلك بإضافتها الكثير والكثير في ميادين العلوم والمعارف الإسلامية المختلفة ، فكانت بذلك صاحبة الفضل على الحضارة المعاصرة التي اتخذت من حضارة الإسلام أساسيات لتطورها، إذ لولاها لبدأت من حيث بدأ علماء المسلمين نشاطهم في القرن السابع الميلادي [١] ، وعليه فقد تميزت الحضارة الإسلامية بإفراز حضاري ، وبناء ثقافي مبتكر ومستقل، مع التميز بالتوازن والانسجام في مصادر المعرفة الإنسانية[٢]، وكان من مظاهر ذلك العطاء والابداع ، ما انتجته تلك الحضارة في : المبتكرات العلمية ، والبدائع الفنية التي انتجتها اليد الإسلامية الماهرة ، من بناء المدن والقصور والجوامع والمدارس والجامعات إلى الفنون والحرف والصناعات ، وفي مجال النظم الإسلامية المختلفة مثل : النظم الدينية في المعاملات ، والنظم المالية والاقتصادية ، والنظم الثقافية ، والنظم العسكرية ، والنظم الإدارية ، والنظم القضائية ، والنظم السياسية، والنظم الاجتماعية ، وكذلك العطاء في مجال المبادىء التي قدمها الإسلام كالدعوة إلى تكريم الإنسان وانقاذه من الرق والعبودية والضلال ، وكذلك السجايا الحميدة ، والأخلاق الفاضلة ، كإشاعة المحبة بين الناس ، والدعوة إلى الإيثار والتضحية ، ونبذ البغض

---

(١) انظر : د / عبد الله الدفّاع : لمحات من تاريخ الحضارة العربية ، ص ١٢ .
(٢) انظر : د / محمد عمارة : في فقه الحضارة الإسلامية ، ص ١١٠ ، ١١١ .

والفحش والحقد والتحاسد ، والنهي عن الترف والظلم والاعتداء [١] .

٦ ــ أنها حضارة تتميز **بالتكامل** ، فلا تقتصر على جانب من الجوانب في مجال الحياة ، أو تشبع جانبًا على حساب الأخر ، وإذا كانت كذلك لما استطاعت اشباع الطبائع الإنسانية وارواء نزعاته الفطرية والغريزية بضوابط شرعية ، ولما حافظت على التوازن الذي أراده الله لها تبارك وتعالى ، فالدعوة إلى الإيمان مقرونة بالدعوة إلى العلم ، والدعوة إلى العبادة مقترنة بالدعوة إلى العمل ، والدعوة إلى الفكر ، والتأمل مقترنة بالدعوة إلى تنمية الروح والوجدان ، والدعوة إلى الغاية مقترنة بالدعوة إلى الوسيلة ، تلك هي الحضارة الإسلامية[٢].

٧ ــ أنها حضارة **تربط الابداع الحضاري بالثواب الأخروي** ،فإن الإسلام يبعث في الحياة الأمل والطمأنينة والإشراق ، لكي يعمرها الإنسان بالخير ، وأن كفاحه فيها إذا كان كذلك ، فإنها ستكون مرقاة إلى حياة أخلد وأدوم ، يجني فيها ثمرة ما قدم ، وما أروع ذلك البيان الإلهي الذي يربط بين الدنيا ودرجة الكفاح فيها ونوعية ذلك الكفاح ، وبما يمكن أن يكون للإنسان في حياة الخلود فقال تعالى ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾[٣] هذا في الجانب السلبي ، أما في الجانب الإيجابي فيقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴾[٤] فالإسلام في

---

(١) انظر : د / عبد الله الدفاع : المرجع السابق ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، د / شوكت عليان : دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص ٢٢ .
(٢) انظر : د / راغب السرجاني : العلم وبناء الأمم ، ص ٨ ، ٩١ ، د / شوكت عليان : المرجع السابق ، ص ٢٣ .
(٣) سورة الإسراء : (٧٢) .
(٤) سورة الكهف : (١٠٧ ، ١٠٨) .

حضارته يقرر أن الإنسان لم يخلق عبثًا ، وأن له يومًا سيرجع فيه إلى الله تعالى ليحاسب على ما قدم ، وبذلك يحيا المسلم مترقبًا موقف البعث والنشور والحساب والجزاء ، فتنشط مشاعره الأخلاقية ، ويعطي لأفعاله معنى أخلاقيًا ، بها تزدهر الحياة وتعمر بالخير ، ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾[١] إن هذا التصوير يربط الإنسان في الحضارة الإسلامية بربه جل وعلا [٢] ، ويجعل إبداعه الحضاري مرتبط بأهداف أخروية ، تجعله يبدع الخير وينشط للعطاء مع الضوابط والقيم الإسلامية .

أسباب تراجع الحضارة الإسلامية :

واقع الحضارة والعالم الإسلامي اليوم يفصح عن نفسه ، ولا يحتاج إلى إجتهاد ولتبيان ما آل إليه [٣] ، والقريب والبعيد يدرك أن ما نزل بالمجتمع الإسلامي في حضارته وثقافته ليس إلا أمرًا آتيا من إنحراف عن الأصل ، وانقلاب عن الوضع ، وانقلاب عن العامل التربوي ، مما أصاب الحضارة والثقافة بعزلة عن طريق الاستمداد من الإسلام، ومتين الاعتماد عليه، حتى مال عمادها، واضطربت أوتادها[٤] والواقع الذي لا ينكره كل ذي عقل سليم أن المسلمين لم يتخلفوا عن ركب العالم الحضاري إلا نتيجة تركهم الدين ، وعدم تمسكهم بتعاليمه وإعطاء المجال للحضارة الغربية أن تغزو قلوبهم ، وتحتل أذهانهم

---

(١) سورة المؤمنون : (١١٥ ، ١١٦) .
(٢) د / محمد عبد الستار : الإسلام رؤية حضارية ، ص ٤٩ .
(٣) د / محمد عبد الستار : نفس المرجع ، ص ٨٣ .
(٤) د / محمد عمارة : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

وتوجه أفكارهم ، ولو أن هذا النفر من الناس نظر إلى حقيقة الشريعة الإسلامية ، وإلى الواقع التاريخي للإسلام ، بعيدًا عن الأهواء والنحل ، لما رأى أدنى صراع بين العلم والدين ، بل إن العكس هو المطابق للحقيقة والواقع (١) .

إن الحضارات الأولى والسابقة عن الإسلام نذكرها كينابيع أولى للحضارة الإسلامية من باب الأمانة العلمية والاعتراف بالحق والانصاف ، لكن هذه الحضارات كانت فجة تحتاج إلى كثير من النضج الفكري ، والثبات التجريبي ، والضوابط الأخلاقية ، وجاءت الحضارة الإسلامية مختلفة عن الحضارات السابقة في الحياة والنظم والخبرات الكثيرة والتجارب العلمية الواسعة ، وكيفية استعمالها لوسائل الحياة بالعلم والتبصر والمعرفة والحق ، لقد جاء المسلمون فهذبوا ورفضوا وأضافوا ، ثم أنضجوا وشيدوا فوق الأساسيات بناءً عظيمًا حتى صار صرحًا شامخًا حضاريًا باهرًا ، تقدمت على أساسه البشرية ردحًا من الزمن ، ومازادت المدنية الحديثة إلا بـلمخترعات التي تمثل تكنولوجيا العصر ، التي لم تنشأ أصلاً من فراغ ، ولم توجد من العدم ، بل تأسست على ما حصّله المسلمون من معارف وعلوم وفنون في مختلف المجالات ، فكانت اسهامًا في إعلاء الصرح الحضاري الإسلامي،حين تسلمه الغرب من المسلمين ، من رصيد مزخور أسسوا عليه حضارتهم المعاصرة وهي سنة التداول بين الأمم في تاريخ الكون والحياة ، على

---

(١) انظر د / شوكت عليان : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، د / محمد عمارة : المرجع السابق ، ص ١٠٩ ، ١١٠ ، د / راغب السرجاني : المرجع السابق، ص ٨ ــ ١٦ ، ص ٩١ وما بعدها ، د / محمود حمدي زقزوق : هموم الأمة الإسلامية ، ص ١٩ ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب (ضمن فعاليات مكتبة الأسرة) ، القاهرة ، ٢٠٠١م.

إن المد الحضاري الإسلامي لم يتوقف ، ولم يستمر نموه وتطوره إلا بفعل الغارة على المسلمين ، وإجهادهم في الحروب ، واغتصاب ممتلكاتهم ، واحتلال ممالكهم ، واشغالهم بالحروب قرونًا طويلة ، حتى توقف النهوض الفكري ، وانتهي إلى ما صار إليه من كلال وإجهاد أعجزه عن التحليق في سماء العلم والنور والمعرفة (١) .

ولكن الخلل الذي حدث لم يحدث في ذات الإسلام ، وإنما في عقيدة المسلم الذي انكمشت لدية الإرادة الاعتقادية البنّاءة للحضارة ، وغربته الحضارية الدينية ، وتفكيك الدين عن الدنيا ... إن الإرادة الاعتقادية التي خارت وضعفت ، فأصبحت الأوضاع الاجتماعية ، والأثار المدنية تصدر عن غيرها كانت تصدر عنه ، فصارت هي في واد ، والعقيدة الدينية في وادٍ، وبقى المسلم وفيًا لعقيدته الدينية ، غيورًا عليها من جهة ثانية ، متقبلاً لحياته العملية ، مطمئنًا إلى واقعها من جهة أخرى ، حتى أصبح المبدأ النظرى والواقع العملي عنده متباينين .. وتولدت من ذلك نظرية تفكيك الدين عن الدنيا ، بإعتبار أن الدين خيرٌ غير واقع ، والدنيا شر واقع ، وأن العبد المسلم يحمل بين جنبيه دينًا لا يؤثر فيه إلا لمامًا ، ويعيش في دنيا لا يعرف فيها إلا كل ما يبعد به عن الدين .. ثم هجمت عليه في حياته العملية مدنيات أجنبية عنه فيها العلم ، وفيها الصناعة ، وفيها القوة ، وفيها الحكمة ، فلم يجد من إرادته الدينية ما يتناول به هذه المدنية ، كما تناول المدنيات التي احتك

---

(١) انظر : د / يوسف القرضاوى : تاريخنا المفترى عليه ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م ، د / عبد الله الدفاع : المرجع السابق ، ص ١٥٩ ، د / أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٣٧٥ ــ ٣٧٩ ، د / راغب السرجانى : المرجع السابق ، ص ٤٢٩ وما بعدها .

بها من قبل ، يوم كانت ارادته الدينية قوية سليمة ، فوقف أمامها جامدًا، واعتبرها من جملة صور الحياة التي كان من قبل آمن بانفكاكها عن الدين"[١].

ولم يزدد المسلمون إلا ضعفًا ، ولم تزدد أخلاقهم على مرِّ الأيام إلا انحطاط وتدهورًا ، ولا أحوالهم إلا فسادًا ، حتى أصبحوا في فجر القرن الرابع عشر الهجري أمة جوفاء ، لا روح فيها ولا دم ، وصاروا كصرح عظيم من خشب منخور قائم كدوحة قد تآكلت جذورها ، ونخر جذعها العظيم ولم تنقلع بعد ، وأصبحت الأمة مالاً سائبًا لا مانع له ، وأصبحت دولهم فريسة لكل مفترس ، وطعمة لكل آكل [٢] .

لقد كانت هناك مخططات مدروسة ومقصورة على نية القضاء على الحضارة الإسلامية ، في نفس الوقت ضمان تفوق النهضة الأوربية وأدركت الأمم الأوربية ضرورة تدمير العقل الإسلامي الناهض ــ إذ أن الحضارة الإسلامية ترتبط بالنهضة العلمية والفكرية ــ وسرقة معارفه ونقل آثاره من أهم الوسائل في القضاء على تلك الحضارة ، وكانت وسائل الغرب في ذلك :

أ ــ **إنهاء وسحق واستئصال الوجود الإسلامي** في المغرب العربي في بلاد الأندلس ، التي حملت الحضارة الإسلامية ، وبهرت طلاب العلم الأوربيين وحكام الغرب وعلماء أوربا قرونًا من الزمان[٣].

(١) د / محمد عمارة : المرجع السابق ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) انظر : أبو الحسن الندوى الحسيني : المد والجزر في تاريخ الإسلام ، ص ٥١ ، الطبعة الأولى ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٤١٦هــ / ١٩٩٥م .

(٣) انظر د / راغب السرجاني : العلم ودوروه في بناء الأمم ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١، د / عبد الله الدفاع : لمحات من تاريخ الحضارة العربية ، ص ١٦٠ .

ب ـ **الحروب الصليبية** في المشرق الإسلامي التي كان من نتائجها احتلال الأرض والمعاقل الإسلامية ، وقد استوعبت هذه الغارات والحروب زهاء قرون متتالية نُقِلَ في أثنائها مؤلفات العرب والمسلمين إلى الغرب ، حتى امتد الاستيلاء ، بحيث شمل نقل الآثار القديمة للشعوب الإسلامية قبل الإسلام (١) .

واستهدفت هذه الحركة بسط النفوذ الأوربي المسيحي على الشرق الإسلامي ، مستخدمة الشعور الديني والقوة العسكرية في سبيل الوصول إلى أهدافها ، وتجلت أحقاد الصليبية في حروب الإبادة على الإسلام والمسلمين في الأندلس ، واستخدام كل الوسائل في تحقيق أهدافهم نحو القضاء على الإسلام والمسلمين ، واستباحوا كل شئ فهدموا المساجد، أو حولوها إلى كنائس ، وأُحرقت مكتبات المسلمين ، بل لقد أُحرقت الشعوب الإسلامية نفسها (٢) ، مؤكدين قوله تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ (٤) ، وخلصت الحروب الصليبية إلى عدم إمكانية القضاء على الإسلام والمسلمين من خلال المواجهة العسكرية ، بل الأجدى كما جاء في وصيته لويس التاسع (قائد الحملة الصليبية التاسعة ـ الذي أسر في دار ابن لقمان) .في وثيقة محفوظة

---

(١) د / عبد الله الدفاع : المرجع السابق ، ص ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) انظر د / محمد السيد محمد يوسف : التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، الطبعة الأولى ، دار السلام ، القاهرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، وانظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٩٦٦ ، وتفسير الآية ٨٢ من سورة المائدة ، محمد قطب : واقعنا المعاصر ، ص ١٩٠ . مؤسسة المدينة ط ثالثة ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .

(٣) سورة البقرة : (١٢٠) .

(٤) سورة البقرة : (٢١٧) .

بدار الوثائق القومية بباريس : " إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب ، وإنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة بإتباع ما يلي :

١ ــ إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين ، وإذا حدثت فليُعمل على توسيع شقتها ما أمكن ، حتى يكون هذا الخلاف عاملاً على إضعاف المسلمين .

٢ ــ عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية من أن يقوم فيها حكم صالح .

٣ ــ إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء حتى تنفصل القاعدة عن القمة .

٤ ــ الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه يضحي في سبيل مبادئه .

٥ــ ــ العمل على الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة .

٦ ــ العمل على قيام دولة غربية في المنطقة العربية تمتد ما بين غزة جنوبًا ، وأنطاكية شمالاً ، ثم تتجه شرقًا وتمتد حتى تصل إلى الغرب " (١) .

جــ ــ ما كان في أثناء ذلك من **غزو المغول لبلاد المسلمين** ، وتخريب ديارها وحضارتها ، ومأساة نهب المقومات وانتهاك الحرمات

---

(١) انظر : د / محمد السيد محمد : المرجع السابق ، ص ١٣٨ ، نقلاً عن جلال العالم : قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله ، ص ٦٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٤٠٥هــ / ١٩٨٥م ، وانظر : أنور الجندي : المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر ، ص ١٩٥ ، دار الاعتصام ، القاهرة ١٩٨٢م .

في وحشية تقشعر منها الأبدان ، ولا يخفي مأساة إحراق المكتبات الإسلامية ، حتى جعلوها جسرًا لعبور المارة عليه في نهر دجلة مما أضاع الكثير من المؤلفات الإسلامية العلمية هباءً دون مراعاة لاحترام هذا التراث التي يعتبر مدادًا لنمو الحياة وأسعادها ، ولقد كانت مأساة المسلمين مع التتار عجيبة ، عجيبة في أرقام كل ما حدث ، في أعداد القتلى ، وأعداد الجيوش ، والمدن المنهارة ، ومساحات البلاد المحتلة ، والخيانات وأسلوبها ، وكأن قصدهم إفناء النوع أو إبادة النوع ، وهدم الحضارات ، وتخريب وتدمير المدنيات(١).

---

(١) انظر : د / راغب السرجاني : قصة التتار ، ص ٧ ، ١٧ ، الطبعة الأولى مؤسسة إقرأ ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، د / عبد الله الدفاع: المرجع السابق ، ص ١٦١ .

والمغول قوم في صحراء منغوليا يشبهون الترك في اللغة والمظهر العام عاشوا في شظف من العيش يعملون في الصيد والرعي، وكثر بينهم النزاع وتكررت إغارتهم على المناطق الخصبة المجاورة وبرز في هذه القبائل شاب اسمه تموجين، الذي استطاع توحيد كل قبائل الصحراء ووضع لهم نظاما ودستور حربي صارم أسسه الطاعة العمياء للسلطان ثم سمى نفسه جنكيزخان ومعناها (إمبراطور البشر وأعظم حكام الأرض) ثم توسع في معظم بلاد الصين، واتجه نحو البلاد الإسلامية فاستولى على بلاد الدولة الخوارزمية، في تركستان وقتل ملكها جلال الدين منكوبرتي، ولقيت بخاري وسمرقند وغيرها من المراكز الإسلامية أشنع ألوان الدمار، ثم مات جنكيزخان، وتولى بعده إبنه هولاكو الذي استولى على إيران ثم اتجه إلى العراق وطلب من الخليفة الخروج من بغداد، والتسليم، ثم قتله هو وجنوده، وفي اليوم التالي أباح بغداد لجنوده فعاثوا فيها فسادا، وانتشروا في أحيائها يقتلون وينهبون أموالهم، ولم يسلم أحد إلا من كان في الآبار، والقنوات، والقبور، وكان القتلى في الأسواق والدروب كالتلال، واستمر القتل والنهب أربعين يوما. ثم نودى بالأمان فخرج من تخلف، وقد تغيرت ألوانهم، وزهلت عقولهم، وهم كالموتى إذا خرجوا من القبور يوم النشور، وكان الوالد لا يعرف ولده، والأخ لا يعرف أخاه، وأخذهم الوباء فتلاحقوا بمن سبقهم من القتل»(أ)

وبهذا القتل كسفت شمس الخلاقة العباسية من بغداد بعد أن مكثت مشرقه ٥٢٤ سنة .

=

وما يعنينا في عمليات الإبادة هذه ، هو ما يتم حاليًا من محاولات دائبة متواكبة في كافة القارات لمحاصرة الإسلام وإبادته بصورة لا تخطئها العين.. وإن كانت الغارة على الإسلام قد بدأت منذ بداية انتشاره ... فإن ما يدور حاليًا من محاصرة الإسلام على الصعيد العالمي إنما هو عود على بدء لم يتوقف .. وإنما هي عملية إبادة للإسلام برمته أينما كان ، وإبادة لا رحمة فيها للشعوب والحضارة

= أما بغداد دار الخلافة وعاصمة الملك فقد جرى عليها ما جرى على سواها من أمهات المدن الإسلامية، فقتل معظم أهلها، وقليل منهم من نجا، واستبقى المغول جماعة من الشيعة – «لأن الوزير ابن العلقمي كان شيعي وتعامل مع المغول ضد الخليفة»، كما استبقوا النصارى (لأن زوجة هولاكو كانت نصرانية) وصارت حاضرة دولة لا تدين بدين بعد أن كانت عاصمة المسلمين(ب) .

وعلق ابن الأثير في أسباب تلك الكارثة بقوله: «فما نرى من ملوك الإسلام من له رغبة في الجهاد، ولا نصرة الدين بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته، وهذا أخوف عندي من العدو».

ثم نعاها بقوله «لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها، فأنا أقدم إليها رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ...(جـ) .

(أ) النسوى محمد بن أحمد :

انتهى من تأليف كتابه سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م . سيرة السلطان جلال الدين ص ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، تحقيق حافظ حمدى – دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٥٣م .

(ب) محمد الخضرى بك :

محاضرات تاريخ الإمم الإسلامية (الدولة العباسية) تحقيق محمد العثماني – دار القلم – بيروت ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م.

(جـ) ابن الأثير – أبو الحسن بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجذرى ت ٦٣هـ/١٢٣٢م – الكامل فى التاريخ – دار الكتاب العربى – بيروت ١٩٨٥م ج٩ ص ٣٢٩ وحوادث سنة ٦١٧هـ

الإسلامية أينما كانت ، وإن كان يتم ذلك بمسميات مختلفة ، وبمحاولات وأساليب متنوعة (١) .

د ــ الكرة على المسلمين مرة أخرى في القرن التاسع عشر "موجة الاحتلال العسكري" ، واحتلال الديار المصرية وملحقاتها وكثير من البلاد الإسلامية، بالغزو الفرنسي ثم الإنجليزي والإيطالي والأسباني وغير ذلك وكلها غارات صليبية هدفها إضعاف المسلمين وتوقف نشاطهم الذي يخافون أن يعود إلى قوته الأولى الرائدة والقاهرة ، حتى انتهى الأمر إلى زرع الصهيونية العالمية في قلب البلاد الإسلامية النابض بالحيوية الإسلامية ، وبفاعلية القرآن الكريم ، وذلك لاستمرار إنهاكها ، ووقف استعادة القوة والمجد والمد الحضاري في الحياة (٢) .

وكان هذا الهجوم الغربي أشد تأثيرًا ، وأعمق أثرًا ، وأبعد مدى من الهجوم المغولي التترى ، فكاد يخمد كل جمرة في قلوب المسلمين لم تخمدها العواطف طيلة القرون الخالية .. وسلطوا على المسلمين عدوين فتاكين ، هما: الأول : **الشك وضعف اليقين الذي لا شيء أدعى للضعف والجبن منه**، والثاني : **الذل النفسي (أو مركب النقص)** ، وهو أن صار المسلمون يشعرون بالذلة والهوان في داخل أنفسهم ، ويؤمنون بفضل الأوربيين في كل شيء ، ويعتقدون فيهم كل خير ، ولا يكادون يعترفون بنقص وعيب في ناحية من نواحي الحياة ، ولا يصدقون بانهزامهم وفشلهم في ساعة من ساعات الدهر ، وإذ تمكن هذا الذل من نفوس أمة ، فقد ماتت وإن كنت تراها تغدو وتروح ، وتأكل وتعيش ،

---

(١) د / زينب عبد العزيز : محاصرة وإبادة (سلسلة فضائح الحضارة الغربية) ج ١ ، ص ٢٢٢ ، الطبعة الثالثة ، القدس للنشر والطباعة ، القاهرة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

(٢) د / عبد الله الدفّاع : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

وابتلى المسلمون في هذه المرة بتأثير الحضارة الغربية والفلسفة الغربية، بعبادة المادة وحب الدنيا ، والجرى وراء النفع العاجل ، وتقديم المصالح الشخصية والمنافع المادية على المبادىء والأخلاق ، وشأنهم في ذلك شأن الأمم الأوربية الجاهلية ، فكانت هذه الأخلاق وهذه النفسية والتربية مانعًا من الجهاد ، وإعلاء كلمة الله ، ومن تحمل المشاق ، وتجرع المرائر ، ومكابدة الأهوال ، وتحمل الخسائر في سبيل المبدأ الصحيح ، والعقيدة السامية [١] .

وكانت الحقبة الاستعمارية قد جعلت المسلمين عبئًا ثقيلاً على الإسلام ، وجعلتهم يشكلون أكبر عقبة في سبيل انتصار وانتشار الإسلام[٢] .

إن الاستعمار دائب على تخريج أجيال ملحدة ، وهو يغذى في إلحاح كل عملٍ يطرد الإيمان من القلوب ، ويشيع المنكر والفحشاء في المجتمع ، وغايته التي ظهرت من طول سعيه لها — مع شدة خبثه وتكتمه — هي القضاء على الإسلام في أوطانه ، وردم المنابع التي تمد الناشئة بتعاليمه ، وتبصرهم بحدوده وحقوقه ! ومن القصور أن نحسب أهداف الاستعمار الصليبي منتهية عند بث الرذائل في المجتمع ، ونشر التفكك في شتى نواحيه.. كلا ، إن الأمر لديه أكبر من ذلك .. إن المقصود هدم رسالة محمد من الألف إلى الياء [٣] .

---

(١) انظر : أبو الحسن الندوى : المد والجزر ، ص ٥٢ ، ٥٢ ، د / يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، ص ١٥ ، ١٦ ، الطبعة السابعة عشرة ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

(٢) يوسف البدرى : بصمات الاستعمار في المجتمعات الإسلامية ، ص ٤٩ ، دار العدالة ، المعادى ، ١٩٨٤م .

(٣) الشيخ : محمد الغزالي : الاستعمار أحقاد وأطماع ، ص ١٣ ، ١٤ ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، وانظر: الشهيد عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا القانونية ، ص ١٣٤ — ١٣٦ ، طبع=

هـ ــ **ثم كانت حركة التغريب** ، وهدفها صبغ الحضارة والفكر الإسلامي في أوطانه بالصبغة الغربية ، وتحويل الأقطار إلى مخترعات الغرب ، ليعيش غريبًا في وطنه الإسلامي ، تابعًا ذليلاً لفكر الغرب ، مفرغا من مقومات الإسلام بزرع الأفكار الخبيثة في نفوس الشباب المسلم حتى لا تقوم لهم قائمة من الناحية الفكرية ، وبعد إضعاف أوطانهم من الناحية العسكرية ، وجند الغربيون في سبيل ذلك فريقًا من علمائهم المبشرين والمستشرقين ليتفرغوا لهذا التغريب ، وكان من وسائلهم :

ــ القضاء على اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية التي هي سبب وحدتهم وسر حضارتهم ، لأصالتها ، وغزارة مادتها ، وقدرتها على الارتقاء البشري في مجالات العلوم والفنون وسياسة الحياة .

ــ حركة التبشير التي قامت على قدم وساق ، وصاحبت الاحتلال الصليبي أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وما تزال قائمة حتى اليوم في كثير من البلاد الإسلامية ، ببث الشبه على المسلمين لزحزحتهم عن كتابهم وشريعتهم وحضارتهم ، حتى تتحقق التبعية للغرب ، ويصير المسلمون تبعًا وعضوًا في الجسم الغربي ، حتى لا يكون هناك شيء اسمه الإسلام ، ولا شيء يسمى بالحضارة الإسلامية .

و ــ **ثم كانت حركة الغزو الفكري** ، بشحن الأفكار في عقول الشباب والمثقفين برونق الحضارة الغربية ، وتقدمها وتسابقها في ميادين البحث في الأرض والفضاء ، وغير ذلك مما حققوه من سبق حضاري حتى يشعر المسلم أن ليس في دينه ما يسمو به إلى هذا

=الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية : ١٤٠١هـ / ١٩٨٢م ، وانظر: د / سعد بدير الحلواني ، وآخر : حاضر العالم الإسلامي ، ص ٤٠ ــ ٤٢ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

المستوى الرائق في نظره ، مع شحنه بإلقاء تبعة التخلف على الدين الإسلامي فيما يعانيه المسلمون من تأخر وانحطاط [١] .

ولقد عانى الفكر الإسلامي من ضغط الحضارة الأوربية الكثير ، التي عمدت إلى تزييف الحقائق الإسلامية ، والحديث عن المسلمين بحقد صليبي موروث [٢] .

لقد كانت نتيجة هذا كله أن ظهر جيل في المسلمين : متنور الذهن، لكنه مظلم الروح ، أجوف القلب ، ضعيف اليقين ، قليل الدين ، قليل الصبر والجلد ، ضعيف الإرادة والخلق ، يبيع دينه بدنياه ، وآجله بعاجله ، ويبيع أمته وبلاده بمنافعه الشخصية ، وبجاهٍ وبعزةٍ وهمية ، ضعيف الثقة بنفسه وأمته ، عظيم الاتكال ، كثير الإسناد إلى غيره .. هؤلاء هم الذين نشروا في المسلمين الجبن والوهن ، وصرفوا المسلمين عن الاتكال على الله ، ثم الاعتماد على أنفسهم إلى الاعتماد على غيرهم والتكفف لديهم ، والالتجاء في مواقع الخطر إليهم ، وأطفأوا في قلوبهم شعلة الجهاد في سبيل الله ، والحمية للدين ، وأبدلوها بالوطنية العليلة ،

(١) انظر : د / عبد الله الدفّاع : المرجع السابق ، ص ١٦٢ ، ١٦٤ ، د / سعد الحلواني : حاضر العالم الإسلامي ص ٤٦ ــ ٥٩ ، د / عبد الله ناصح علوان: معالم الحضارة في الإسلام ، ص ١٥٩ ، ١٦١ ، طبع دار السلام ، القاهرة ١٩٨٤م ، د / محمد السيد يوسف : التمكين للأمة الإسلامية ص ١٣٩، ١٤٩ ، أنور الجندي : المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر ص ١١٥ ، د / علي جريشة ، وآخر : أساليب الغزو الفكري ، ص ١٥ ــ ٣٦ ، الطبعة الثانية ، دار الاعتصام ، القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، محمد قطب : واقعنا المعاصر ، ص ١٩٥ ، د / سعد الدين صالح : الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، ص ٣٢ وما بعدها ، دار الارقم ، الزقازيق ١٩٨٩م ، الشهيد عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا القانونية ، ص ١٣٦ ــ ١٣٨ ، وعلي جريشة : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ص ١٥ ــ ٣١ ، الطبعة الثانية دار الوفاء ، القاهرة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

(٢) د / عبد الحليم عويس : فقه التاريخ في ضوء أزمة المسلمين الحضارية ، ص ٧٩ ، الطبعة الأولى ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

والقومية الناعسة ، وبعقل ناقص عليل ، لا يعرف إلا الموانع والعراقيل[١] .

*** عوامل النهوض بالحضارة الإسلامية :**

إذا كان الواقع المر يؤكد أن شعوبنا نَحَّتْ الحضارة الإسلامية من واقعها ، وأصبحنا نشكو " تخلفًا في العلم ، وتخبطًا في السياسة ، واضطرابًا في الاقتصاد ، وتفككًا في الاجتماع ، وتدهورًا في الأخلاق ، وبلبلة في الأفكار ، وزعزعة في العقائد ، وضعفًا في التربية ، وخواءً في الروح ، واختلافًا في الصفوف ، في الغايات والأهداف ، فضلاً عن الوسائل والطرائق " [٢] ، مما يؤكد " أن الأزمة التي يعانيها المسلمون اليوم هي أقسى من سابقاتها وأمّر " [٣] لكن اليأس من وجود حل حاسم ومن دواء ناجع ، والاكتفاء بالحوقلة والاسترجاع ، وإبداء الأسف على ما انتهت إليه حال العرب والمسلمين ، دون البحث عن الحل ، والتفتيش عن العلاج ، إنما هو هروب من الواقع ، وفرار من الزحف ، ومناقضة لطبيعة الإيمان ، التي لا يعرف اليأس إليها سبيلا [٤] ، واليوم يدور الزمن دورته ، ويبدأ الوجه الكالح للقرون الأخيرة في حياة المسلمين منحسر ، ويبزغ فجر جديد للإسلام في ربوع الإسلام ، بدأ الناس — والشباب المثقف خاصة — يعودون إلى الإسلام، يريدونه رائعًا صافيًا كما نزل أول مرة بلا غبش ولا ركام ، وفي كل مكان في الأرض التي حكمها الإسلام ذات يوم حركات بعث إسلامي ، ودعاة

---

(١) الشيخ الحسن الندوى : المد والجزر في تاريخ الإسلام ، ص ٥٤ .
(٢) د / يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة ص ١٦ .
(٣) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، ص ٨ .
(٤) د / يوسف القرضاوى : المرجع السابق ص ١٦ ، ١٧ .

يدعون إلى الإسلام ، وشباب يتطلعون إلى اليوم الذي يجدون فيه الإسلام مطبقًا بالفعل ، واليوم الذي يعود فيه المسلمون إلى الاستخلاف والتمكين في الأرض ... وفي الطريق عقبات كثيرة تعوق المسيرة ولكنها لا تمنع المسير " (١) .

إن الأمة الإسلامية تملك رصيدًا ضخمًا من الإمكانيات والقدرات جديرة بأن تعيد للحضارة الإسلامية مجدها الخالد ، متى وجدت إلى النفوس والقلوب سبيلاً ، ومن هذه الإمكانيات والقدرات :

ـ **العقيدة الصحيحة** ، التي تلائم الفطرة الإنسانية السليمة ، وتجعل سلطانها على النفوس والقلوب أعمق وأدوم ، وتنقى كل الخرافات والأباطيل التي شكلت عقبات في سبيل الإيمان الصحيح ، وتمثل الرابط الحقيقي لمشاعر وأفئدة المؤمنين بها ، هذا الرابط الذي يدفعهم إلى العمل والحركة... وإذا كان الإسلام قد صنع حضارة شهد لها التاريخ بالسمو والتقدم ، فإن هذا الدين لم يتبدل ولم يتغير ، ولم ولن يتخلف عن صياغة حضارة جديدة تحياها أمته ، ويعيش في ظلها كل أمم الأرض ، متى توفرت النوايا والمقاصد الحسنة لذلك .

ـ **القوة البشرية والطاقات الفكرية** ، التي تشكلها سكان العالم الإسلامي، وتمثل ربع سكان العالم تقريبًا ، وهذه قوة لها أثرها الفعَّال متى كانت على وضع صحيح ، وبإمكانها أن تكون الزاد لبناء حضارة قوية إذا أمكن تربية هذه القوة البشرية بمنهجية تربوية ترتكز على حقائق الإسلام .. أما عن الطاقات الفكرية في العالم الإسلامي ، فهي حقيقة لا تنكر ، غير أن ولاءاتها قد فترت لعدة أسباب ، على رأسها :

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، ص ١١ ، ١٢ .

النظم المتسلطة التي تريد تسيير دفة الحياة بطريقة غير علمية ، ضاربة صفحًا خبرات أهل الاختصاص ، مولية وجهها نحو أهل الثقة ـ ممن يحفظون لها المقاعد والمناصب والمكاسب ـ لتستعين بهم حتى لو كانوا جهلاء ، ومنها : انعدام ـ أو ضعف ـ مناخ الحرية ، وهو الكفيل ـ إذا توفر ـ بأن تعود العقول المهاجرة إلى أوطانها ، وتخرج العقول التي لم تهاجر عن صمتها وحزنها ، وعندئذ سيستطيع هؤلاء تحقيق الهيمنة الفكرية للإسلام ، وقيادة البعث الإسلامي ، وبناء الحضارة الإسلامية في عصرنا هذا من جديد .

ـ **القوة المادية** ، ففي بلاد المسلمين اليوم أكثر من ستين في المائة من الطاقة الموجودة في العالم ، ولم توجه هذه الطاقة التوجيه السليم ، ولا الاستثمار المناسب في بلاد الإسلام ، وسبب ذلك سوء التخطيط والإدارة ، وعدم الوصول إلى تخطيط وإدارة ناجحة ، وإهدار كثير من الخبرات الفنية والمهارات العلمية [١] .

ـ **العودة إلى الروح الدينية** ، التي صنعت الحضارة والثقافة المزدهرة المتألقة ، وإذا كان الناس يحنون إلى عهود ذهبية ، ازدهرت بها تلك العواصم الإسلامية ، ويتحرقون إلى إحيائها وتجديدها ، فأجدر بهم أن يعودوا إلى العامل الأصلي الذي ولّد تلك العصور الذهبية ، والذي بدونه لن تعود زهرة تلك العصور وينعتها ، ألا وهو العامل التربوي الإسلامي .. أما إذا وقفنا عند " استقلال العَلَم والنشيد " دون حقيقة " الاستقلال الحضاري " ، الذي هو ثمرة للصبغة الإسلامية

---

(١) انظر : د / محمد عبد الستار نصار : الإسلام رؤية حضارية ، ص ٩٢ ـ ١٠٣ ، د / عادل طه يونس : العالم الإسلامي اليوم (الاقتصاد ، الموقع الجغرافي ، السكان ، التعداد ، المشكلات) ص ٢٠ ـ ٢٤ ، طبع مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ١٩٩٠م .

المتميزة ، فلن نخرج من هذا المأزق الذي نعيش فيه [١] .

ـ **العناية باللغة العربية** ، فإذا كانت أوربا لم تستطع التقدم بمسيرة الحضارة الإنسانية إلا بعد عكوفها على ترجمة العلوم من العربية إلى اللاتينية قرنا من الزمان ، وإذا كان علماء العرب لم يستوعبوا قيادة المسيرة الحضارية إلا بعد عكوفهم على الترجمة إلى العربية من اللغات المتعددة مدة خمسين عامًا ، فإن بوسع المسلمين اليوم أن يعكفوا على ترجمة ما وصل إليه العصر الحديث من علم ومعرفة وفنون إلى العربية ، لينهضوا بحمل مسئولية المسيرة الحضارية من جديد ، وهذا واجب مقدس عليهم أن يتحملوه، ومفتاح الباب إلى ذلك هو العناية بلغتهم العربية ، ونشرها بين الأمم، ثم طرح ما استولى عليهم من أوهام التأخر والانحطاط بسبب الإسلام[٢] .

ـ **الوحدة الإسلامية** ، فلابد للأمم الإسلامية أن تطرح جانبًا كل دواعي الفرقة والإنقسام أيا كانت أسبابها ، وتوحد صفوفها في مواجهة الأخطار التي تتهددها من كل جانب ، فإن أمة الإسلام أمة واحدة ، والمؤمنون أخوة ، بعضهم أولياء بعض ، ويتطلب هذا اتحاد الوجهة ، وتحديد العدو ، وتحقيق الوحدة بين الدول الإسلامية ، وليس من الضروري أن يكون العالم الإسلامي كلة تحت حاكم واحد ، بل يمكن تحقيق الوحدة العقدية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وفق مخطط محكم مدروس تلتزم به الدول الإسلامية على مستوى العالم كله في مدارسها ومعاهدها ومؤسساتها ، ووضع سياسة سريعة للاستعداد الصناعي الحربي ، وتوفير العدالة الاجتماعية في توزيع

---

(١) انظر : د/ محمد عمارة : في فقه الحضارة الإسلامية ، ص ١١٤ ، د/ شوكت عليان : دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص ١٨ ، ١٩ ، د / عبد الله الدفاع: لمحات من الحضارة العربية ص ١٦٥ .

(٢) د / عبد الله الدفاع : المرجع السابق ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

الثروات ، واستقلال الموارد في زيادة العمران ، وبناء المؤسسات النافعة ، وضرورة الوحدة في الاتجاه السياسي تجاه مختلف القضايا المرتبطة بالعالم الإسلامي ، وضرورة الاستقلال الاقتصادي الإسلامي عن التبعية للغير ، ولن يتم ذلك إلا إذا خلصت النيات ، وصدقت العزائم من أجل استئناف حضارة إسلامية صاعدة واعدة (١) .

ـ **سقوط الحضارة الغربية** ، التي تقدم أبشع صورة للإنسان في مجال التدمير (٢) وأشقت البشرية وأتعبتها من حمل هذه الحضارة المادية ، والمضي في متاعها وترفها ، وحقيقة أن الفساد والانحلال والأمراض العصبية والنفسية ، والشذوذ العقلي والجنسي ، وأثار ذلك كله تنخر في جسم هذه الحضارة ، وتشقى الأمم والأفراد ، وتفتح الأعين بعنف على الشر والفساد والدمار .. ولكن البشرية ما تزال في هياجها الحيواني ، وفي خمارها الجنوني ، وفي نشوتها المعربدة ... كما تعاني من الاستهتار والاستخفاف بكل عقيدة وكل رأي وكل مذهب، كما تعاني من نفاق القلب ، وكيد الضعف ، وخبث الاحتيال (٣) ، إن هتافات كثيرة من هنا وهناك ، تنبعث من القلوب الحائرة ، وترتفع من الحناجر المتعبة ، تهتف بمنقذ ، وتتلفت على مخلص ، وتتصور لهذا المخلص سمات ، وملامح معينة فيه ، وهذه السمات وتلك الملامح لا

---

(١) انظر : عبد العظيم منصور : طريقة العودة ، ص ١٨٤ ــ ١٨٦ ، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ، الكتاب رقم ٧٣ ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، يوسف البدري : بصمات الاستعمار ص ١٧٨ ، د/ محمود زقزوق: هموم الأمة الإسلامية ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) أنور الجندي : المد الإسلامي ، ص ١٧٥ .

(٣) سيد قطب : هذا الدين ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، الطبعة الخامسة ، طبع الاتحاد الإسلامي العالمي ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

تنطبق إلا على هذا الدين [١] .

إن الحضارة الإسلامية المتجددة ستعطى البشرية نموذجًا جديدًا ، فقد صيغت المبادىء الإسلامية على نحو يجعلها قادرة على ضمان التنسيق والتوازن والتكامل بين حاجيات المادة والحاجيات النفسية والروحية ، والضوابط التي وضعها الإسلام لا تعارض سنة التطور ولكنها تقيم حركة المتغيرات داخل إطار الثوابت [٢] ، وهنالك قدر علوي يدفع الأحداث .. ويدفعها في إتجاه معين ، في إتجاه الصحوة الإسلامية ، وبواعثها موجودة ، ولا يملك الاعداء وقف الحضارة الغربية عن الانهيار ، بل يملكون ــ بقدر الله ــ التقتيل والتذبيح والتشريد والتعذيب والاضطهاد ، وهذا لا يقضي على المسيرة الإسلامية بقدر ما يمحصها ، ويجعلها أقدر على المواجهة [٣] .

ولا يجوز أن يتطرق إلى قلوبنا الشك بسبب الضربات الوحشية التي تكال للمسلمين ، ولا ضخامة الأسس التي تقوم عليها الحضارة الغربية المادية ، فالذي يفصل في الأمر ليس هو ضخامة الباطل ، وليس هو قوة الضربات التي تكال للإسلام ، وإنما الذي يفصل في الأمر هو قوة الحق ، ومدى الصمود للضربات [٤] .

وما دام المسلمون اليوم يملكون شريعة الله ، وهي أنضج الشرائع عطاءً وتجددًا وشمولاً ، وما دام بأيديهم مفاتيح الحضارة وعوامل وجودها ، وما داموا يملكون المواد الخام والثروات الطائلة ، وما دام

---

(١) سيد قطب : المستقبل لهذا الدين ، ص ٩٤ ، طبع الاتحاد الإسلامي العالمي ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
(٢) أنور الجندي : المد الإسلامي ، ص ١٧٥ .
(٣) انظر محمد قطب : واقعنا المعاصر ، ص ٥٤١ .
(٤) انظر : سيد قطب : المستقبل لهذا الدين ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

فيهم الطاقات الهائلة القادرة على الإبداع ، وما دام فيهم النبوغ والذكاء وتفتح العبقرية ، وما داموا يُعدون ألف مليون من البشر ، وما دامت أوطانهم تقع في قلب العالم ، وهي شبه متصلة ، يملكون البعد الديني ، الإنساني ، الاجتماعي ، والجغرافي ، والحضاري ، والمصيري ، وما دام المسلمون يجمعون هذه الخصائص ، وتتوفر فيهم هذه المزايا ، فباستطاعتهم اليوم ـــ إن أرادوا الحياة العزيزة ـــ أن ينهضوا بالحضارة الإسلامية كما نهضوا بها من قبل ، وبقدرتهم أن يحملوا إلى العالم إمامة العلم والثقافة والمعرفة ، وبإمكانهم أن يستعيدوا وصايتهم على البشرية من جديد [١] ، ولا بد ونحن نسير على هذه الطريق أن ندرك أمرًا واحدًا يجب أن يكون في حسابنا .. إن أمامنا كفاحًا مريرًا ، شاقًا طويلاً، لاستنقاذ الفطرة من الركام ، ثم لتغليب الفطرة على هذا الركام[٢] ، فلن يكون الطريق مفروشًا بالورود .. إنما هو العرق والدموع ، والدماء والعذاب ، والجهد الناصب ، والطريق الوعر المحفوف بالمخاطر وبالوحوش الوالغة في الدماء ، يسقط فيها شهيد تلو شهيد .. بينما يسير الركب في الحر اللافح وفي الزمهرير .. لا يتوقف عن المسير .. وحين تعود الأمة إلى إسلامها الحق ، ويمكن لها الله في الأرض تتغير ملامح كثيرة في الأرض ... وحين تتجه البشرية إلى الإسلام ، فعندئذ فقط يصبح التقدم العلمي والتكنولوجي دافعًا إلى الإمام، ومعينًا على الخلافة الراشدة [٣] ، ولن نستطيع أن ننقذ العالم من الأوحال والقاذورات والتسلط المادي والطغيان العلمي المزعوم الذي

---

(١) انظر : عبد الله علوان : معالم الحضارة في الإسلام ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ، د/محمود زقزوق : هموم الأمة الإسلامية ، ص ٧٩ ـــ ٨٨ .
(٢) انظر : سيد قطب : المستقبل لهذا الدين ، ص ١١٧ .
(٣) انظر محمد قطب : واقعنا المعاصر ، ص ٥٤٢ ، ٥٤٤ ، ٥٤٩ .

أصاب الإنسانية بالقلق والغربة والضياع ، وقتلت المعاني الروحية في الإنسان المعاصر ، ولوثت فطرته ، وأفسدت طبيعته ، فعاش في فراغ روحي استولى عليه ، فبحث عن الخلاص والراحة .. وخلاصه وراحته في الحضارة الإسلامية الإنسانية الهادية الخالدة الربانية ، التي ما قصرت عن العطاء لكل عصر ، وما قعدت عن الوفاء بأي مطلب[١].

إن التاريخ والحضارة في الحقيقة هما مجرى السنن الربانية في واقع الأرض ، وحين تقف الجاهلية تحارب قدر الله فمن يكون الغالب ؟ ومن يكون المغلوب ؟ ، وما أعظم وأجل أن نعرض في هذا الباب ببديع بيان الدستور الإلهي الخالد ، إذ يقول رب العزة في شأن السنن التي تجرى على الحضارات الإنسانية ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [٢] ، ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [٣]، ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٤] ، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٥] .

---

(١) انظر : عبد الله علوان : معالم الحضارة في الإسلام ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ .

(٢) سورة آل عمران : (١٤٠ ــ ١٤٢) .

(٣) سورة محمد : (٣٨) .

(٤) سورة المجادلة : (٢١) .

(٥) سورة يوسف : (٢١) .

إن الحضارة الإسلامية آن لها أن تعود لتملأ الفراغ المنتظر بعد السقوط النهائي للحضارات المادية ، آن لها أن يحملها أقمار هداية وشموس إصلاح ، ودعاة خير وحق ، وشباب مؤمن واع يجسدُ مبادىء الإسلام ، ويترجمه في حركاته وأفعاله وتصوراته ، حتى تعطى الحضارة الإسلامية للعالم كله أكلها وثمارها ، وتعود بالعزائم المتينة مجد الجدود العريض ، ويسمع العالم مرة أخرى بأمة الحضارة ، وأمة المبادىء ، وأمة الأمجاد ، وأمة الخلود [١] .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ [٢] ، ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [٣] .

صدق الله العظيم

---

(١) انظر : عبد الله علوان : المرجع السابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
(٢) سورة النور : (٥٥) .
(٣) سورة الحج : (٤١) .

مكانة العلم والفكر في الحضارة الإسلامية

الإسلام دين العلم يحث على طلبه مهما نأى مكانه ، وأتعبت أسفاره ، وللعلم والتعليم والعلماء والطلاب مكانة سامقة في تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي ، وقد بلغت الأمة الإسلامية بالعلم المكانة العالية ، والريادة والقيادة الرشيدة ، ونجد أنفسنا أمام حشد هائل من الآيات القرآنية يبلغ المئات في حديث القرآن عن العلم ، ورفع الإسلام العلم فيها إلى درجة العبادة ، ودعا إلى طلبه ، وحض على تحصيله ، وفرضه على كل مسلم ومسلمة ، حتى غدا الجانب العلمي من أبرز مظاهر الحضارة الإسلامية .

ولم تعرف البشرية رسالة مثل رسالة الإسلام عنيت بالعلم ، والدعوة إليه ، والترغيب فيه والتعظيم لقدره ، والتنويه بأهله ، والحث على طلبه وتعلمه وتعليمه وبيان آدابه ، وتوضيح أثاره ، والترهيب من القعود عنه ، أو الازورار عن أصحابه ، أو المخالفة لهدايته ، أو ازدراء أهله .[١]

وليس للإسلام عداء للعلم ولا التجربة الحسية الآلية التي يقوم عليها ، وليس معاديًا للصناعة ولا للتطور الصناعي[٢] .

(١) ينظر : د / يوسف القرضاوى ــ ثقافة الداعية ــ ص ١٧ ، الرسول والعلم ص ٣ د / مجاهد الجندي ــ تاريخ التربية الإسلامية، ص ١ د / أحمد مجاهد مصباح ــ تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي ، ص ١٢٠ ، الشاعر أحمد شوقي ــ أسواق المذهب : ص ١٠٧ .

(٢) د / محمد البهي : الإسلام في الواقع الأيدلوجي المعاصر ، ص ٣٢ ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .

كرم الله تعالى الإنسان لإنسانيته .. ذلك نص القرآن : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا ﴾(١) .

والإنسان مكرم لعلمه وعقله وفكره .. ذلك ما صرح به القرآن حين حكى قصة آدم : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢) .

وأشار سبحانه وتعالى إلى سبب هذا التكريم : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾(٣).

وهو مكرم فوق ذلك لتقواه وإيمانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(٤).

ومر عليه الصلاة والسلام بالكعبة ، فقال لها: "ما أعظمك وما أعظم حرمتك! والله لحرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة بيته المحرم" ،وقال: " كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله ، وعرضه".

---

(١) الإسراء : (٧٠) .
(٢) البقرة (٣٠) .
(٣) البقرة : (٣١ ــ ٣٣) .
(٤) الحجرات : (١٣).

وهكذا ترتفع التقوى إلى أعظم درجة .. في الدنيا والآخرة ، فإذا اجتمع مع التقوى العلم ، فقد اجتمع له الحسنيان .[١]

والمزية الكبرى في الحركة العلمية الإسلامية أنها جزء من هذا الدين لشموله وتوازنه وترابطه لا يشذ عنه ، ولا ينفصل عنه ونمت الحركة العليمة في الإسلام في ظل العقيدة الصحيحة ، فلم يحدث قط بينهما صراع لا على المستوى النظري ولا على المستوى العلمي .[٢]

وجعل الإسلام أهل العلم قرناء الملائكة في الشهادة على تفرده بالألوهية : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣] .

وجعل العلم رافعا لأهله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٤] .

وجعل العلم أساس خشية الله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[٥] .

وحث الجاهل على اتباع العالم ولو أصغر منه : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾[٦] .

بل إن الآيات القرآنيات دلت على رفع قدر " الغراب "[٧] الذي

---

(١) د / جريشة ـــ منهج التفكير ـــ ص ١٠ ، ٨ ، ٧ .
(٢) ينظر محمد قطب ـــ واقعنا الحاضر ص ٩٨ .
(٣) آل عمران : (١٨) .
(٤) الزمر : (٩) .
(٥) فاطر : (٢٨) .
(٦) مريم : (٤٣) .
(٧) يراجع الآية (٣١) من سورة المائدة .

علم ابن آدم ما كان يجهله ، ورفع قدر " الهدهد " [١] الذي أحاط علما بما لم يحط به نبي الله سليمان بن داود ﷺ ورفع قدر " الكلب " [٢] المعلم بفنون الصيد، وأمر الإسلام بالرجوع إلى أهل العلم عند التباس الأمر على السائل : ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

كما أن العلم بحر لا ساحل له ، ولا نهاية لخزائنه ، ولا نفاد لصحائفه: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٤] .

وحث الإسلام على الازدياد من العلم : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[٥] ، وحث على الرحلة في سبيله ، فقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[٦] .

وجعل الإسلام اللبنة الأولى في تكوين الرجال العظام تحصيل العلم في القراءة في كتاب الكون المفتوح ، وقد عانق الإسلام في أول آيات نزلت من القرآن العلم ، وخاطب الله رسوله بقوله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[٧] .

وأكد الإسلام أن أهل العلم هم أقدر الناس على الفهم والتدبر ، والاعتبار بمواطن العبر : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ

---

(١) يراجع الآية (٢٢) من سورة النمل .
(٢) يراجع الآية (٤) من سورة المائدة .
(٣) النحل : (٤٣) .
(٤) الإسراء : (٨٥) .
(٥) طه : (١١٤) .
(٦) الحج : (٤٦) .
(٧) العلق : (١) .

إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[١] وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[٢] .

وجعل الإسلام العلم شرطا لكل عمل قيادي ، على المستوى السياسي والإداري والدعوي والتربوي للفتى ، قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٤] .

وقال تعالى – في الترهيب من الفتوى بغير علم – : ﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٥] .

وقال : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ... ﴾[٦].

وجعل العلم غاية إنسانية توظف لهداية الضال ، وتعليم الجاهل ، وخدمة المجتمع ، وإنذار الأهل ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[٧] .

وجعل كتمان العلم والسكوت عن الحق ، يستوجب اللعنة من كل

---

(١) سورة العنكبوت : (٤٣) .
(٢) سورة النساء : (١١٣) .
(٣) سورة يوسف : (٥٥) .
(٤) سورة البقرة : (٢٤٧) .
(٥) سورة الأعراف : (٣٣) .
(٦) سورة يوسف : (١٠٨) .
(٧) سورة التوبة : (١٢٢) .

مصدر ، ويتوجه إليها بعد الله كل لاعن ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾(١) ، وهو تحذير لمن يكتمون العلم عن أهله.(٢)

والحق فإن هذا قليل من كثير وغيض من فيض ، عن الآيات المتعلقة بموضوع العلم والفكر في القرآن .(٣)

وفي السنة تجد كما هائلا من الأحاديث النبوية التي رفعت قدر العلم والعلماء ، ومن هذه الأحاديث ــ على كثرتها ــ ما روى عن أبى الدرداء ﷺ ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع ، وأن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن

---

(١) سورة البقرة : (١٥٩) .

(٢) ينظر للمزيد : الشيخ محمد الغزالي ــ خلق المسلم ــ ص ٢٢٤ ، د / محمود حمدي زقزوق ــ الإنسان في التصور الإسلامي ، ص ٣٠ ، ٣١ ، د / شوقي ضيف : عالمية الإسلام ، ص ٥٣ ، عباس حسن الحسيني : دستور المهن في الإسلام ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، د / محمد محمد الخطيب : تاريخ التربية الإسلامية ص ٢ ، ٣ ، ابن الجوزي : صيد الخاطر ، ص ١٠٧ ، ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم وأدب العالم المتعلم ص ٦ ، السيد علوي المالكي : مختصر الترغيب والترهيب ص ٩ ، ابن القيم الجوزية : إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ج ٢ ، ص ١٥٥ ، د / يوسف القرضاوى : في فقه الأولويات ص ٦٠ ــ ٦٤ ، سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج ١ ص ١٥٠ ، محمد على الصابوني : روائع البيان ج ١ ص ١٤٧ ــ ١٥٠ ، د / رؤوف شلبي : الوحي في الإسلام وأهميته في الحضارة الإسلامية ص ٢٨٨ ــ ٢٩٠ .

(٣) ينظر : د / يوسف القرضاوى : الرسول والعلم ، ص ٣ ، ٤ ، الشيخ توفيق السبع : قيم حضارية ، ج ٢ ، ص ٨١ .

الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهمًا إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر " .(١)

ومن الهدى النبوي طلب العلم النافع والزيادة منه قال عليه السلام: " اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علما ، والحمد لله على كل حال " .(٢)

وبينت السنة أن معرفة الدين والتفقه فيه خير للعبد من الله ، قال عليه السلام : " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " .(٣)

كما حثت السنة على طلب العلم لأهميته ومكانته ، ومما جاء في الحديث ــ المروى عن معاذ بن جبل ﷺ ــ عن النبي ﷺ أنه قال : "تعلموا العلم ، فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ..." (الحديث) .(٤)

وشجعت السنة على الرحلة في سبيل طلب العلم ، فقال عليه (من غدا يريد العلم يتعلمه لله ، فتح الله له بابا إلى الجنة ، وفرشت له الملائكة أكتافها، وصلت عليه ملائكة السماء ، وحيتان البحر ... " .(٥)

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه ، ج ١ حديث (٢٢٣) ، المنذرى في الترغيب والترهيب ، ج ١ ، ص ٩٤ ، وقال " رواه أبو داود والترمذي وابن حيان في صحيح البيهقى " القرضاوى : المنتقى ج ١ ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) ابن ماجه في سننه ، ج ١ ، ص ٩٠ .

(٣) البخاري : الجامع الصحيح ح السندى ج ١ ، ص ٢٤ ، المنذرى : الترغيب والترهيب ، ج ١ ص ٩٢ ، يوسف البنهانى : إتحاف المسلم ، ص ١١ .

(٤) المنذرى : الترغيب والترهيب ، ج ١ ، ص ٩٤ ، ابن عبد البر : جامع بيان العلم ج ١ ص ٥٤ .

(٥) المنذرى : نفس المصدر ج ١ ص ١٠٥ ، ابن عبد البر : نفس المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٦ .

وإذا طالعتَ كتبَ الحديثِ النبوي ، تجد في جميع الكتب المصنفة حسب الموضوعات والأبواب ، تجد كتابًا حافلاً موضوعه العلم ، ففي (الجامع الصغير) ــ للحافظ البخاري ــ كتاب العلم ، قد اشتمل ــ كما يقول ابن حجر العسقلانى في فتح الباري ــ من الأحاديث المرفوعة إلى " مائة حديث وحديثين " منها ستة عشر حديثا مكررا ، فيه من الآثار الموقوفة على الصحابة ومن بعدها اثنان وعشرون أثرا .(١)

وفي باقي أصول السبعة (الجامع الصحيح للإمام مسلم ، والموطأ للإمام مالك ، وسنن الإمام الترمذي ، وسنن أبو داود ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه) كتاب أو عدة أبواب عن العلم تقصر أو تطول ، وحسبنا أن كتابا مثل " الفتح الرباني " ــ في ترتيب مسند الإمام أحمد قد ضم في كتاب العلم واحدًا وثمانين حديثا ، وفي كتاب " المستدرك " ــ للإمام الحافظ محمد النيسابورى (ت ٤٠٥ هـ) ــ بلغت فيه أحاديث العلم أربع وأربعون صفحة، وجمع كتاب " العلم " في " الترغيب والترهيب " ــ للإمام المنذرى (ت ٦٥٦ هـ) ــ عدد مائة وأربعون حديثا ، وكتاب " العلم " من " جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد " ــ للإمام محمد السوسى (ت١٠٩٤هـ) ــ قد ضم أربعة وخمسين حديثا .

ولا يخفي أن قدرًا كبيرًا من الأحاديث في كل كتاب مكرر مع أحاديث الكتب الأخرى ، والواقع أن هناك العشرات والمئات من الأحاديث لها صلة بالعلم ، ولكنها وضعت في مظان أخرى من أبواب الكتاب لأن الحديث الواحد له أكثر من دلالة ، ويستفاد منه في أكثر من

---

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح الباري ، ج ١ ص ٢٧٩ .

حكم .[١]

ويتأكد من خلال هذه الأحاديث أن الإسلام لم يدفع إلى العلم الشرعي فقط ، كما يظن الكثير ، بل حث على العلم الشرعي وعلوم الدنيا ، فلا تجد نصا يصد عن أي علم يستفيد المسلم منه ، والذي به يُشكر الله حق شكره ، ويُعرف حق قدره ، ويقف به الإنسان على قوانينه وشرعه ، ويستخدم كل ما يصلح لخدمة الإنسانية وتوفير ما ينفعها .[٢]

وكل ما يوسع منادح النظر ، ويعطى العقل الفهم والمزيد من العرفان، ويؤكد صلة الإنسان بالوجود ويفتح آماد الكشف والإدراك ، ويتيح له السيادة، والتحكم في قواه ، والإفادة من ذخائره المكنونة ، في كل ذلك ينبغي التضلع منه ، ويجب على المسلم أن يأخذ بسهم منه ، وهذا الشمول دلت عليه الآيات الكريمات .[٣]

وليعلم شباب أمة الإسلام ، وجيلها الناهض ، أن سر التقدم والنفوذ والريادة والقيادة ، والانطلاق الإسلامي ، والتطبيق العملي الصحيح للإسلام قائم على أساس، وجوب حتمية طلب العلم وتعليمه ، وعلى مقداره أهميته لدى الأمة ، ولم تنهض أوربا إلا بعد ما مسها قبس من نور العلم لدى الحضارة الإسلامية ، ولم يستطيع مؤرخو تاريخ العلم إنكار فضل العرب العلمي على نهضة أوربا .[٤]

---

(١) ينظر د / يوسف القرضاوى : الرسول والعلم ص ٢٤ .
(٢) ينظر الإمام محمد عبده : الإسلام والنصرانية ، ص ٧٤ ، أنور الجندي : العودة إلى المنابع ص ٢٥ ، محمد يوسف السيد : التمكين للأمة الإسلامية ، ص ٦٥ .
(٣) ينظر الشيخ محمد الغزالي : خلق المسلم ص ٢٢ .
(٤) ينظر: د/ سفر الحوالي : العلمانية نشأتها وتطورها ، ص ١٤٥، د/ يوسف القرضاوى : الدين في عصر العلم ص ١٨ ، ٢٤ ، جوستاف لوبون :=

وكان الإسلام متميزا في مفهومه للعلم ، ولم تحدث معارضة بين الدين والعلم كما حدث في أوربا ، طالما كان العلم يتجه لنفع الناس ، ولا يستخدم في المحرمات والخبائث والفواحش والمنكرات ، وإنتاج أسلحة الإبادة الجماعية المحرمة ، أو تخريب الحضارات الإنسانية .(١)

بل جعل الإسلام العلم وسيلة لتربية النفس البشرية ، والنور الذي يكشف لها طريق الحق والخير والسعادة ، والحضارة والرشد والإصلاح .(٢)

مما لا شك فيه أن النصوص الشرعية في فضل العلم والعلماء والحث على طلبه ، كانت من أكبر دوافع المسلمين لطلبه ، والرحلة إليه، ونشره في كل مكان وزمان ، وبناء معاهده ومؤسساته ، ورعاية طلابه وأعلامه ، الأمر الذي أدي بدوره لقيام نهضة علمية إسلامية انتشرت في جميع أقطار العالم الإسلامي وبرزت الصبغة الدينية في الحركة العلمية الإسلامية ، ونهضت الأقطار في المنافسة العلمية ، حتى امتلأت الأرض الإسلامية نورًا وضياءً ، وعلوما حتى شملت كل الفنون والدقائق ، وأورثت العديد من الموسوعات العلمية ، والمؤلفات الخالدة ،

=حضارة العرب ، ص ٥٦١ ، ٥٧٩ ، زيغريد هو نكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، عمر فروخ : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية ، ص ٦ وما بعدها ، مأمون ياسين : الأسس النبوية ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، د / السعيد رزق حجاج : تاريخ أوربا الحديث ص ٨ ، د/علي عبد الله الدفاع :لمحات من تاريخ الحضارة العربية ، ص ٣٠ وما بعدها، د/رؤوف شلبي : الوحي في الإسلام : ص ٢٩٢ ، د / مانع الجهنى : الموسوعة الميسرة : ج ١ ، ص ٣٠ ، ٣٣ .

(١) ينظر : د / أحمد عبد الحميد غراب : الإسلام والعلم ، ص ٣٨ ،٤٣ ، أنور الجندي : العودة إلى المنابع ، ص٢٥.

(٢) ينظر : د / محمد عبد الله منصور : المختصر المفيد في تربية النفس ، ص ١٦٢ ، د / عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر ، ص ٣٦٥ ، د/محمد الخطيب ، التعليم في مصر ، ص ٧٧٨ .

والمخطوطات النادرة ، التي ثبتت على الدهر ، وأتاحت لنفسها الخلود على مرّ الزمن ، وذلك يعز عرضه في أي عمل لكثرته المفرطة .(١)

وعلى هذا الأساس ــ أساس العلم ــ قامت الحضارة الإسلامية ، وتعددت مراكزها ، وازدهرت في جنبات العالم الإسلامي حركة حضارية إسلامية تبنى الفرد روحًا وجسدًا ، علمًا وعملاً ، بربانية المصدر ، وعالمية الوجهة ، وإنسانية المنطلق ، ووسطية المنهج ، وأخلاقية المحتوى ، وإيجابية البناء ، وصنعت مجدا صفق له التاريخ حينا من الدهر ونهض بنهضتها مجتمعات العصور الوسطي ، من عصور الظلام إلى عصور العلم والنور، والنهضة والتقدم ، والازدهار والرفاهية .

---

(١) ينظر : د / شوقي ضيف : عالمية الإسلام ، ص ٧٢ ، محمد يوسف : التمكين للأمة الإسلامية ، ص ٦٧ ، فتحي رضوان : الإسلام والمسلمون ، ص ٤٨٥ . ويراجع للمزيد : عبد المعز فضل عبد الرازق : الحركة العلمية في إقليم الغربية (رسالة دكتوراه) .

نشأة العلوم الإسلامية ، ومراكز الفكر عند المسلمين

نشأت الحركة العلمية في الأمصار المختلفة من بدء الإسلام إلى آخر العصر الأموي ، وكان من أهم مراكز الحياة العقلية في ذلك العصر الحجاز (مكة والمدينة) ، والعراق (البصرة والكوفة) وفي الشام ومصر .

وقد دار في هذه المراكز علوم ، ونبغ فيها علماء ، وظلت هذه المراكز هي المراكز الفكرية بعينها في العصر العباسي ، لم يزد عليها إلا " بغداد " في العراق ، والأندلس التي أصبحت باستيلاء الأمويين عليها مركزًا من مراكز الثقافة والفكر الإسلامي .

١ ــ الحجاز :

أكثر ما عرف عن مدرستي مكة والمدينة علوم الحديث والفقه ، واستمرت هذه الحركة على أصول الكتاب والحديث ، وظل العلماء في مكة يتلقون العلم طبقة عن طبقة ، واشتهر من التابعين من علماء مكة " مجاهد بن جبر ، وعطاء بن أبى رباح " وغيرهم .

وجاء بعدهم طبقة أخرى اشتهر منها " عمرو بن دينار " وكان ثقة ثبتًا كثير الحديث ، وغير هؤلاء من العلماء الثقة أمثال "سفيان بن عيينة" (ت١٩٨هـ) ، و" الفضيل بن عياض" ــ شيخ الحرم المكي ــ (ت١٨٧هـ).

وأما المدينة فقد نبغ فيها في هذا العصر من العلماء في نحو آخر من العلم ، منهم " محمد بن عمر الواقدى " شيخ المؤرخين ، العالم بالمغازى والسير والفتوح ، وصاحب المؤلفات الكثيرة إبَّان العصر

العباسي .

وقد كانت مدرستا الحجاز في مكة والمدينة من أكبر مصادر الحديث النبوى ، وما يبنى عليه من أحكام الفقه ، وما يتصل بذلك من أخبار وسير ، لأن مكة منشأ النبي ﷺ والمدينة مهاجره ، وكلاهما منبت الصحابة من مهاجرين وانصار عاشروا النبي ، وحدثوا عنه ، وحكموا ما رأوا وسمعوا من أقوال وأفعال ، وتناقل التابعون عنهم ما سمعوا ، ونقل عنهم من أتى بعدهم ، كما كانت حركة الحج الدائمة سببًا في اتصال العالم الإسلامي بعلماء مكة والمدينة ، يجتمعون بعلمائها ، ويأخذون عنهم ، ويرجعون إلى بلادهم لنشر ما تلقوا لزمن بعيد .

٢ ـ العراق :

كانت العراق من أهم المراكز الفكرية في فروع العلم والفن ، من تفسير وحديث وفقه ولغة ونحو وصرف ، وترجمة كتب الفلسفة والمذاهب الكلامية ، والعلوم الطبية والرياضية ، وحتى الغناء والطرب والنقش والتصوير ، والتأليف في جميع أنواع العلوم والفنون .

فكان إقليم العراق بحق : إقليم الظرفاء ، ومنبع العلماء ، لطيف الماء عجيب الهواء ، ومختار الخلفاء ، أخرج أبو حنيفة فقيه الفقهاء ، وسفيان سيد الفراء ، وحمزة والكسائى ، وكل فقيه ومقرىء وأديب ، وحكيم وداه وزاهد ونجيب ، وظريف ولبيب ، فيه البصرة والكوفة ، وبغداد الممدوحة في الورى .

وكان أهم مراكز الفكر في العراق في العصر الأموي " البصرة والكوفة " وكان التنافس بينهما شديدًا ، وفي العصر العباسي ظل هذا التنافس، ودخل في المنافسة مدينة " بغداد " ـ التي أنشأها المنصور ـ

وكان التنافس بين هذه المدن الثلاث في العصر العباسي أشد منه في العصر الأموي ، تبعًا لنمو الحركة العلمية ، فالبصريون والكوفيون والبغداديون في النحو والصرف واللغة والأدب والكلام ، وكل جماعة من العلماء تتعصب لبلدها ولمذهبها العلمي ، ودارت مفاخرات كثيرة بين البصريين والكوفيين في العصر العباسي ، فخر جغرافي ، وتاريخي ، وعلمي ، وكانوا يناظرون في حضرة الخلفاء والأمراء وفي مجالسهم الخاصة ، وفي كتبهم وتآليفهم .

ثم جاءت بغداد ففخرت على الكوفة والبصرة معًا ، فليس عالم أعلم من عالمهم ، ولا أروى من روايتهم ، ولا أجدل من متكلمهم ، ولا أعرب من نحويهم ، ولا أصح من قارئهم ، وقد كثر علماؤها ، والراحلون إليها ، وزهادها والأدباء فيها ، نحوًا من (٧٨٣١) ترجمة .

وظهرت بذلك ظاهرة العصبية للقطر والبلد ، وازداد في العصر العباسي ، وحملت على وضع الأخبار في مزايا البلاد وعيوبها في الأخلاق والعلم ، وكان ذلك بين الشاميين والعراقيين واضحًا على أثر النزاع العلمي بينهم .

على أن ما تفخر به بغداد تلك النهضة العلمية في رحابها إبَّان العصر العباسي ، عهد هارون الرشيد ، والمأمون ، ثم المستنصر بالله العباسي ، وأما أصحاب الفضل من العلماء والفقهاء والزهاد والعباد والأدباء والشعراء وغيرهم في بغداد ، فلا يعلم عددهم إلا الله ، ومن مشاهيرها : " الإمام أبو حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ) ، الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) ، البختري (ت٢٠٠هـ) ، الحارث المحاسبي (ت٢٤٣هـ) ، أبو بكر الرازي (ت٣١٣هـ) ، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ، أبو الحسين البصري (ت ٤٣٦هـ) " وغير هؤلاء من

الأعلام في العلم والفضل والريادة والقيادة والزهد والعباد: ، والفقه والفهم ، والأدب والشعر ، ومن المشهورين والمغمورين ، ممن جاء ذكرهم ، وورد وصفهم ، وذكرت آثارهم في كتب العلوم والفنون والتراجم .

٣ ـ مصر :

كانت في مصر حركة دينية واسعة النطاق ، القرآن والحديث والفقه والقراءات ، وتعنى بالقصص ، كان مركزها جامع " عمرو بن العاص " بالفسطاط ، حيث اتخذ الصحابة الذين شهدوا فتح مصر مقرًا لهم ولتدريسهم، وترتب على ذلك ظهور مدرسة دينية بمصر ، نشأت ثم نمت بالتدريج ، وصار لها أتباع عديدون ، أسهموا في دعم الثقافة الدينية ، التي امتلأت بها سائر أرجاء الدولة الإسلامية في صدر حياتها، وجعلوا من وطنهم في مصر مركزًا من مراكز هذه الحركة الدينية الزاهرة ، فتخصص نفر من علماء مصر في دراسة القرآن الكريم ، والحديث ، واستنباط الأحكام منهما ، حتى صارت الديار المصرية مقصد الطلاب من الأقطار المجاورة لها .

ولعل سبب هذا النشاط المبكر لمصر في ميدان الحركة الفكرية الدينية يرجع إلى أن الخلفاء اختاروا لها خيرة علماء المسلمين ، وأوسعهم ثقافة وفهمًا لشئون الدين ، وكان نواة هذه الحركة هم الصحابة الذين جاءوا ولفتح مصر وبعده واستوطنوها ، أفردهم البعض بالتأليف ، وأشهر الصحابة ممن دخلوا مصر : " أبو ذر ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص " ، وكان هؤلاء يحملون الحديث عن الرسول ﷺ وبعض الأحاديث لم تكن تُعرف إلا منهم ، وقد تلقى عن هؤلاء الصحابة حديثهم كثير من التابعين ، وتكونت بذلك مدرسة أول أساتذها

الصحابة ، فأخذ عنهم التابعون ثم الذين يلونهم .

وقد بدأت هذه المدرسة البسيطة ، يسمع أحدهم الحديث فيحفظه أو يكتبه ، ثم نمت فتخصص قوم للعلم يتدارسونه ، يدرسون القرآن والحديث ويستبطون منهما الأحكام ، ثم نبغ جماعة من العلماء المجتهدين ، مثل " سليم بن عنتر التجيبى " تولى القضاء عشرين سنة ، وهو عالم مصر وقاضيها ذلك الوقت (ت٧٥هـ) ، ومنهم " نافع مولى ابن عمر " و " يزيد بن حبيب الأزدى " ــ المؤرخ والفقيه ــ (ت١٢٨هـ) وله الفضل في التكوين العلمي لكل من " عبد الله بن لهيعة " والآخر " الليث بن سعد " (ت٥/ ١هـ) ، وهما من أعلام المدرسة المصرية في العصر العباسي في الحديث والأخبار والفقه .

وعلى الجملة فقد كانت في مصر حركة علمية دينية كبرى ، وظهرت في سماء الحركة الفكرية الأسماء اللامعة في مجالات العلم مثل " عثمان بن سعيد المصري " (ت١٩٧هـ) الملقب بورش الذي انتهت إليه رياسة الإقراء في مصر ، و " ذو النون المصري " (ت٢٤٥هـ) أحد رؤوس الصوفية في الديار المصرية ، و " عبد الرحمن بن عبد الحكم " مؤرخ مشهور صاحب كتاب فتوح مصر ، ولمع في التاريخ والنحو والأنساب أبو محمد بن عبد الملك ابن هشام ، صاحب السيرة .

وكان بجانب هذه الحركة الدينية حركة أخرى أدبية وعربية ، عمادها العرب المسلمون الذين جاءوا مصر عند الفتح وبعدها ، فعنهم كانت آثار الأقوال البليغة ، والثقافة اللغوية والأدبية ، وكان ممن وفد إلى مصر من الشعراء المشهورين في عهد عبد العزيز بن مروان : "جميل بثينة الشاعر العذرى المشهور ومات بمصر ، وكذلك كثير عزة،

وعبد الله بن قيس الرقيات ، وأبو تمام " ، وكان هؤلاء وغيرهم أثر في وجود الشعر في مصر، على أن الشعر المصري لم يزدهر إلا عقب الاستقلال عصر الدولة الطولونية .

وفي " الإسكندرية " التي تطل على البحر المتوسط ، ولها المناخ المعتدل ، الثغر المحروس ، والقطر المأنوس ، فتحت سنة (٢١هـ) بعد حصار دام أشهرًا ، وقد كانت في محط أنظار ولاة المسلمين في العصرين الأموي والعباسي ، فهي البوابة الشمالية لمصر ، وعرضة للغزوات البحرية على مرّ العصور ، فاعتبروها دار رباط ، فأصلحوا الموانى ، واهتم الولاة ببناء المساجد بها .

وكانت الإسكندرية قبل الفتح الإسلامي من أكبر المراكز الثقافية اليونانية والرومانية ، وظلت الإسكندرية تحتل مركزها الثقافي العالمي طوال العصور الإسلامية ، فقد نبغ فيها العديد من العلماء الذين تعلموا في مدارسها التي بنيت في تلك العصور .

ففي " الطب " نبغ " سعيد بن نوفل وسعيد بن البطريق " وأسهم البيمارستان الذي بناه صلاح الدين في ازدهار العلوم الطبية ، وفي العصر المملوكي نبغ في الطب " عبد الواحد المغربي " ، وفي الهندسة والفلسفة والعلوم العقلية نبغ " الرشيد بن الزبير الأسواني " و " أبو المكارم ابن عامر بن فتوح " ـــ المهندس ـــ وفي علم الفلك نبغ " ابن الشاطر الفلكي " .

وكانت الإسكندرية منذ العصر الفاطمي ملتقى علماء المغرب والأندلس والمشرق على السواء ، منهم أبا الحجاج " يوسف بن عبد العزيز بن نادر " والصقلي ، والطرطوشي .

وكانت الدراسة في العلوم الشرعية والعربية على نظام الحلقات العلمية في مساجد وجوامع الإسكندرية قديمًا وحديثًا ، وأشهر مساجدها " جامع العطارين " و " جامع الخضر و " مسجد سليمان " .

أما المدارس ، فأشهرها " المدرسة الخلاصية " ، المنسوبة لعابد بن خلاص ، و " المدرسة النابلسية " بناها الشيخ جمال الدين النابلسي ، و " مدرسة الفخر " لعبد اللطيف التكريتى .

وكانت القاهرة فيما بعد مركز الإشعاع العلمي والفكري الذي يشار إليه بالبنان ، وتهفو إليه القلوب ، فيما نجاح الشيعة الإسماعيلية في الوصول إلى عرش الخلافة ، وإعلان دولتهم في المغرب (٢٩٧هـ) ، بدأت في التوسع ، حتى نجحت في الاستيلاء على مصر (٣٥٧هـ) بقيادة جوهر الصقلي ، ورأى ضرورة إنشاء مدينة جديدة ، لتكون مقرًا للخلافة الفاطمية ، ومركزًا لنشر دعوتهما الدينية بدلاً من الفسطاط والعسكر والقطائع .

وبدأت القاهرة رابعة العواصم الإسلامية المصرية القيام بدور انقلابى في الفكر الديني والثقافي من خلال جامع القاهرة (الجامع الأزهر) الذي فتح في رمضان (٣٦١هـ ــ ٩٧٢م) ، وصار كعبة طلاب العلم بعد ذلك .

وكانت الدراسة بالأزهر قد بدأت بنظام الحلقات ــ قوام الحياة العلمية ــ وعلى منهج نشر ودراسة المذهب الشيعي المذهب الرسمي للدولة ، وقامت الدولة في عهد العزيز بالله الفاطمي (٣٧٨هـ) باختيار جماعة من الطلاب للدراسة في الأزهر بصفة دائمة ووفق نظام رتيب ، وهذا المشروع العلمي الذي اقترحه الوزير " ابن كلس " لقى استجابة

من الخليفة ، وكان يُعد حركة تعليمية ترعاها الدولة بشكل رسمي ، فتختار الطلاب والمعلمين والمنهج وتجرى عليهم الرواتب والأرزاق .

وظل الأزهر مركزًا للثقافة الدينية والدراسات اللغوية والأدبية في القاهرة ، ينافس جوامع مصر والعالم الإسلامي ، يهدف في بدايته دراسة العلوم والمبادىء العامة للفقه الشيعي ، ويتطور الأزهر فيما بعد ليكون النبراس الذي ينشر المذهب السني ويصبح جامعًا وجامعة وقبلة طلاب العلم في القاهرة من شتى بقاع العالم ، ويغدو مركزًا عالميًا ، يعشقه العلماء والطلاب من كل مكان حتى الآن ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها .

٤ ــ الشـــام :

حظيت الشام بحركة علمية دينية تتدارس القرآن ، وتروى الحديث، وتستنبط الأحكام ، نواتها علماء الصحابة الذين دخلوا الشام عند الفتح وبعده، مركزها جامع دمشق ، من أشهرهم " معاذ بن جبل ــ الأنصارى الخزرجى ــ من علم الناس بالحلال والحرام ، ومنهم " أبو الدرداء الأنصارى الخزرجى " ، قاضي دمشق عهد معاوية ، و " تميم الدارى " عابد أهل فلسطين ومن عنده علم الكتاب ، غير كثير من علماء الصحابة الذين نزلوا الشام ، وحدثوا عن رسول الله ، وعلموا الناس الإحكام والأخبار والحلال والحرام .

وجاءت بعدهم طبقة من التابعين أخذت عنهم علمهم ، وزادت فيه باجتهادهم وفتاويهم ، مثل " عبد الرحمن بن غنم الأشعري " ، ومثل " كعب الأحبار " ، الذي خرج إلى الشام ، وسكن حمص ، وملأ الشام وغيرها من البلدان الإسلامية برواياته وقصصه من علم أهل الكتاب .

وجاءت بعدهم طبقة أخرى ، من أشهرهم " مكحول الدمشقي ، ورجاء بن حيوة " ، من أهل العلم والفتيا والعقل والنبل ، ومنها " عمر بن عبد العزيز " الحنيفة الفقيه المجتهد العالم بالسنة ، يرجع إليه قضاة الأمصار ، ويحض على جمع الحديث ونشره وتعليمه .

ثم تركز علم الشام في الأوزاعى (ت١٥٧هـ) ، كما تركز علم الحجاز في " مالك " وعلم العراق في " أبى حنيفة " وعلم مصر في " الليث بن سعد " .

وكان للإمام الأوزاعى مذهب في الفقه كمذهب مالك وأبى حنيفة يميل إلى مدرسة الحديث ، وعمل أهل الشام بمذهبه حيناً ، وانتشر بالأندلس لرحلة الشاميين المعتنقين مذهبه إلى الأندلس ، ثم حل محل الأوزاعى مذهب الشافعي في الشام ومذهب مالك في الأندلس .

وكانت هذه الحركة الدينية في الشام قوية وواسعة وإلى هذه الحركة الدينية كان هناك حركة أخرى أدبية ، نواتها العرب الذين نزلوا الشام ، وهي حركة من مصر والشعر كانت أقوى في الشام عن مصر، فشعراء الشام أكثر عدد وأغرز قولا ذلك لقرب الشام من بلاد الحجاز ، ووفود نوابغ الشعراء إلى بلاد الشام ومصر " الأعشى وحسان ابن ثابت" .

ولما جاء العهد الأموي كانت " دمشق " حاضرة الدولة الإسلامية وكان حينئذ الأمويون والأمراء الأمويون عربًا خلصًا في دمهم وذوقهم، أحب شيء إليهم أن يتسامروا بأحاديث العرب وأيامهم وأخبارهم ، وأن يسمعوا الشعر من شعر لهم ومن وفد عليهم ، ثم كانت بالشام الأحزاب السياسية وشعراؤها ، كل ينصر حزبه بالشعر ، فجعل ذلك الزعامة

الشعرية في العصر الأموي للشاميين أصلاً أو موطنًا أو وفادة ، فالشام ساحة " جرير والفرزدق والأخطل والأحوص " وغيرهم .

وكانت دمشق قد فتحت سنة (١٤هـ) ، وكان عليها معاوية بن أبى سفيان ، واتخذها الخلفاء الأمويين عاصمة لهم ، فعرفت عصرها الذهبي ، ابتداء من عهد الخليفة " معاوية " ، ومن أهم معالمها في العصر الإسلامي " الجامع الأموي الكبير " ، الذي بنى في العصر الأموي ، وله باع طويل في الحركة الفكرية الإسلامية خلال العصر الإسلامي .

ولما جاء العصر العباسي تحولت الزعامة الأدبية من الشام إلى العراق تبعًا لتحول الحاضرة من دمشق إلى بغداد ، فكان مسلم بن الوليد، وأبو العتاهية ، ومروان ابن أبى حفصة ، وأبو نواس ، وغيرهم عراقيين لا يدانيهم في شعرهم ــ في عصرهم ــ شامي ولا مصري ، ولم يكن للعراق في هذا الباب نظير .

٥ ــ شمال إفريقيا :

انطلقت الجيوش الإسلامية ــ عقب الفتح الإسلامي لمصر ــ تجاه بلاد المغرب ، لترفع راية الإسلام ، وتنشر الدعوة الإسلامية ، تُنشأ المساجد وتؤسس المدن الكبيرة ، وأشهر المراكز الإسلامية في هذه البلاد كانت مدينة " القيروان " ، وهي أول مدينة إسلامية في المغرب العربي ، أسسها عقبة بن نافع سنة (٤٩هـ ــ ٦٦٩م) حين غزوه أفريقيا .

وعلى امتداد تاريخها ، ذاع صيتها ، وكثرت مبانيها ، وازدهرت أسواقها ، وامتد إشعاعها إلى جميع الأركان .

ومن أهم معالم القيروان " مسجد القيروان " أول جامع في شمال إفريقيا عهد عقبة بن نافع ، وغدت القيروان مركزًا سياسيًا وعسكريًا وثقافيًا من هذا الحين ، فكانت تخرج منها الجيوش الإسلامية للفتح وفيها العدة والعتاد ، وصارت منبعًا للدين يلجأ إليها البربر لاعتناق الإسلام ودراسة تعاليمه على أيدي الصحابة والعلماء والفقهاء ، وصارت المدينة عاصمة الإسلام في المغرب ، ومركزًا من مراكز الفكر والحضارة الإسلامية .

وكانت الحياة في القيروان عملية تربوية تعليمية ترتبط بحياة العلماء وتستوي قائمة فتمتد فروعها ، وتتشابك أغصانها ، وتتفتح أزهارها ، فتملأ الجو بالأريج والشذى بما يعود على الحياة عمومًا بالتقدم والازدهار .

وابتدأت الحياة الفكرية في القيروان بالعلوم الدينية ، على قمتها تعليم القرآن والحديث والفقه والتفسير التي قدم بها صحابة النبي ﷺ ومن تبعهم ، وذكر المؤرخون أن إفريقيا دخلها تسعة وعشرون أو ثلاثون صحابيًا من صحابة رسول الله ﷺ خلال فترة فتحهم لإفريقيا ، منهم من شهد العقبة ، ومنهم من شهد بدرًا ، وما بعدها من المشاهد ومنهم من شاهد بيعة الرضوان وصلى إلى القبلتين ، وممن تولى غرس بذور الحياة الفكرية من تابعي الصحابة " أبو عبد الله محمد بن أوس الأنصاري " ــ الفقيه الصالح المحيط بالرواية والدراية ــ ، و " حنش الصغانى " روى عن عدد من الصحابة ، و " على بن رباح اللخمى " محدث ومجاهد في سبيل الله ، و " أبو أيوب سليمان بن يسار " (ت٩٤هـ) محدث المدينة وفقيهها ، أقام في إفريقيا بعد أن قدم غازيًا ، ثم عاد للمدينة حتى وفاته .

وقد علم هؤلاء وغيرهم أهل القيروان كتاب الله وسنة رسوله ، وما يعلمونه من فقه في الدين وتفسير كتاب الله تعالى ، وكانت أخلاقهم وسيرتهم وحياتهم أسوة كريمة يقتدى بها أهل القيروان في السلوك والأخلاق .

ومن أولئك الصحابة والتابعين تلقى ناشئة العرب " المولدون " وأبناء الأفارقة والبربر الذين شرح الله قلوبهم للإسلام ، والقرآن والسنة والتعاليم الدينية ، والتمسك بالحق والجهر به .

وعندما تولى الخليفة " عمر بن عبد العزيز " (ت١٠١هـ) ، الخلافة اختار عشرة من فقهاء التابعين من أهل العلم والفضل ، وألقى على عاتقهم مهمة القيام بنشر تعاليم الإسلام ، وتثقيف المسلمين في إفريقيا ، فقدمت بعثة الفقهاء إلى القيروان واستقرت فيها ، وكان لكل واحد منهم جهود موفقة ذات أثر عميق في تثقيف المسلمين ، كانت مقدمات لبزوغ فجر الحركة الفكرية في العلوم الدينية في مدينة القيروان، وكان المقر الرئيسي لهم مدينة " القيروان " ، حيث بنى كل منهم دارًا ومسجدًا وكتابًا أو مدرسة صغيرة ، ففي الكتاب يكون تعليم الصغار للقرآن ، فإذا ما كبروا ، كان حضورهم لحلقة العلم في المسجد، حيث يتلقون الحديث والأحكام الفقهية والتفسير وسيرة الرسول وغزواته .

ومن هؤلاء الفقهاء العشرة : " إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر المخزومى " ــ رئيس البعثة ــ كان مثالاً للزهد والتواضع والتقشف مجاهدًا في دعوة البربر للإسلام توفي بالقيروان سنة (١٣٢هـ) ، و " إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري " (تاجر الله) من أهل الفضل والعبادة والنسك والزهد والتقشف ، جعل ثلث ماله لله تعالى

للصرف في وجوه الخير ، وبنى مسجد كبير بالقيروان يعرف بمسجد الزيتونة ، يعمره بالتعليم والعبادة (ت١٠٧هـ)، مات في غزوة عطاء إلى صقلية وهو معانق للمصحف .

وإذا تأملنا هذه البعثة العلمية في القيروان نلاحظ أنها من أبناء المهاجرين والأنصار من العرب والعجم ، جمع بينهم الإسلام ، والعمل على نشره ، فكانوا أساتذة الحركة الفكرية للقيروان ، وظلوا في القيروان يوقدون مشاعل الفكر والهداية حتى أدركتهم الوفاة ، وبوجودهم انتشرت في القيروان المساجد والمدارس الصغيرة ، لتعليم الناس ، وشاع تعلم القرآن والحديث والفقه والتفسير ، واتبع الناس التعاليم والآداب الشرعية ، وصارت القيروان بفضلهم قبلة البربر لمعرفة الإسلام وأحكامه وآدابه ، فصاروا دعاة لقبائلهم .

ثم إن هذه البعثة صارت مصابيح الظلام في القيروان ، والمعلمين الأوائل لنشر علوم الشريعة ، وقد قاد نور الهداية والحركة الفكرية بعد ذلك تلامذتهم من أبناء القيروان ، الذين رحلوا إلى المشرق لأجل الاستزادة من علوم الشريعة ، ثم عادوا ليكونوا فقهاء وعلماء بلادهم ، وامتدادًا لبعثة الفقهاء خلال فترة حكم الولاة ، وإيذانًا ببزوغ فجر ازدهار الحركة الفكرية في القيروان ، ومن أشهرهم : " عبد الرحمن بن زياد المعافرى القاضي " (ت ق ٢هـ) ، " عبد الله بن فروخ الفارسي " (ت ق ٢هـ) ، " البهلول بن راشد الرعينى الفقيه الزاهد " (ق ٢هـ) ، " عبد الله بن عمر بن غانم الرعينى القاضي " (ق ٢هـ) ، وبذلك أصبحت القيروان مستعدة لاستقبال ازدهار الحركة الفكرية في مجال الحديث والتفسير والفقه التي قام بها تلاميذ هؤلاء العلماء الأعلام ، مع حرصهم على الرحلة والاستزادة من العلم .

وقد كانت القيروان منذ تأسيسها مدينة عربية إسلامية لحمًا ودمًا وسكنًا ثم خالطهم وساكنهم من دخل الإسلام واعتنقه وأخذ عنهم العربية، فتحدث من سكن القيروان بهذه اللغة ، وقد أقبل البربر على هذا الدين وتلك اللغة بعد اعتناقهم هذا الدين كثمرة للجد والنشاط من دعاة الإسلام ، فكانت العربية لهم لسانًا ضاربين بلغة البربر ــ لغتهم ــ صفحًا ، فكانت هذه العوامل التي جعلت القيروان تنمو منزلتها مبكرًا في مجال الفكر والأدب واللغة .

ولم يقتصر النشاط الفكري في مجال العلوم الدينية والأدب وعلوم اللغة، بل تناول العلوم العقلية في علم العقائد والمذاهب الكلامية وأهم هذه المذاهب وأكثرها انتشارًا وأنصارًا ، ومثلت الغالبية العظمى من سكان القيروان " أهل السنة " وفي حدود ضيقة " المعتزلة والمرجئة " والخوارج (صفرية وإباضية) .

ومن هذا العرض يتبين أن القيروان من المراكز الفكرية والحضارية ، التي قصدها العلماء والطلاب والأدباء والشعراء ، وكان لها أثر كبير في نشر العلوم الدينية والعربية والعقلية ، مما جعلها في عداد البلاد التي حملت راية الفكر الإسلامي ونشره خلال العصر الإسلامي .

٦ ــ بلاد المشرق الإسلامي :

اتجهت الفتوحات الإسلامية على امتداد حركة الجهاد الإسلامي شمالاً وغربًا وشرقًا ، فأخضعت البلاد تحت راية الإسلام ، فتحت الباب واسعًا أمام الشعوب للتعرف على الفكر الإسلامي من جميع جوانبه ، فدخل من هذه الشعوب الجديدة الكثير في دين الله تعالى ، منهم من حمل

لواء نشره والتبليغ عنه ، والنبوغ في معارفه وعلومه ، ومن هذه البلاد: " بخارى " ، وهي تقع في آسيا الوسطي (في جمهورية أوزبكستان) ، إحدى مدن بلاد ما وراء النهر فتحت سنة (٨٩هـ) على يد الفاتح المسلم " قتيبة بن مسلم الباهلى " وبنى فيها أول مسجد جامع سنة (٩٤هـ) ، ومن أعلام بخارى الإمام " إسحاق بن راهويه " والإمام " البخاري " العالم البارز الذي تُعرف به مدينة بخارى ، رحل لطلب الحديث وكتب صحيح الجامع ، وتوفى بإحدى مدن سمر قند سنة (٢٥٦هـ) .

ومن هذه البلاد أيضًا : " خوارزم " ، من بلادها ما وراء النهر ، فتحها " قتيبة بن مسلم " سنة (٣٩هـ) ، واحتلت مكانة كبرى في عصر الدولة السلجوقية إبان عهد السلطان سنقر ، وفيها معالم باقية من المآذن والجوامع والمدارس ، ومن أهم أعلامها " الخوارزمي " ــ مؤسس علم الجبر ــ ونبغ في علم الفلك والجغرافيا ، توفى سنة (٢٣٥هـ) .

ومنها مدينة " كابل " في شرق وسط الإقليم الأفغاني ، ومن المراكز التجارية لطرق المواصلات ، فتحت عهد الخليفة الأموي " الوليد بن عبد الملك " ، وتتابع على حكمها ولاة من الدولة الأموية والعباسية ، واستقل بها في ظلال الدولة العباسية دويلات مختلفة مثل " السامانية ، وبنو بويه ، الغزنوية ، الخوارزمية والصفارية " ، وبها المآذن والقلاع والمتاحف والمساجد ، ومن أعلامها " الإمام الفقيه أبو حنيفة النعمان " الإمام الأعظم ، رحل لطلب العلم وتوفى ببغداد ، والإمام " عبد الله الهروى " إمام التفسير الثقة ، ومن الأطباء " الشيخ ابن سينا ، وأبو منصور الهروى " ، ومن المؤرخين والجغرافيين " أبو الريحان البيروني ، والنضر بن عبد الجبار ، وأبو زيد البلخى " ومن

علماء اللغة والأدب والنحو " أبو عمرو الهروى " .

وتُعد مدينة " نيسابور " من أهم مدن إقليم خراسان ، في أقصى الشمال الشرقي ــ تقع حاليًا في إيران بين طهران ومشهد ــ كانت مدينة عظيمة ، ذات فضائل ، معدن الفضلاء ، ومنبع العلماء ، ذات تاريخ وفكر وحضارة منذ دخلها الإسلام سنة (٣١هـ) ، أيام الخليفة الراشد " عثمان بن عفان " ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت المدينة من مدن الحضارة الإسلامية ، تعاقب عليها الولاة والأمراء في العصرين الأموي والعباسي .

وكانت نيسابور من المراكز الحضارية العلمية الإسلامية في المشرق الإسلامي ، خرج منها الكثير من الأئمة والعلماء ، منهم " الحافظ الإمام المحدث أبو علي النيسابورى " و " أبو القاسم القشيرى " صاحب الرسالة القشيرية في التصوف ، والشاعر المعروف " عمر الخيام " .

ومن أشهر أعلام هذه المدينة الإمام الجوينى " إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجوينى الشافعي " ، وهو أحد العلماء البارزين، جار في مكة والمدينة وأفتى ودرس ، وبنى له الوزير " نظام الملك " مدرسة في نيسابور ، فيسمع منه الطلاب وأكابر العلماء ، ومن تلاميذه " الإمام المشهور أبو حامد الغزالي " وكان الإمام الجوينى من علماء أصول الفقه والعقيدة ، ولها في ذلك كتاب " البرهان " ، وتوفى بنيسابور سنة (٤٧٨هـ) .

ومن أعلامها " أبو بكر الخوارزمي النيسابورى (ت٣٨٣هـ) الشاعر المشهور ، إمام اللغة والأدب والأنساب ، وتوفى بنيسابور ،

وغير هؤلاء العلماء الفضلاء ممن كان لهم الفضل لا ينكر في نشر الفكر وإثراء حركة الفكر الإسلامي في تلك البلاد بالمشرق الإسلامي .

٧ ــ بلاد الأندلس :

يُعطى الاستقراء العام لحال بلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي أن هذه البلاد لم تكن بحال يسمح لها القيام بدور حضاري في ظل حكام من العناصر الغازية التي أسهمت في انزواء الحضارة الرومانية من غرب أوربا ، كما أن طوائف الشعب هي الأخرى لم تكن صالحة لأداء هذا الدور الحضاري وهي ترزح تحت وطأة العسف والظلم الاجتماعي .

لكن الأقدار كانت تدخر الشعب الأندلسي دورًا هامًا في التاريخ الإنساني في ظل الحكم الإسلامي ، الذي تحولت به هذه البلاد إلى واحد من أهم مراكز الحضارة الإسلامية التي كان لها الفضل في إخراج أوربا من ظلام العصور الوسطى .

وتحت زعامة " عبد الرحمن الداخل " وتأسيسه الدولة الأموية بهذا الإقليم ، وحدها تحت زعامة سياسة واحدة ، وبدأت تظهر فيها ملامح الحضارة الإسلامية القوية الناشئة ، وقد رحلت إلى الأندلس عناصر من أمراء البيت الأموي وأتباعهم من مختلف بلاد المشرق ، مما كان سببًا في نهوض الأندلس في مختلف الحياة ، خاصة الناحية الفكرية ، فقد كانت هذه الجموع تضم الكثير من علماء المشرق الذين آثروا المقام في بلاد الأندلس ، وأخذت قرطبة من هذه الحقبة تشق طريقها في مجال الفكر الإسلامي ، وتمضي في هذا الطريق كواحدة من أهم مراكز الفكر والعلم في الحضارة الإسلامية .

وقد عنى " الناصر " بالناحية العلمية التي ازدهرت على عهده ،

إضافة لما بذله ــ بعد ذلك ــ ابنه " الحكم المستنصر " من عناية تقدمت بها مجالات البحث في علوم الدين واللغة والأدب والفلسفة والطب والفلك وغيرها من العلوم التي ظهر فيها النوابغ من علماء المسلمين ، الذين صارت مؤلفاتهم عمدة الأجيال اللاحقة .

وأحرزت قرطبة في ظل الحكم الإسلامي تقدماً وسبقاً حضارياً في مجال العلوم ، وكانت جامعاتها مقصد طلاب العلم من مختلف دول أوربا مثل " ألمانيا وانجلترا وفرنسا وإيطاليا " ، وذلك بالتقدم المذهل الذي حققته حركة النشاط العلمي في الأندلس في مختلف المجالات ، وساعدت سياسة التسامح الإسلامي على تتلمذ أبناء أوربا على يد علماء المسلمين في قرطبة ، ومن أشهر تلاميذ أوربا " جربرت " الذي أصبح فيما بعد سنة (٩٩٩م) بابا روما ، وقد أبهر بعلومه معاصريه ، وهى المعارف التي تلقاها على أيدي المسلمين ، كما حرص ملوك وأمراء أوربا على إيفاد بعثات إلى أسبانيا الإسلامية ، للوقوف على حضارتها ، وتثقيف أولادهم بثقافة المسلمين .

وقد ظل الحرص على الإفادة من التراث الفكري الإسلامي في الأندلس حتى بعد زوال السلطان الإسلامي منها ، وتحولت مدينة "طليطلة" منذ سقوطها في أيدي المسيحيين سنة (١٠٨٥م) من مراكز الترجمة الهامة لنقل وترجمة التراث الإسلامي إلى اللغة اللاتينية ، في علوم الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والطبيعة والمنطق والفلسفة وغير ذلك من العلوم .

ووضع " الفونسو الخامس " ــ الملقب بالحكيم ــ (١٢٨٤م) العلوم والثقافات العربية خاصة الفلسفة والكيمياء والفلك في مدينة " طليطلة " تحت متناول أيدي الراغبين في العلم من الأوربيين ، كما

أحاط نفسه بكبار العلماء من المسلمين واليهود .

ولو تتبعنا أسباب التقدم في أوربا في عصرها الحديث والمعاصر، لوجدنا أنها تنبع من الثقافة الإسلامية التي تتلمذ الأوربيون عليها ، وكانت أسبانيا من أهم معابر هذه الثقافة ، ويقول المؤرخ " رينو " : " إن النهضة الأوربية الحقيقية إنما بدأت منذ القرن الثاني عشر حين أفاق الفرنسيون والألمان والإنجليز من رقدتهم ، وأخذوا يأمون أسبانيا لترجمة الكتب العربية".

٨ ــ جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا :

تقع هذه الجزيرة في البحر الأبيض المتوسط ، وتتوسط الطريق البحري بين أوربا وأفريقيا ، ولعبت دورًا هامًا في توجيه السياسة الرومانية والبيزنطية التي هدفت إلى تحقيق السيادة على جنوب أوربا وشمال أفريقيا ، وكانت تمثل القاعدة التي ينطلق منها الأسطول البيزنطي على المسلمين في شمال أفريقيا ، وكانت في نهاية القرن السابع الميلادي من أهم الثغور في الدفاع عن الجناح الغربي للإمبراطورية البيزنطية .

ولم يكن المجتمع الصقلي في ظل الحكم البيزنطي سعيدًا مكفول الحرية، وكانت حياته في ظل الظلم والعسف نوعًا من العذاب ، حتى اختفى فيها كل شعور بالإنسانية ، وبلغت درجة كبيرة من التخلف والانحطاط .

وفي ظل هذه الأوضاع فتح المسلمون صقلية كدافع من دوافع الأمن الذي حتمه الاستقرار الإسلامي في شمال أفريقيا ، وكان هذا الفتح يمثل حلقة من حلقات الصراع مع البيزنطيين ، واستغرقت أعمال

الفتح من سنة (٢١٢ــ ٢١٧هــ) ، عهد دولة الأغالبة ، ثم دخلت تحت الحكم الفاطمي سنة (٣٣٦هــ) شهدت خللها الجزيرة ــ عهد أسرة بنى الحسيني ــ تقدمًا واسعًا في الحياة العمرانية والعلوم والآداب .

وفي خلال العصر الإسلامي انتعشت ثروة الجزيرة وارتقت المعيشة فيها في مختلف مظاهر الحياة ، فنشطت الحركة العمرانية ، وأنشئت القصور والمساجد الكثيرة ، وكانت هذه المساجد عماد الحركة العلمية التي نشطت بالجزيرة في مختلف فروع العلم ، واقترن بكثرة المساجد كثرة المعلمين التي أشار إليها ابن حوقل في حديثه عن "بالرمو" ، ويسر المسلمون مهمة نشر التعليم بمختلف الوسائل ، حتى أنهم أعفوا المعلمين من الجهاد والغزو للتفرغ في أداء دور التعليم وتوجيه الرأي العام في الدين والدنيا على ضوابط الشرع الإسلامي .

وازدهرت في صقلية الدراسة في مختلف العلوم الدينية والعربية كعلوم القرآن والحديث والفقه وعلوم اللغة وغيرها من العلوم التي تمثل عماد الفكر الإسلامي ، كما نشطت فيها الدراسات الفلسفية ، وأنشأ المسلمون في " بالرمو " أول مدرسة للطب ، مما ساعد على تقدم هذا الفرع من العوم ، وظهور بعض الأطباء الصقليين الذين كان لهم شأن في البلاط الفاطمي بمصر وبلاط الأمويين بالأندلس ، ومن صقلية انتشر الطب في بلاد إيطاليا .

وقد ظل دور المسلمين واضحًا وقويًا في توجيه جوانب الحياة المختلفة في صقلية حتى بعد زوال سلطانهم السياسي على هذه الجزيرة، على أيدي ملوك النورمان الذين استولوا على صقلية من أيدي المسلمين، وقد بالغ ملوك النورمان في التقرب من المسلمين فاتخذوا منهم أعوانًا في شئون الحكم وقدموا العلماء منهم ، مما ساعد على

استمرار الدور الذي قاموا به في نشر الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي بالجزيرة ، ومن العلماء الذين علا شأنهم في بلاط النورمانديين "الشريف الأدريسي" ، أعظم الجغرافيين ، وأشهر رسامي الخرائط في العصور الوسطي المظلمة الوربية ، وقد علا شأن الأدريسي في بلاط الملك " روجر الثاني " (١١٣٠ ــ ١١٥٤م) .

وقد كانت اللغة العربية إحدى اللغات التي كُتبت بها مراسيم الدولة في العصر النورماندى ، كما كانت النقود تسك بالعربية في وجه واحد منها ، وكان " روجر الثاني " يرتدى الملابس العربية ، وكانت شواهد قبور النصاري تكتب بالعربية ، مما يدل على تمكن اللغة العربية في الجزيرة حتى القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي .

وكانت صقلية تزخر بالتراث الفكري الذي حققه المسلمون في مختلف فروع المعرفة خلال الحكم الإسلامي ، الذي امتد حوالي ثلاثة قرون ، وأضافوا إليه في ظل الحكم النورماندى ما أدى إلى وجود الكثرة الكاثرة من المؤلفات التي حوتها خزائن الكتب بصقلية وجنوب إيطاليا ، وتحت رعاية النورمانديين أقبل علماء وطلاب العلم من أوربا للإفادة من هذا التراث الفكري والعلمي وكان بلاط الملك " فريدريك الثاني " (١٢٢٥ــ ١٢٥٠م) غاصاً بعلماء أوربا ، يراجعون ويطالعون مؤلفات الطب والفلك والرياضيات والهندسة ومختلف العلوم التي ازدهرت بجهود المسلمين في صقلية .

وقد انبعث شعاع الحضارة والفكر الإسلامي من صقلية إلى أجزاء واسعة من إيطاليا خاصة في الجنوب ، ووصل إلى القرب من روما العاصمة تحت عجلة الفتح الإسلامي ، وكان اتساع هذا النفوذ في هذه المناطق من العوامل الأساسية لانتشار النفوذ الثقافي الذي ظل نحوًا من

ثلاثة قرون تأصلت فيها حركة الفكر الإسلامي وازدهرت حضارته ، حتى استعرب أهل الجنوب إيطاليا ، وتكلموا بالعربية ، حتى انتقل هذا التأثير الحضاري من الجنوب إلى الوسط والشمال .

وقد ظل التأثير الفكري للمسلمين في هذه المناطق حتى زوال الحكم الإسلامي ، كما ازدادت مع الأيام تأثيرات هذا النفوذ ، وصارت إيطاليا مع صقلية مركزًا هامًا من مراكز الفكر والحضارة الإسلامية ، ومعبرًا من أهم المعابر الفكرية والحضارية التي عبرت منها هذه الحضارة إلى أوربا .(١)

---

(١) عن مراكز الفكر والعلم عند المسلمين ينظر بالتفصيل كتاب " محاضرات في مراكز الحضارة الإسلامية " للدكتور طه عبد العزيز الخطيب وعبد المعز فضل عبد الرازق (صفحات متفرقة) ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، وللمزيد ينظر فيما يرتبط بهذا الموضوع في مراجعه ومصادره منها : البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١ ، البلاذري : فتوح البلدان ، السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج ١ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، د / إبراهيم العدوى : مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام ، أحمد أمين : فجر الإسلام، وضحى الإسلام ، آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، استانلى بول : العرب في أسبانيا ، حسن الرزاز: عواصم مصر الإسلامية ، حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، د / محمد محمد زيتون: القيروان ودورها الحضاري في الحضارة الإسلامية ، د / محمد المنسي عاصي : تاريخ المغرب والأندلس ، ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، د / علي محمد الصلابي : صفحات متفرقة من التاريخ الإسلامي ، ج ١، ٢ .

صلة الحضارة والعلوم الإسلامية بالحضارات السابقة (١)

من الثابت أن أهم مرتكزات وأصول العلوم الإسلامية ــ بصفة عامةــ تكمن في دعوة الإسلام وآيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي ﷺ، وقد عرضنا في الصفحات السابقة بعضًا من الآيات القرآنية التي تدعو إلى طلب العلم وتحض العلم ، وهي نظرة لا تجد لها مثيلاً في أي حضارة أخرى .

وقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يأخذ الخلف من السلف ، وذلك لعدم وجود حضارة مستقلة بذاتها ، استغنت عن جهودها سابقتها ، فالإنسان لا يمكن أن يقطع الصلة بماضيه وكذلك الشعوب والأمم ، من هنا فإن الحضارة لا تولد من لا شيء ، أو منقطعة الصلة بما سبقها من حضارات . وبناءً على ذلك فإن الحضارة الإسلامية بنظمها وعلومها وفنونها وكل ما أنتجته لم تنشأ مقطوعة الصلة بالعلوم القديمة . إلا أن الإسلام وعلماء المسلمين وضعوا هذه العلوم في إطار من التميز والتقدم الذي من شأنه أن يخدم الإنسان ، وكانت وشيجة الإسلام تحيط بكل هذه العلوم .

كما أن النظرة الواقعية تؤكد على أن الحضارة أخذ وعطاء ، وأنها تبادل التأثير والتأثر وأنها تراكم معارف ، وأن التراث الحضاري الإنساني ملكًا للإنسانية كلها ، وأن الحضارات سلسلة من التدرج

---

(١) بقلم الدكتور / محمد أحمد الشحري (أستاذ مساعد التاريخ والحضارة الإسلامية ، بقسم التاريخ ، جامعة الأزهر) . من كتاب (العلوم والفنون الإسلامية وأثرهما في تقدم أوربا ، طبع مطبعة الرحمة ، ص ١٩ ــ ٣٣ ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

والتقدم، تصعد إليها البشرية درجة درجة ، وأنها إشعاع يضيء الدنيا يأخذه اللاحق من السابق .

والحضارة الإسلامية لم تكن كيانًا منفصلاً عن الحضارات عليها أو المعاصرة لها ، إلا أنها ــ أي الحضارة الإسلامية ــ تميزت بخصوصيات عديدة لعل أهمها : التسامح ، الذي جعل المسلمين وبناء على عودة الإسلام وحثه لهم على طلب العلم ينهلون من علوم الحضارات الأخرى ، ليس هذا فحسب ! بل عرفوا كيف يتعاملون مع هذه العلوم ويجعلونها في خدمة الإنسانية وأمامهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ .(١)

كما أن الحضارة الإسلامية تميزت بأنها كانت منفتحة ولم تعرف الانغلاق والتقوقع ، فهي حضارة للعالمين ، فكان من صحابة رسول الله ﷺ بلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي .

فالدعوة لم تكن محصورة في قوم دون آخرين . وكان نداء الله سبحانه وتعالى للناس جميعًا في قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.(٢)

فالتقوى هنا مناط الأمر ، والدعوة الإسلامية لجميع الناس ، فدخل في الإسلام العديد من الأجناس تحت هذه المظلة الإسلامية ، فمنهم الفارسي ، والحبشي ، والرومي ، وغيرهم ، وكل يضيف معارفه إلى ما تعلمه من الإسلام ، طالما أن ذلك يخدم الأمة ولا يتعارض مع الدين.

---

(١) سورة طه : آية ١١٤ .
(٢) سورة الحجرات : آية ١٣ .

هذا بالإضافة إلى الإرث العربي القديم الذي حمله العرب معهم بعد إسلامهم ، والذي تمثل في بعض معارفهم القديمة ، التي لا تتعارض مع قيم الإسلام وثوابته ، أضف إلى ذلك ما شهدته جنوب وشمال ووسط الجزيرة العربية من معارف ، فالحضارة المعمارية والمتمثلة في سد مأرب في جنوب الجزيرة تشهد على ذلك ، كما أن النشاط التجاري القديم بين الجزيرة العربية ومختلف الدول المجاورة شاهد آخر على أن العرب لم يكونوا بعيدين عن المؤثرات الخارجية المحيطة بهم ، كما أن شمال الجزيرة العربية شهدت حضارة زاهرة ، بالإضافة للدور المحوري الذي قام به عرب وسط الجزيرة العربية ثم يأتي بعد ذلك الأجناس التي دخلت الإسلام وامتزجت وانصهرت في إطار الإسلام وتعاليمه فكان النتاج الإسلامي في العلوم والمعارف من أعظم ما قدمته الحضارة الإسلامية للإنسانية بأسرها .

على كل حال فإن الحضارة الإسلامية التي قامت على أسس عديدة منها التسامح ، وإحترام الإنسان وقيمته في الحياة ، وجعلت له هدفًا يعمل من أجله . قد استفادت من الحضارات السابقة والمعاصرة لها ، إلا أن الطاقة التي فجرها الإسلام في عقول من دخلوا فيه واعتنقوه كان لها أكبر الأثر في التقدم العلمي الذي شهده العالم إبان ازدهار الحضارة الإسلامية في عصورها الزاهرة .

وقبل أن نتعرف على كيفية تعامل المسلمين مع الحضارات السابقة ينبغي أن ننوه إلى أهم المدارس العلمية في تلك الحضارات ، التي تتمثل إجمالاً في :

١ ــ الحضارة الفارسية .

٢ ــ الحضارة اليونانية .

٣ ــ الحضارة المصرية القديمة .

٤ ــ الحضارة الهندية .

المؤثرات الخارجية في العلوم والحضارة الإسلامية

يؤكد الإطار الجغرافي الذي نشأت فيه الحضارة الإسلامية مدى تأثرها بالحضارات الأخرى ، فالإطار الجغرافي الذي نشأت فيه هذه الحضارة بعد فتوحاتها ، امتد من الهند شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا ، ومن بحر قزوين شمالاً إلى بلاد النوبة جنوبًا ، وشمل مناطق جغرافية مختلفة ، وتضاريس ومناخ ومنتجات وشعوب متنوعة ، ولعل هذا التنوع أسبغ على الحضارة الإسلامية طابعًا مميزًا ، فقد استفادت من خبرات هذه الشعوب وتفاعلت معها، بما لا يتعارض مع ثوابت الإسلام ـــ هذا من ناحية ـــ يضاف إلى ذلك أن هذه النتيجة ما كانت تصل غليها الحضارة الإسلامية لولا أن الشعوب التي دخلت في الإسلام وجدت فيه مبتغاها ، فسرعان ما تغلغلت روح الإسلام في نفوس هذه الشعوب ، فانطلقت الطاقات العلمية في كل مجال من مجالات العلم ، فكانت المحصلة النهائية إنتاج حضارة إسلامية ذات خصائص مميزة سادت الدنيا .

أما أهم المؤثرات التي تأثرت بها الحضارة الإسلامية فتتمثل في :

أولاً : الحضارة الفارسية :

تعد الأمة الفارسية من الأمم العريقة ذات الشرف والعز ، وأهم ما ميز الفرس حسن السياسة وجودة التدبير ، لا سيما ملوك بني ساسان منهم ، فهم كما يصفهم " صاعد " " لم يكن في سائر الأعصار مثلهم رجاحة الأحلام وكرم سيرة ، واعتدال مملكة وبعد صيت " .(١)

---

(١) أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي (ت ٤٦٣ هـ) ـــ طبقات الأمم ـــ مطبعة مطر بمصر ـــ د . ت ـــ ص ١٧ .

ويمكن تلخيص أهم خصائص الفرس العلمية فيما يلي :

١ ـــ كان للفرس عناية بالغة بصناعة الطب ، ومن المشهورين في هذا المجال في أيام الفرس ، ووصل إلينا تأليفه ونقل إلى العربية : تيادورس النصراني ، والذي بنى له سابور ذو الأكتاف البيع في بلده ، ويقال إن الذي بناها له بهرام جور ، ونقل له إلى العربية كتاب " كناش تيادورس " .(١)

٢ ـــ من مميزات الفرس أيضًا أن لهم معرفة ثاقبة بأحكام النجوم وتأثيرها في العلم السفلي .

٣ ـــ كانت للفرس أرصاد للكواكب قديمة ، ومذاهب في حركاتها مختلفة من ذلك : المذهب الذي ألف عليه أبو معشر جعفر بن محمد البلخي (ت ٢٧٢ هـــ) (٢) زيجة الكبير ، وذكر أنه مذهب العلماء المتقدمين من أهل فارس ، وكثير من علماء سائر النواحي .

٤ ـــ مما يذكر للفرس أيضًا أن لهم كتبًا جليلة في أحكام النجوم منها : كتاب في صور درجات الفلك ينسب إلى ازدرشت وكتاب التفسير ، وكتاجا ماسافـ وهو جليل جدًا .(٣)

٥ ـــ من المؤثرات الفارسية التي دخلت في الحضارة الإسلامية انتقال ألفاظ كثيرة من اللغة الفارسية إلى العربية ، وترجمة العديد من الآثار الأدبية الفارسية إلى لغة القرآن التي أصبحت لغة الجميع .

---

(١) مختار القاضي ـــ أثر المدنية الإسلامية في الحضارة العربية ـــ القاهرة ـــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية و (د . ت) ـــ ص ٢٠ .

(٢) عن جهود أبى معشر البلخي الفلكية راجع : القفطي جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـــ) ـــ إخبار العلماء بأخبار الحكماء ـــ القاهرة (د . ت) ـــ ص ١١٧ .

(٣) انظر : صاعد الأندلسي ـــ طبقات الأمم ـــ ص ١٨ .

وأدخل الفرس العديد من التعبيرات والأساليب والأغراض إلى اللغة العربية .(١)

٦ ـــ في مجال الإدارة أخذ المسلمون بعض النظم الفارسية مثل : الديوان الذي نقله المسلمون باسمه وهيئته ، إضافة إلى بعض نظم الحرب وتقاليدها .

٧ ـــ كان للفرس تأثيرهم في العمارة والبناء نلحظ ذلك من إشارة الطبري في وقائع سنة ١٧ هـــ حيث ورد فيها أن الفرس بنوا لسعد بن أبي وقاص دارًا بحياله وهي : قصر الكوفة اليوم ، بناه روزبه من آجر بنيان الأكاسرة في الحيرة ، وجعل فيه بيت المال .(٢)

هذه هي أهم مميزات الفرس وخصائصها التي تأثرت بها الحضارة الإسلامية ، ونلحظ أن الفرس كانوا من أنشط العناصر الإسلامية في بناء التراث العربي ، ظهر ذلك في كثرة مشاركات علماء فارس في الميدان العلمي ، لاسيما في العصر العباسي الذي اصطبغ منذ بدايته بالصبغة الفارسية ، واعتمد الخلفاء العباسيون على العنصر الفارسي في تصريف شئون الدولة ، فمنصب الوزارة يكاد يكون مقصورًا عليهم . من هنا أخذت الدولة الإسلامية إبان العصر العباسي وجهًا فارسيًا ، ظهر في المرافق العامة والمآكل والمشارب وأدوات الزينة والغناء ، حتى الأعياد الفارسية ، ونتيجة لذلك حدث التفاعل بين اللغة العربية والفارسية ، ولم يلبث أن ظهر في المجتمع العباسي

---

(١) انظر : د / محمد جبر أبو سعدة ـــ دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ـــ القاهرة ـــ ص ٥٤ .

(٢) انظر : أبا جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـــ) ـــ تاريخ الرسل والملوك ـــ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـــ ط ٣ ـــ دار المعارف ـــ القاهرة ١٩٧٣م ـــ ٣ / ٣٤٨ ، ١ .

أصحاب اللسانين الذين يجيدون كلاً من العربية والفارسية إجادة تامة مثل : عبد الله بن المقفع ، وسهل بن هارون ، والفضل بن سهل والأسواري الذي وصفه الجاحظ بأنه كان من أعاجيب الدنيا وفصاحته بالفارسية مثل فصاحته بالعربية .(١)

والملاحظة الجديرة بالذكر هنا هي : قوة اللغة وقدرتها على استيعاب كافة الألفاظ والمصطلحات الفارسية ، والتي كثر استخدامها خلال ذلك العصر فكانت هي لغة العلم ، ولغة الحضارة والتقدم .

ثانيًا : الحضارة اليونانية :

من الحضارات التي تمازجت مع الحضارة الإسلامية ، حضارة اليونان (الإغريق) وتعد أمة اليونان من الأمم عظيمة القدر ... لم يزل ملكهم متصلاً إلى أن أغلبهم عليه الروم ، فأنقرض ملكهم من الأرض ، وانتظمت مملكتهم مع مملكة الروم ، فصارت مملكة واحدة رومية (٢) ، وبناء على ذلك ورث الرومان الحضارة اليونانية (الإغريقية) .(٣)

ولغة اليونان تسمى الإغريقية وهي من أوسع اللغات وأجلها ، وكان علماء اليونان يسمون "فلاسفة" ومعنى الفيلسوف " محب الحكمة ".. وفلاسفة اليونان من أرفع الناس طبقة وأجل أهم العلم منزلة ، لما ظهر منهم الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والتطبيقية والمعارف الطبيعية والسياسات المنزلية والمدنية ، وقد ذكر صاحب طبقات الأمم أن أعظم فلاسفة اليونان خمسة أولهم : بندقبيس ،

---

(١) انظر : الجاحظ : أبا عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) ـ البيان والتبين ـ تحقيق الشيخ : عبد السلام محمد هارون ـ القاهرة ـ سلسلة الذخائر ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ سنة ٢٠٠٣م ـ ٢ / ٩٢ .

(٢) انظر : صاعد ـ طبقات الأمم ـ ص ٢٢ .

(٣) انظر : د / محمد جبر أبو سعدة ـ دراسات في تاريخ الحضارة ـ ص ٥٤ .

ثم فيثاغورس ، ثم سقراط ، ثم أفلاطون ، ثم أرسطاليس .(١)

وكما أشرنا سلفًا بأن الرومان ورثوا حضارة اليونان ، وأضافوا إليها من إنتاجهم ، لاسيما في التشريع والهندسة العمرانية ثم بسطوا سلطانهم على أمم الشرق ... وفي الفترة السابقة على الإسلام أنشئت عدة مدارس بالشام والعراق (٢) ، اشتغل فيها العلماء السريان بنقل كثير من المؤلفات اليونانية في فروع العلم المختلفة إلى اللغة السرسانية ، وهكذا احتفظت هذه المدارس بمؤلفات اليونان في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك ، والكيمياء ، وغيرها من العلوم .(٣)

وقد بدأت الإرهاصات الأولى للتأثير الإغريقي في الحضارة الإسلامية إبان عهد الدولة الأموية (٤١ــ١٣٢هــ) فبعد أن انصرفت نفس خالد بن يزيد ابن معاوية (ت ٨٥ هــ) عن الخلافة اهتم بالمناحي، فيذكر ابن النديم " أن الذي عني بإخراج كتب القدماء في الصنعة خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان خطيبًا شاعرًا فصيحًا حازمًا ، ذا رأي وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء ... " (٤) .كما ورد أيضًا أن خالد بن يزيد دعا جماعة من اليونانيين من مدرسة الإسكندرية وطلب منهم ترجمة كتب جالينوس في الطب .(٥)

فهذا المؤشر كان من بدايات حركة النقل لهذه العلوم ، والذي

---

(١) انظر : صاعد ــ ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) عن هذه المدارس انظر : مراكز الترجمة في هذا الكتاب .
(٣) انظر : د / محمد أبو سعدة ــ دراسات في تاريخ الحضارة ــ ص ٥٥ .
(٤) ابن النديم محمد بن إسحاق (ت ٤٣٨هــ) ــ الفهرست ــ القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى (د . ت) ص ١١١ .
(٥) العسكري : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (المتوفي حوالى سنة ٣٩٥هــ) الأوائل ــ بيروت ــ دار الكتب العلمية ط الأولى سنة ١٤٠٧ هــ ــ ص ٢٦٠ .

وصل إلى ذروته إبان العصر العباسي .

على كل حال فإن تأثر الحضارة الإسلامية بالحضارة اليونانية ، انحصر في المجالات العلمية خاصة في الطب والرياضيات والفلك ، واهتموا بما كانوا يحتاجون إليه من هذه العلوم .(١)

ثالثًا : الحضارة المصرية القديمة :

لا شك في أن الحضارة المصرية القديمة لها تأثير مباشر على الناحية العلمية الموجودة في العالم آنذاك ، وبالأخص كان تأثيرها قويًا على اليونان القدماء ولعبت هذه الحضارة دورها في الثقافة اليونانية وتم اختلاط الإغريق بالمصريين في عهد الأسرة السادسة والعشرين ٦٣٣ ق . م تقريبًا ، وعرف الإغريق مكانة مصر العلمية ، وبدأوا في إيفاد الطلاب إليها للعلم والمعرفة ، فنقلوا الثقافة المصرية إلى بلاد اليونان ، فتعلموا من المصريين علم جسم الأرض ، ثم طوروه إلى علم الهندسة ، وأخذ سولون الإغريقي الذي تعلم في جامعة عين شمس القديمة القوانين المصرية وصاغ منها تشريعات اليونان في مجالات مختلفة ومنها المجال التربوي ، وتعلم كثير من اليونانيين في مصر ، ومثل : سولون وأفلاطون وزينون وغيرهم (٢) . وهذا يؤكد أن التأثير والتأثر بين الحضارات القديمة كان إيجابيًا إلى حد بعيد ، وأن الحضارات بصفة عامة يأخذ بعضها من بعض ، لأنها تراث إنساني ملك لجميع البشر .

وما دمنا نتحدث عن الحضارة المصرية القديمة فينبغي أن نذكر

---

(١) راجع : عمر فروخ ــ العرب في حضارتهم وثقافتهم إلى آخر العصر الأموي ــ بيروت ــ ط ٢ سنة ٣٨٨ هـ ــ ص ١٩١ .

(٢) انظر : سليم حسن ــ مصر القديمة ــ مطبوع ضمن فعاليات " القراءة للجميع ــ القاهرة سنة ٢٠٠٣ م ــ ج ١٢ ص ١٢٠ .

ملامح بعض العلوم التي عرفها المصريون القدماء . فمن ذلك :

معرفتهم بالجيولوجيا والمعادن النفيسة كالذهب والفضة . كما عرفوا أيضًا الحديد والرصاص واستخدمت هذه المعادن والأحجار في صناعة الحلي والأواني والمسلات والتوابيت .

ومن معارف المصريين أيضًا نبوغهم في المجال الطبي منذ عصر الأسرة الأولى ، فيقال إن أول طبيب حينذاك هو " دجر " حفيد الملك " نارمر " وألف هذا الطبيب في التشريح كتابًا ظل معمولاً به حتى عصر المؤرخ " مانيتون " عام ٣٠٠ ق . م .

وما يذكر في مجال الطب أيضًا بالنسبة لقدماء المصريين بردية أدوين سميث التي ترجع إلى نحو خمسة آلاف سنة ، وسميث باسم مكتشفها ، وتضمنت معلومات طبية مهمة . فالطب المصري سبق الطب الإغريقي بحوالى ألفي عام ، وعرف المصريون أيضًا بعض العلاجات والأدوية، وتشخيص بعض الأمراض ، ولهم مهارة خاصة في علاج العيون كانت سببًا في استدعاء ملك الفرس لأحد أطباء مصر لعلاج عينيه ، كما أن مهارة المصريين في التحنيط ما زالت حتى اليوم تمثل براعتهم في هذا الشأن، وإعجازًا علميًا يدل على مدي ما وصل إليه الطب آنذاك .(١)

وخلاصة الأمر أن الحضارة المصرية وضعت أسسًا للكثير من العلوم الرياضية والفلكية والكيميائية والطبية والهندسية استفادت منها الحضارات المعاصرة واللاحقة لها .(٢)

---

(١) انظر : مختار رسمي ـــ فضل الحضارة المصرية على العلوم ـــ القاهرة ١٩٧٣م ـــ ص ٢١٠ .

(٢) للتوسع في دور الحضارة المصرية وأهميتها يراجع د . سليم حسن في موسوعته مصر القديمة .

رابعًا : الحضارة الهندية :

ذكر صاحب طبقات الأمم أن الهند أمة كثيرة العدد ، فخمة الممالك ، اعترف لها الظهور بالحكمة والظهور في فنون المعارف جميع الملوك السالفة والقرون الماضية ... وتعد الهند معدن من معادن الحكمة ، وينبوع للعدل والسياسة ، فهم أهل الأحلام الراجحة ، والآراء الفاضلة ، والأمثال السائدة ، والنتائج الغريبة واللطائف العجيبة .(١)

أما أهم ملامح العلوم عند الهند فيمكن إجمالها فيما يلي :

١ ــ من أعلم الناس بصناعة الطب ، وأبصرهم بقوى الأدوية ، وطبائع المولدات وخواص الموجودات . ومن أطباء الهند الذين نقل عنهم المسلمون في العصر العباسي :منكه الهندي الطبيب الفلكي ، الذي كتب جملة من المؤلفات منها : كتاب النمو دار في الأعمار ، وكتاب أسرار المواليد ، وكتاب : القرانات الكبير والصغير (٢) .. ومن أطبائهم أيضًا ، بازيكر ، وقلبرقل ، وسندباذ وغيرهم وهؤلاء الأطباء اجتلبهم إلى حاضر الخلافة العباسية بغداد : يحيى بن خالد البرمكي . (٣)

٢ ــ من معارف الهند أيضًا معرفتهم بالنجوم ومذاهبها ، ولعل أشهر مذاهبها الذي وصل إلينا مذهب السندهند الذي أخذه جماعة من المسلمين وألفوا فيه الأزياج كزيج محمد بن إبراهيم الفزاري ، وحنش بن عبد الله البغدادي ، والخوارزمي وغيرهم .(٤)

---

(١) صاعد : ص ١٤ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٥ .
(٣) مختار القاضي ــ أثر المدينة الإسلامية في الحضارة الغربية ــ ص ٣٢ .
(٤) انظر : الجاحظ ــ البيان والتبيين ــ ١ / ٩٢ ، صاعد الأندلسي ــ طبقات الأمم ــ ص ١٥ .

٣ ــ من معارف الهند أيضًا علومهم في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس ومن جملة مؤلفاتهم في هذا الميدان كتاب : كليلة ودمنة الذي جلبه برزويه الحكيم الفارسي من الهند إلى أنو شروان ملك الفرس وترجمه له من الهندية إلى اللغة العربية ، ثم ترجم هذا الكتاب إلى معظم اللغات الأوربية عن النسخة العربية .[١]

٤ ــ من معارف الهند أيضًا معرفتهم بالرياضيات ، فقد كانوا مبرزين في هذا الميدان ، ومن أعمالهم في الرياضيات كتاب " حساب الغبار " الذي بسطه الخوارزمي ، وهو أوجز حساب وأخصره وأقربه تناولاً ، وأسهله مأخذًا .[٢] وقد أخذ العرب بعض الاصطلاحات الرياضية من الهنود ، وأخذوا عنهم أيضًا أرقام الحساب [٣] وقاموا بإصلاحها وتهذيبها .

٥ ــ يذكر د / مصطفى الشكعة أن الامتزاج الذي حدث بين الشعبين العربي والهندي ــ والذي بدأ في فترة باكرة من تاريخ المسلمين ــ كان من نتائجه أن صار من الهنود أدباء وشعراء ولغويون فمن الشعراء : أبو عطار السندي ، ومن اللغويين : ابن الأعرابي أستاذ ثعلب وابن السكيت ، وله مؤلفات من أشهرها : كتاب : أسماء البئر وصفاتها ، وكتاب أسماء الخيل وأنسابها .[٤]

هذه أهم ملامح العلوم في الحضارات السابقة ، التي كانت من المؤثرات في الحضارة الإسلامية التي أظهرت قدرة فائقة ومقدرة على

---

(١) انظر : صاعد ــ طبقات الأمم ــ ص ١٥ ، مختار القاضي ــ أثر المدينة ــ ص ٣٠ .

(٢) صاعد ــ طبقات الأمم ــ ص ١٥ .

(٣) مختار القاضي ــ أثر المدينة ــ ص ٣٠ .

(٤) من معالم الحضارة الإسلامية ــ ص ١١٣ .

استيعاب هذه المعارف ، بعد أن ترجمتها وهذبتها ، وأضافت إليها نظريات علمية كثيرة سنتعرف على بعضها عند حديثنا عن أبرز علماء المسلمين في هذه الميادين .

أهم المصادر والمراجع
للفصل الأول

أولا : المصادر العربية :

١ ــ القرآن الكريم ..

٢ ــ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) ، دار القلم ، بيروت ، د.ت .

٣ ــ الفيروزبادى : القاموس المحيط ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٣٣٠هــ .

ثانيا : المراجع العربية :

٤ ــ أنور الجندى : المد الإسلامى فى مطلع القرن الخامس عشر ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

٥ ــ جلال العالم : قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هــ/١٩٨٥م .

٦ ــ أبو الحسن الندوى الحسينى : المد والجزر فى تاريخ الإسلام ، الطبعة الأولى ، دار الصحوة ، القاهرة , ١٤١٦هــ / ١٩٩٥م .

٧ ــ د . راغب السرجانى : قصة التتار ، الطبعة الأولى ، مؤسسة إقرأ ، القاهرة ، ١٤٢٧هــ / ٢٠٠٦م .

٨ ــ د . راغب السرجانى : العلم وبناء الأمم ، الطبعة الأولى ، مؤسسة إقرأ ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م .

٩ ــ د . أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ، مكتبة وهبة ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، د.ت .

١٠ــ د . زينب عبد العزيز / محاصرة وإبادة (سلسلة فضائح الحضارة الغربية) ، ج١ ، الطبعة الثالثة ، القدس للنشر والطباعة ، القاهرة، ١٤٢١هــ/٢٠٠١م .

١١ــ د . سعد بدير الحلواني : حاضر العالم الإسلامي ، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٤هــ / ٢٠٠٣م .
١٢ــ سعد الدين صالح ، الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، دار الأرقم، الزقازيق ، ١٩٨٩م .
سيد قطب :
١٣ــ : في ظلال القرآن ، ج٢ ، دار الشروق ، القاهرة .
١٤ــ : المستقبل لهذا الدين ، الاتحاد الإسلامي العالمي ، ١٤٠٨هــ/ ١٩٨٨م .
١٥ــ : هذا الدين ، الطبعة الخامسة ، الاتحاد الإسلامي العالمي ، ١٤١٠هــ / ١٩٨٩م .
١٦ــ د . شوكت محمد عليان : دراسات في الحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، دار الشواف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٦هــ / ١٩٩٦م .
١٧ــ د . عبد الحليم عويس : فقه التاريخ في ضوء أزمة المسلمين الحضارية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤١٤هــ/١٩٩٤م .
١٨ــ د / عبد العظيم منصور : طريق العودة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامي ،(الكتاب ٧٣) ، القاهرة ، ١٩٩٢م .
١٩ــ الشهيد عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا القانونية ، طبع الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، ١٤٠١هــ / ١٩٨٢م .
٢٠ــ عبد الله ناصح علوان : معالم الحضارة في الإسلام ، طبع دار السلام، القاهرة ، ١٩٨٤م .
٢١ــ على جريشة وآخر : أساليب الغزو الفكري ، الطبعة الثانية ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٣٩٨هــ / ١٩٧٨م .

٢٢ـ علي جريشة : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، الطبعة الثالثة ، دار الوفاء ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
٢٣ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : أبحاث المؤتمر ١٦ ، طبع المجلس الأعلى ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
٢٤ـ مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، طبع وزارة التربية والتعليم ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
٢٥ـ د / محمد البهى : الإسلام فى الواقع الأيدلوجى المعاصر ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .
٢٦ـ د / محمد السيد محمد يوسف : التمكين للأمة الإسلامية فى ضوء القرآن الكريم ، الطبعة الأولى ، دار السلام ، القاهرة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
د / محمد عبد الستار نصار :
٢٧ـ : الإسلام رؤية حضارية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة، (عدد ٥١ سلسلة قضايا إسلامية)، ١٤٣٠هـ / ١٩٩٩م .
٢٨ـ : العالم الإسلامى اليوم (الاقتصاد / الموقع / السكان / التعداد ، المشكلات) طبع مكتبة ابن سينا ، القاهرة، ١٩٩٠م .
٢٩ـ د . محمد عمارة : فى فقه الحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .
٣٠ـ محمد قطب : واقعنا المعاصر ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة المدينة ، جدة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
٣١ـ د / محمد حمدى زقزوق : هموم الأمة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ضمن فعاليات مكتبة الأسرة) القاهرة ، ٢٠٠١م .

د . يوسف القرضاوى :

٣٢ـ : تاريخنا المفترى عليه ، الطبعة الأولى ، دار الشروق، القاهرة ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م .

٣٣ـ : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، الطبعة ١٧، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

ثالثا : المصادر المعربة :

٣٤ـ ول ديورانت : قصة الحضارة ، هيئة الكتاب المصرية ، ترجمة د.زكى نجيب محمود ، ومحمد بدران (مطبوعات مكتبة الأسرة)، القاهرة ، ٢٠٠١م .

***

الفصل الثاني [١]

النهضة الثقافية فى الدولة الإسلامية

---

(١) إعداد : دكتور / طه عبد العزيز الخطيب.

النهضة الثقافية

إزدهرت الحياة الثقافية في العصر العباسي الأول، لأن نظرة الخلفاء العباسيين إلى الموالي الفرس [1]، كانت تختلف كل الاختلاف

(١) عصام عبد الرءوف الفقي الدولة العباسية مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة ١٩٨٥ صـــ١٢١.

والسبب في ذلك هو أن الفرس هم أصحاب الفضل في نقل السلطة إلى العباسيين، فقد رأى الإمام محمد بن علي العباس أن نقل السلطة يحتاج إلى شدة الحيطة فطلب من شيعته الدعوة إلى ولاية آل البيت دون تسمية أحد خوفا من بني أمية، ووجد أن كلا من الكوفة «بالعراق» وخراسان «بفارس» أنسب مكان ليكون مركز للدعوة، لأن الكوفة مهد التشيع لآل البيت منذ زمن طويل وأن أهل خراسان يفهمون فكرة التشيع بسهولة، ويعتقدون في نظرية الحق الملكي المقدس التي كانت سائدة في فارس منذ أيام آل ساسان (قبل ظهور الإسلام) هذا إلى ما كان يقاسيه الفرس من ظلم الأمويين مما سهل على العباسيين نشر دعوتهم[أ] .

ومما يفسر لنا أسباب تعلق الفرس بالعلويين، هو أن الحسن، أصغر أبناء فاطمة بنت النبي ﷺ تزوج من «شهربانوه» إبنة يزدجرد الثالث آخر ملوك ساسان[ب] . والتي أسرت في معارك الفتح الإسلامي وعرفت فيما = =بعد باسم سلافة، وأنجبت للحسين إبنه عليا الرضا «زين العابدين» فاعتبر الفرس أنفسهم أصهار الحسين، وجعلوا من هذا النسب فخرا لهم فهو يجمع بيتين في العرب والفرس (بيت النبوة - وبيت آل ساسان) فتشيعوا لعلي وأبناؤه وخاصة أبناء (زين العابدين) [ج] .

ويعلل ذلك كثرة الثورات والفتن التي أثارها الموالي من الفرس الذين ساعدوا آل البيت ضد الأمويين، ويرجع الفضل لأبي مسلم الخراساني في القضاء على سلطان الأمويين، وحمل لواء الدعوة العباسية في خراسان، وقيام الدولة العباسية ويرجع الفضل في ذلك وفي نقل السلطة للعباسيين إلى أبي مسلم الخراساني، الذي تحمل على عاتقه هذه المسئولية». =

عن نظرة الأمويين لهم، فأقبلوا على بغداد فور تأسيسها وأقاموا فيها [١].

«والفرس» أمة عريقة في القدم، وذات حضارة عظيمة إزدهرت زمن الدولة الساسانية التي نبغت في فنون السياسة، والإدارة والحرب، ومظاهر الترف والرفاهية، وكان لها دين رسمي هو الدين «الزرادشتى»[٢]، ومذهب ماتي[٣] كما كان لها لغة ذات أدب وحكمة،

=(أ) حسن إبراهيم حسن ــ مرجع سبق ــ ج٢ص١٥ ، ١٦ .

(ب) محمد أحمد حسب الله ــ فى تاريخ دولة بنى العباس ــ جامعة الأزهر ص ٤١ .

(ج) حسن إبراهيم حسن ــ المرجع السابق ــ ج٢ص١٤.

(١) د/ حسن إبراهيم حسن مصدر سبق ج٢ صـ١٥، ١٦.

(٢) زرادشت وبالدقة «زرائوسترا» (٦٠٠ أو ١٠٠٠ق.م) هو فارسي مؤسس الزرادشتية ولقيت دعوته تأييدا. فهي تقدس «النار» ووضع أناشيد «غاثا» تكريما «لارموزد» إله الخير.
زيغرد – هونكه – شمس العرب تسطع على الغرب صـ٢٠٨.
ترجمة فاروق بيضون، وكمال دسوقي – راجعه – فاروق عيسى الخوري المكتبة التجاري للتوزيع ط(١) سنة ١٩٦٤م.

(٣) المانوية – نسبة إلى «ماني» بن فتق بن أبي برزام، أصله من همذان بفارس (٢١٥ – ٢٧١م) [أ] .
وأخذت هذه الطائفة عقائدها من التوراة، والفارسية القديمة ثم البوذية، ويقول أتباعها بوجود عقائدها من إلهين لهذا العالم :
أحدهما إله الخير، ويرمزون له بالنور.
والثاني إله الشر ويرمزون له بالظلمة ويسمون الأول إله النور، والثاني إله الظلمة، وانتشرت المانوية في الشرق في بلاد الفرس، والهند والصين، والعرب، وظلت مزدهرة حتى القرن الحادي عشر الميلادي. ووصلت جنوب إيطاليا، وقد دعا القديس أوغسطين إلى هذا المذهب وعمل على نشره ثمان سنوات، وناوءه كل من فالنيان سنة ٣٧٢م ثم تيودوسيس الأول سنة ٣٨١م وأصدرا ضده عدة مراسيم شديدة [ب] . =

هي اللغة «الفهلوية».

ولما فتح العرب بلاد فارس، وقوضوا عرش الدولة الساسانية، دخل الفرس في الإسلام أفواجا، وصاروا موالي للفاتحين من العرب، وبدخولهم في الإسلام طرحوا دياناتهم السابقة، وأقبلوا على الإسلام يدرسونه، ويتعلموا اللغة العربية لغة القرآن.

ولم يمض زمن حتى أصبحوا أغلب القائمين على الحركة العلمية، والتأليف في مختلف العلوم وأفادت الحضارة الإسلامية فوائد جمة، فكثير من الألفاظ الفارسية التي ليس لها مقابل في العربية نقلت بذاتها إلى اللغة العربية، هي الوسيلة الوحيدة للتفاهم بين المسلمين إلى أن أزالت المغول الخلافة العباسية من بغداد (١).

وفي ذلك يقول ابن خلدون عند كلامه على «حملة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم» فيقول: «من الغريب أن حملة العلم من الملة الإسلامية كلهم من العجم، لأن العلوم العقلية إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو أعجمي... مع أن الملة عربية، وصاحب شريعتها عربي، والسبب في ذلك أن الملك في أولها لم يكن علم فيها، ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة، وإنما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم.

=(أ) النديم – أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم ت٣٨٠هـ/٩٩٠م الفهرست صـ٥٠٧ – ٥٠٧. ضبطه د/ يوسف على طويل – دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ط (١) ليسلر – مرجع سبق صـ١٢١

(ب) حسن إبراهيم حسن مرجع سبق ج١ هامش صـ١٧٧.

(١) د. عبد الحميد العبادي، محمد مصطفى زيادة، إبراهيم أحمد العدوي الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها دار نهضة مصر – القاهرة صـ٣٠ حسن إبراهيم حسن المصدر السابق ج٢ صـ٣٥٢.

وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه، والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين، ولا دفعوا إليه ولا دعتهم إليه حاجة، وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين، وكانوا يسمون المختصين بحمل ذلك ونقله القراء، أي الذين يقرعون الكتاب، وليسوا أميين لما أن الأمية يومئذ صفة عامة في الصحابة لما كانوا عربا، فقيل لحملة القرآن يومئذ قراء، إشارة إلى هذا، فهم قراء لكتاب الله والسنة والمأثورة عن الله، لأنهم لا يعرفوا الأحكام الشرعية إلا منه، ومن الحديث الذي هو في غالب موارده تفسير له وشرح.

قال ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بها: كتاب الله وسنتي» فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فيما بعد، احتيج إلى وضع التفاسير القرآنية وتقييد الحديث مخافة ضياعه ، ثم احتيج إلى معرفة الأسانيد وتعديل الرواة للتمييز بين الصحيح من الإسناد وما دونه، ثم كثر استخراج أحكام الوقائع من الكتاب والسنة، وفسد مع ذلك اللسان، فاحتيج إلى وضع القوانين النحوية وصارت العلوم حضرية... وبعد العرب عنها وعن سوقها.

والحضر في ذلك هم العجم أو من في معناهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم، في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف، لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس، فكان صاحب صناعة النحو سيبوية (والزجاج) والفارسي (٣٧٧هـ) من بعده الزجاج [(١)] (٣١١هـ) من بعدهما وكلهم عجم في أنسابهم، وإنما

---

(١) كذا في الأصل ولعله يريد أن يقول: والزجاج من بعدها. والفارسي من بعدهما، لأن الزجاج متقدم على أبي على الفارسي د/ حسن إبراهيم حسن المرجع السابق ج٢ صـ٣٢١.

ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى، ومخالطة العرب، وصيروه قوانين، وفنا لمن بعدهم، وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه على أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى، لاتساع الفن بالعراق وما بعده.

وكان علماء أصول الفقه كلهم عجم كما نعرف وكذا جملة علماء الكلام، وكذا أكثر المفسرين، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم، فظهر مصداق قوله ﷺ: «لو تعلق العلم بأعناق السماء لناله قوم من فارس».

وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة، وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة، فشغلهم الرياسة في الدولة العباسية، وما دفعوا إليه من القيام بالملك عن القيام العلم والنظر فيه، فإنهم كانوا أهل الدولة وحاميتها وأولى سياستها، مع ما يلحقهم من ألأنفة في إنتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع، والرؤساء أبدا يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجري إليها، ودفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولدين، وما زالو يرون لهم حق القيام به فإنه دينهم وعلومهم، ولا يحتقرون حامليها كل الإحتقار، حتى إذا خرج الأمر من العرب جملة وصار للعجم، صارت العلوم الشرعية عريبة النسب عند أهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبها، وامتهن حملها بما يرون أنهم بعداء عنهم، مشغولون بما لا يجدي عليهم في الملك والسياسية»[1].

ويقول د/ عصام عبد الرؤوف: «والواقع أن ابن خلدون، وغيره أغفلوا دور العرب تماما في ازدهار الحياة الثقافية مثل الأصمعي، والإمام الشافعي، والقاضي أبي يوسف، وحنين بن إسحاق، والإمام أحمد

---

(١) ابن خلدون – مصدر سبق صـ٥٤٣، ٥٤٤.

ابن حنبل، وأحمد بن أبي دؤاد والكندي وغيرهم، كما أن النهضة الثقافية لم تبلغ ما بلغته من تقدم إلا بفضل تشجيع الخلفاء العباسيين [١]. وحتى الأعاجم الذين ساهموا في تقدم الحركة العلمية، كانوا عربا مربى ونشأة، وغلبت عليهم الحياة العربية وتأثروا بها، وكانت الثقافة العربية هي محور دراساتهم وأبحاثهم.

* * *

(١) د/ عصام عبد الرؤوف مرجع سبق صـــ١١٧.

أسباب تقدم الحياة الثقافية :

أولاً ــ إتساع رقعة الدولة:

يقول الأستاذ نيكلسون «وكان لإنبساط رقعة الدولة العباسية، ووفرة ثروتها، ورواج تجارتها، أثر في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد بدأ أن الناس جميعا من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأنا، غدوا فجأه طلابا للعلم، أو على الأقل أنصار للأدب، وفي عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعيا إلى موارد العلم والعرفان ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهفين، ثم يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنفات التي هي أشبه شيء بدوائر للمعارف، والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال هذه العلوم إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل»[١] وما أن انتهى الخليفة المنصور من بناء عاصمته الجديدة (بغداد) إلا وقد جمع فيها صفوة العلماء من مختلف النواحي، واتخذ وزيره من أسرة البرامكة، وهى أسرة فارسية قديمة، كان من اسلافها منذ قرون (الدلاى لاما) – أي (كبير رهبان الدين البوذي) وعرف هؤلاء البرامكة كيف يرغبون الخلفاء وحاشيتهم في تذوق العلم والدراسات، وجعلوا من بغداد مركزا علميا قدر له أن يطغى على سمرقند بجميع الروائع الأدبية. الصينية، والإيرانية، من الشرق، والمؤلفات السورية، والبيزنطية، من الغرب في وقت واحد [٢] ولم تستغل الخلفاء وفرة الأموال في البذخ

---

(١) د/ حسن إبراهيم حسن مرجع سبق ج٢ صــ٣٣٢ Lis Hist of the Arabs P.٢٨١.

(٢) ليسلر مرجع سبق صــ١٢٠.

والترف الذي نلمسه في قصورهم [١] بل كانوا يبذلون العطايا بسخاء على العلم والعلماء، فنجد أن الخليفة هارون يغدق على الشعراء ويمنحهم منحا جزيلة تفوق كل وصف، فقد منح (مروان ابن أبي حفصة) في قصيدة مدح واحدة قصيرة، خمسمائة ألف قطعة من الذهب، وخلعة سنية، وستة أرقاء صغار يونانين، وجوادا من جياده المفضلة، وكان كرمه الفائق يجذب ذوي الغايات والمواهب تجاه العاصمة، ولذلك كان يجتمع حوله مجلس لا يباري من الشعراء، والفقهاء، والأطباء، والنحاة، والأدباء، والموسيقيين وذوي العقول الراجحة، وكان على دراية بتقييم آثارهم وأعمالهم ويكافئهم بسخاء، وكان هو نفسه شاعرا، وعالما متبحرا، وخطيبا بليغا، ولم ينتظم بلاط في التاريخ كله جماعة متألقة من رجال الفكر مثل هذه الجماعة [٢].

وكانت هالة الرشيد في بغداد تتكون من أسماء لامعة، جمعها الرشيد حوله ممن لهم باع طويل في ناحية من نواحي الثقافة، ومن

---

(١) كان قصر الخليفة هارون الرشيد مفروشا باثنين وعشرين ألف بساط على الأرض وبثمان وثلاثين ألف بساط على الحوائط منها ألف وخمسمائة من الحرير المطرز بالذهب هذا بخلاف الأواني والملابس المرصعة بالأحجار الكريمة، والمطعمة بالذهب، وكانت جذوع الشجر في الحدائق التي لا حصر لها مكسوة بالخشب المطعم بالذهب.
كما أمر الخليفة المقتدر بإنشاء «قصر الثريا» الذي يمكن أن يتصور اتساعه بتسعة آلاف من الجياد، والبغال، والإبل التي كانت ترقد في استبلاطه كما سمى (بقصر الشجرة) لأنه أقيم فيه شجرة من الذهب والفضة في وسط بركة كبيرة أمام أبواب القصر ولها ثمانية عشر غصنا من الذهب والفضة، ولكل غصن فروع كثيرة مكللة بأنواع الجواهر على شكل الثمار وعلى أغصانها أنواع الطير من الذهب والفضة إذا هب الهواء سمعت منها الهدير والصفير.
نفس المرجع صـ١٣٨، ١٣٩.

(٢) ليسلر: مرجع سبق صـ١٤٠.

هؤلاء، من الشعراء، أبو نواس، وأبو العتاهية، والعباس بن الأحنف، ومن الموسيقيين: إبراهيم الموصلى، وابنه إسحاق، ومن اللغويين: أبو عبيده، والأصمعى، والكسائي ثم ابن السمان الواعظ والواقدي المؤرخ وكثير غير هؤلاء [١].

والواقع أن الخلفاء العباسيين لم يألوا جهدا في سبيل تشجيع الحركة العلمية، فقد كتب الخليفة الرشيد إلى ولاة الأمصار، وإلى أمراء الأجناد يطالبهم بتشجيع العلم وأهله فقال «فانظروا من التزم الآذان عندكم فاكتبوه في ألف من العطاء، ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم، وعمر مجالس العلم ومقاعد الأدب، فاكتبوه في أربعة ألاف دينار من العطاء، واسمعوا قول فضلاء عصركم وعلماء دهركم، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم – وهم أهل العلم – وبلغ من تشجيع الرشيد للعلم والتعليم أن الغلام كان يحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنين، ويتبحر فى الفقه ويروى الحديث، ويناظر المعلمين وهو بن أحد عشر سنة [٢].

وكان الخليفة المأمون أعلم الخلفاء بالفقه والكلام، وله عدة رسائل، لذلك وله من الكتب كتاب جواب ملك البرغر فيما سأل عنه من أمور الإسلام والتوحيد، رسالته في حجج مناقب الخلفاء بعد النبي ﷺ رسالته في أعلام النبوة[٣].

لذلك شجع العلماء على مواصلة البحث والدرس، وعنى بمجالس

---

(١) د/ أحمد شلبي موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ج٥ التربية الإسلامية – نظمها ت فلسفتها ت تاريخها ص٨١، مكتبة النهضة المصرية ط٦ سنة١٩٧٨.

(٢) عصام عبد الرؤوف مرجع سبق صـ١٢٤، ١٢٥.

(٣) النديم مرجع سبق صـ١٨٦.

المناظرة، فكان يدخل عليه من العلماء والمتكلمين جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته واختير له من الفقهاء لمجالسته مائة رجل، وناظرهم، وناقشهم كثيرًا، حتى وقع اختياره على أفضلهم وكانوا عشرة فقط .

على أن مجالس المناظرة احتدت فيها المناقشات بين المتكلمين حول مسألة خلق القرآن [١]، وكان المأمون يميل إلى المعتزلة لأن آراءهم تتفق مع العقل والمنطق [٢].

---

(١) اعتنق المأمون رأى المعتزلة في خلق (القرآن) فقد نفى المعتزلة صفة الكلام عن الله تعالى لأنها من صفات الحوادث، وحتى لا يتعدد القدماء، وما جاء في القرآن من آيات تثبت كلام الله كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ النساء : ١٦٤ فقد أولوها بأن الله خلق الكلام في الشجرة فسمعها موسى، أما الفقهاء والمحدثون فقد أثبتوا صفة الكلام لله تعالى وقالوا بأنها غير مخلوقة، وقالت المعتزلة أن الله وصفاته لا تقبل التجزئة حال من الأحوال وأن الله وصفاته لا يلحقها تغيير، ولا تقوم بها المحدثات، وعليه فمحال أن يكون القرآن كلام الله على معنى أنه صفة من صفاته، وأدى هذا الجدل إلى إحتدام الأزمة بين الناس، وقوبل هذا الرأى بالرفض ومعارضة شديدة من الفقهاء وعامة الناس.

وكان السبب في هذا الجدل بين المترجمين من النصارى له أثره في تصرف هؤلاء النصارى على ما جاء في القرآن الكريم من وصف لعيسى بن مريم بأنه رسول الله وكلمته، وقول الفقهاء بأن القرآن وهو كلام الله غير مخلوق، يؤدي إلى القول بقدمه مما يتخذه النصارى ذريعة لافحام المسلمين بأن المسيح إله، أو قديم كقدم الإله مستدلين بما وصفه به القرآن من أنه كلمة الله، ولذلك كان من رأى المأمون والمعتزلة، وهم الذين يدافعون عن الإسلام.

أما أهل الديانات الأخرى أن يقول المسلمون بأن القرآن مخلوق ويبطلوا كل الحجج أمام النصارى الذين يريدون أن ينتزعوا من الإسلام اعترافًا بقدم عيسى عليه السلام فلم يجدوا أما مهم بدا من إجبار الناس ولو بالقوة على القول بخلق القرآن (راجع في ذلك كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية الشيخ محمد أبو زهرة صـ١٧٥ – ١٧٩ محمد أحمد محمود حسب الله مرجع سبق صـ١٣٤ – ١٣٦.

(٢) د/ عصام عبد الرؤوف مرجع سبق صـ١٢٥.

ثانياً - الترجمة:

لم يكن لترجمة الكتب إلى اللغة العربية حظ كبير في عهد بني أمية، وكان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أول من عنى ينقل علوم الطب والكيمياء إلى العربية، فدعا جماعة من اليونانيين المقيمين في مصر وطلب إليهم أن ينقلوا له كثيرا من الكتب اليونانية، والقبطية التي تناولت البحث في صناعة الكيمياء العملية، وعمل على الحصول على الذهب عن طريق الكيمياء [١] وممن نقلوا له هذه العلوم اصطفن القديم [٢].

وكذلك عربت الدواوين منذ عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ/ ٦٨٤ - ٧٠٥م) بعد أن كانت بالفارسية واليونانية فنقل ديوان مصر من اليونانية والقبطية إلى اللغة العربية في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ/ ٦٨٤ - ٧١٤م)[٣].

ولما قامت الدولة العباسية بمساعدة الفرس، إتجهت ميول الخلفاء إلى معرفة علوم الفرس، واليونان، فعنى الخليفة أبو جعفر المنصور بترجمة الكتب [٤]، ونقل له حنين ابن إسحاق بعض كتب أبقراط وجالينوس،

وكان حنين بن إسحاق وابن أخته حبيش بن الحسن أوفر المترجمين إنتاجا ؛ ونظرا لأنهم كانوا يشتغلون معا فنجد كتبا كثيرة

---

(١) حسن إبراهيم حسن مرجع سبق ج١ صـ٤١٦، ٤١٧، ج٢ صـ٣٤٥.

(٢) النديم مصدر سبق صـ٣٩٨.

(٣) المقريزي: تقي الديم أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ط٢ ج١صـ٩٨ مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ١٩٨٧م.

(٤) عصام عبد الرؤوف مرجع سبق صـ١٠٥.

تنسب لواحد منهم تارة، وللآخر تارة أخرى وشملت ترجمتهم كل علوم تلك الزمان، وكانوا يصلحون التراجم الموجودة ويترجمون كتبا جديدة، وكان حنين يؤثر كتب الطب أما إبنه إسحاق أميل إلى ترجمة كتب الحكمة وخدم من خدم أبوه من الخلفاء والرؤساء [١].

وكان الخليفة المأمون عالما مثقفا، فأولى النهضة العلمية عنايته الكاملة فاتجه إلى أن يحصل عدد ضخم من كتب القدماء، فوفق بطرق شتي إلى الحصول على مجموعات نادرة، وضعها في خزانة الحكمة وعين خيرة المثقفين، من المترجمين لينقلوا إلى اللسان العربي [٢].

ومن أشهر المترجمين في ذلك العهد - الحجاج بن مطر، نقل المجطي واقليدس، حبيب بن بهريز، مطران الموصل. فسر للمأمون عدة كتب، أبو عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب نقل كتاب أفلاطون في آداب الصبيان، قسطا بن لوقا البعلبكي جيد النقل فصيح اللسان اليوناني والسرياني والعربي نقل أشياء كثيرة، وغيرهم الكثير [٣].

ولما قويت حركة الترجمة في عهد الخليفة المأمون، أرسل البعوث إلى القسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة في جميع فروع العلوم. ويروى ابن النديم أن المأ‍مـ‍ن كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون، فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة، منهم الحجاج بن مطر، وابن البطريق، وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم، فأخذوا

---

(١) النديم مرجع سبق صـ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٧.

(٢) د/ أحمد سلبي - التربية الإسلامية صـ١٦٣.

(٣) النديم - مصدر سبق صـ٣٩٩، ٤٥٤.

مما وجدوا ممن اختاروا، وقيل أن يوحنا بن ماسويه ممن نفذ إلى بلاد الروم [١].

ولم تكن العناية قاصرة على الخليفة المأمون بل اهتم جماعة من ذوي اليسار في عهده في هذا المجال ومنهم أبناء موسى بن شاكر وهم محمد وأحمد والحسن بنو شاكر المنجم، فقد أنفقوا أموالا كثيرة وأنفذوا حنين بن إسحاق وغيره إلى بلد الروم، فجاءهم بطرائف الكتب، وغرائب المصنفات في الفلسفة، والهندسة، والموسيقى والطب، وكلفوا كل من حنين بن إسحاق، وحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة وغيرهم، وجعلوا لهم رواتب شهرية نحو خمسمائة دينار في الشهر للنقل والترجمة [٢].

وكان من أثر نشاط حركة النقل والترجمة في عهد الخليفة المأمون، أن اشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التي ترجمت إلى العربية، وعملوا على تفسيرها والتعليق عليها، وإصلاح أغلاطها، ومن هؤلاء يعقوب بن إسحاق الكندي، الذي نبغ في الطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة، وعلم النجوم وقد حذا في تأليفه حذو أرسطو، وترجم كثير من كتب الفلسفة وشرح غوامضها [٣].

ومن العلماء الذين طافوا البلاد سعيا وراء علم ينتفع به، الطبري - أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري - ت٣١٠هـ ٩٢٢م - طاف البلاد لتحصيل العلم فتنقل بين مصر والشام، والعراق، والكوفة، والبصرة، والرى، وكان متقننا في جميع العلوم "علم القرآن

---

(١) نفس المصدر ٣٩٧، ٣٩٨.
(٢) نفس المرجع صـ٣٩٨ حسن إبراهيم حسن ج٢ صـ٣٤٦.
(٣) حسن إبراهيم حسن ج٢ صـ٣٤٧.

والنحو والشعر واللغة والفقه" ، كثير الحفظ، وانقطع أربعين عاما لعمل تاريخ جامع من حوليات الرسل والملوك منذ بدء الخليقة حتى سنة ٩١٣م/ وما وجد في هذا الكتاب يشغل خمسة عشر جزءا، ويقال أن الكتاب الأصلى أكبر من ذلك عشر مرات [١].

وكذلك المسعودي • يعرف بأبي الحسن بن الحسين بن على المسعودي، وقد درس المسعود الجغرافيا وعلم الحياة، والتاريخ، والعادات، والدين والعلوم في جميع البلاد من الصين إلى فرنسا. صنف لكتب التواريخ، وأخبار الملوك، وله من الكتب كتاب يعرف بمروج الذهب ومعادن الجواهر في تحف الأشراف والملوك وأسماء القرابات، (نشره في ثلاثين مجلدا ثم اختصره في مجلد واحد) وكتاب ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور، كتاب الإستذكار لما مر في سالف الأعصار، كتاب التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم [٢].

وهذه الكتب هي المصادر الأولى للعلوم الحديثة بأوسع ما تحتمله كلمة العلوم ن معنى، وهي مرجع العلماء والباحثين، ومنها يستمدون فنونا من الثقافة والمعرفة أعمق بكثير مما يظن الناقد [٣].

ومن الطبيعي أن يكون العصر العباسي الأول أنسب العصور ملائمة للنهضة الثقافية، فمدنية الإسلام بدأت فيه تستقر بعد هدوء حركة التوسع والفتوح التي كانت طابع العصر الأموي، والثقافة تنتشر في الأمة إذا هدأت واستقرت أمورها، وانتظم ميزانها، الإقتصادي .

وتوالت هذه الأسباب بعد قيام الدولة العباسية فظهر في هذا

---

(١) النديم مصدر سبق صـ٣٨٥.

(٢) المصدر السابق صـ٢٤٨ ليسلر مرجع سبق صـ٩٨٠.

(٣) أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي مرجع سبق ج٣ صـ٢٢٨.

العصر نخبة من الشعراء، والفلاسفة، والمؤرخين، والرياضيين، ورجال الدين، وقادة الفكر الذين أكسبوا اللغة العربية أغنى تراث أدبي [١].

وقد توقفت الترجمة تقريبا بعد الخليفة الواثق ولم يعد من السهل على الباحث ذكر للمترجمين في الكتب العامة والخاصة، ولعل السبب في ذلك أن النشاط الكبير الذي حظيت به الترجمة من قبل قد نقل إلى اللغة العربية أمهات الكتب، في الفنون المختلفة، أو أن المسلمين بعد أن أطلعوا على ما ترجم في بيت الحكمة، وما عاصرها من مكتبات استطاعوا أن ينتجوا بلغتهم ثقافة، وعلما، وفلسفة، كانت مجالا لنشاطهم العلمي في العهود التالية [٢].

كما اشتهر عن الخليفة الواثق أن الكتاب حدثت لهم نكبة في عهده ظنا منه بأنهم يرتشون، فقد تسلم بيت المال مبالغ كبيرة منهم ومن هؤلاء الكتاب:

١- أحمد بن الخصيب – وكتابه ١٠٠٠,٠٠٠ دينار.

٢- سليمان بن وهب كاتب إيتاخ ٤٠٠,٠٠٠ دينار.

٣- أبو الوزير ١٤٠,٠٠٠ دينار.

٤- إبراهيم ابن رباح وكتابه ١٠٠,٠٠٠ دينار.

٥- الحسن بن وهب ١٤,٠٠٠ دينار [٣].

---

(١) المصدر السابق صـ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) د/ أحمد شلبي التربية الإسلامية مرجع سبق صـ١٦٤.

(٣) د/ أحمد شلبى ـ المرجع السابق ص ١٦٥ .

ثالثاً - الـــــورق [1]:

كان ورق البردي الذي اشتهرت به مصر منذ عهد بعيد كثير، الإستعمال في بغداد حتى أوائل العصر العباس الثاني [2].

وكان في بغداد كميات هائلة منه، ويحدثنا الجهيشاري «أن الخليفة المنصور وقف على كثرة القراطيس في خزائنه، فدعى أحد أعوانه وقال له أمرت إخراج حاصل القراطيس من خزائننا فوجدته شيئا كثيرا جدا، فتولى بيعه. ولكن المنصور تدارك ما قد ينجم عن ذلك فدعى الرجل، وقال له فكرت في كتبنا وأنها قد جرت في القراطيس وليس يؤمن من حادث في مصر فتنقطع القراطيس عنا بسببه فدع القراطيس على حالها [3].

وعندما اتصل العرب بسمرقند في سنة ٩٣هـ/٧١١م أذاعوا

---

(١) يقال أن أول من كتب آدم على الطين، ثم كتبت الأمم بعد ذلك برهة من الزمان في النحاس والحجارة للخلود، هذا قبل الطوفان، وكتبوا في الخشب وورق الشجر للحاجة في الوقت، ثم دبغت الجلود فكتب الناس فيها، وكتب أهل مصر في القرطاس ويعمل من قصب البردي (وهو نبات يعلوا فوق الذراع) وقيل أن أول من عمله سيدنا يوسف عليه السلام، والروم تكتب في الحرير الأبيض والرق وغيره، وجلود الحمير الوحشية وكانت الفرس تكتب في جلود الجواميس والبقر والغنم، والعرب تكتب في اكتاف الإبل والحجارة، وعسب النخل، والصين تكتب في الورق الصيني، ويعمل من الحشيش، والهند في النحاس، والحجار، والحرير الأبيض وأما الورق الخرساني فيعمل من الكتان، وقيل أن صناعا من الصين عملوه بخرسان على مثال الورق الصيني، وأنواعه السليماني، الطلحي، النوحي، الفرعوني، الجعفري الظاهري.
النديم مصدر سبق صـــ٣٣، ٣٤.

(٢) حسن إبراهيم مرجع سبق ج٣ صـــ٣٢٥.

(٣) د/ عصام عبد الرؤوف مرجع سبق صـــ١٢١، ١٢٢.

فيها طريقة تعطين الكتان، وتشكيل عجينة منه، تنتهى إلى أوراق رقيقة جدا، وهذه العجينة تحل محل الورق الأبيض الأملس، والرق (الجلد) اللذين كانا نادري الوجود، وأثمانها غالية، وسرعان ما استبعد الكتان وحل محله القطن لأنه أقل تكلفة، وهو منتشر في الشرق، وقد جعل الوزير الفضل البرمكي الصناعة الأولى للورق في بغداد سنة ١٧٨هـــ ٧٩٤م وهذه الصناعة انتشرت بسرعة لمواجهة الإستهلاك المتزايد بسبب الترجمات كما أن الشغف بالكتب يستلزم الإكثار من صناعة الورق، ثم انتشر الورق في جميع البلاد الإسلامية حتى بلغ اسبانيا، وقد اقتضى ذلك ثلاثة قرون لكي ينتقل إلى أوربا[١].

رابعاً - دور الكـــتب :

أ- بيت الحكـــمة :

يرجع الفضل في تأسيس بيت الحكمة إلى الخليفة هارون الرشيد، وكان ذلك بتشجيع من وزيره يحيى بن خالد البرمكي الذي كان يشرف على شئون الدولة بوجه عام، وعلى النهضة الثقافية بوجه خاص، وهو فارسي الأصل والثقافة فاهتم بأن ينقل إلى العربية الوانا من ثقافة الفرس، فجلب إلى بيت الحكمة مجموعة من الكتب الفارسية وعين لترجمتها أشخاصا لهم السيطرة على اللغة الفارسية، ومعرفة باللغة العربية [٢] أمثال أبي الفضل بن نوبخت، ويقول بن النديم في ترجمة أبي سهل «أنه كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد، وكان عارفا فاضلا وله من الكتب «كتاب مفاتيح القضاء، كتاب المواليد الكبير، كتاب الهيئة

---

(١) ليسلر مرجع سبق صـــ١٢٠، ١٢١.

(٢) د/ أحمد شلبي التربية الإسلامية مرجع سبق صـــ١٨٢.

وعلم الحساب، كتاب الأمطار والرياح، وغيرها..»[1] كما ذكر في ترجمة علان الشعوبي «أن أصله من الفرس وكان راويا عارفا بالأنساب، منقطعا للبرامكة وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون وللبرامكة، وله من الكتب كتاب الميدان في المثالب ويحتوي على صناعات قريش وتجارتها ومثالب ما في قبائل العرب، وله كتب في أنساب العرب»[2].

وكان الخليفة يعين المترجمين في بيت الحكمة، ويعين لهم رئيسا يتفقد أعمالهم ويراجعها ويصححها مثل يوحنا بن ماسويه وكان «نصرانيا» وهو أبو زكريا يحيى بن ماسويه - وكلفه المأمون ترجمة الكتب الطبية القديمة التي حصل عليها من بلاد الروم ، وظل يباشر عمله أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وتوفى وله من الكتب - كتاب الكمال والتمام، وغيره الكثير من كتب علاج الأمراض [3] وكذلك الخوارزمي واسمه محمد بن موسى من خوارزم، كان منقطعا إلى خزانة الحكمة للمأمون، وهو من أصحاب علوم الهيئة (الفلك) ومن أهم كتبه، كتاب العمل بالإسطرلاب، كتاب الاسطرلاب، كتاب التاريخ [4].

كما ضم بيت الحكمة كتبا وضعت في الأصل بلغات مختلفة، وأهمها الكتب اليونانية، والفارسية، والهندية، والقبطية، والآرامية، ومن أجل هذا كان المترجمون كثيرون، يترجمون في جميع اللغات.

غير أن نشاط الحكمة وصل إلى ذروته في عهد الخليفة المأمون الذي كان واسع الثقافة، وله شغف بالعلوم ولآداب، ومن أجل هذا أولى

---

(١) النديم مصدر سبق صـــ٤٣٨.
(٢) نفس المصدر صـــ١٦٩، ١٧٠.
(٣) نفس المصدر صـــ٤٦٥.
(٤) النديم المصدر السابق صـــ٤٣٨.

بيت الحكمة عناية خاصة، كان من نتائجها تطور الثقافة عند المسلمين، ودخول العلوم الأجنبية إليهم واحتضانهم هذه العلوم مما أدي إلى حفظ التراث للأجيال التالية [١].

وكان صاحب بيت الحكمة يشرف على العاملين فيه، وعليه أن يرتب الكتب ويعد فهارسها، ويصنفها، وضم بيت الحكمة عدة طوائف، طائفة النساخ، وطائفة المترجمين، وطائفة المفسرين، وطائفة الفلكين والمنجمين، وطائفة الكتبة، وطائفة المجلدين، وكان الناسخ ينسخ ما يطلب منه نظير أجر، وعليه أن يرتب أوراق كل نسخة بعد جمعها وإصلاح ما قد يظهر فيها من أخطاء [٢].

وكان العلماء في الدولة الإسلامية يودعون نسخا من مؤلفاتهم في بيت الحكمة ، على أن بيت الحكمة ضعف شأنه في عهد الخليفة المعتصم[٣].

ولم يجد هذا العهد بعد المأمون من يمنحه عناية المأمون ورعايته وكان أول ما قل من شأنه أنه يتولى المعتصم الخلافة بعد المأمون، وهو قليل المعرفة بالثقافة، فأصيب بيت الحكمة بصدمة بسبب هجر الخلفاء بغداد إلى سامراء، ومع ذلك ظلت هذه الخزانة حتى دهم التتار بغداد وقتل الخليفة المستعصم عل يد هولاكو فذهبت خزانة الكتب، وذهبت معالمها [٤].

---

(١) د/ أحمد شلبي المرجع السابق صـــ١٨٢.
(٢) د/ عصام عبد الرؤوف مرجع سبق صـــ١٢٦.
(٣) نفسه صـــ١٢٦.
(٤) د/ أحمد شلبي نفس المرجع صـــ١٨٤.

ب- مكتبات خاصة :

١- مكتبة الخليفة الناصر لدين الله ، (٥٧٥هـ/ ٦٢٢هـ) :

فشخصيته القوية وطول مدة حكمه اتاحا له أن يعيد مجد الخلافة ويرد لها هيبتها، وكان مما إلتفت إليه الناصر، وأولاه عنايته أن رعى الناحية العلمية واستدعى هذا أن يكون له مكتبة خاصة ضخمة [١].

وفي ذلك يقول ابن القفطي في ترجمة أبي الرشيد مبشر بن أحمد الحاسب أن «مبشر بن أحمد تميز في أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد وقرب منه واعتمد في اختيار الكتب التي وقفها الناصر بالرباط الذاتوني السلجوقي، والمدرسة النظامية وبدار المسناه، فإنه أدخله إلى خزائن الكتب بالدار الخليفية وأفرده لإختيارها [٢].

٢- مكتبة الخليفة المستعصم بالله:

هو آخر الخلفاء العباسيين تولى الخلافة سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م وقتله المغول عقب سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م [٣] كان له مكتبة عظيمة، حيث يقول ابن الفوطي أمر سنة ٦٤١هـ/ بعمل خزانة للكتب في داره وكتب على جبهتها أشعار منها ما نظمه صفي عبد الله بن جميل متقدم شعراء الديوان:

أنشأ الخليفة للعلوم خزانة … سارت بسيرة فضله أخبارها

---

(١) د/ أحمد شلبي التربية الإسلامية مرجع سبق صـ١٩٤.

(٢) نفس المرجع صـ١٩٤.

(٣) ابن الفوطي: كمال الدين أبي الفضل عبد الرازق أحمد الشيباني ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة صـ٣٢٨، مطبعة الفرات - بغداد ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

أهدى مناقبه لها مستعصم بالله لألأ به أنوارها (١)

ويقول ابن طباطبا – أن الخليفة المستعصم استجد في آخر أيامه خزانة كتب، ونقل إليها نفائس الكتب، وسلم مفاتيحها إلى عبد المؤمن بن فاخر، فصار عبد المؤمن يجلس بباب الخزانة ينسخ له ما يريد، وإذا حضر الخليفة للجلوس في خزانة الكتب جاء إليها، وعدل عن الخزانة الأولى التي كانت مسلمة للشيخ صدر الدين على بن التيار (٢).

جـ- مكتبات علماء :

هذه المكتبات أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص وهذا النوع من المكتبات كان كثيرا جدا وواسع الانتشار إذ كان من الصعب أن نجد عالما أو أديبا دون أن يكون له مكتبة يرجع إليها (٣) ونذكر منها:

١- مكتبة الفتح ابن خاقان بن أحمد :

كان صديقا للخليفة المتوكل وكان يقدره ويقدمه على أولاده، وكان الفتح عالما وأديبا، وله مكتبة، لم يرى أعظم منها كثرة وحسنا جمعها له على بن يحيى المنجم ويجتمع فيها فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين.

قال أبو هفان: ثلاثة لم أرقط ولا سمعت أحب إليهم من الكتب والعلوم، الجاحظ،والفتح بن خاقان، وإسماعيل بن إسحاق القاضي، فأما

---

(١) نفس المرجع صـ١٨٤.

(٢) ابن طباطبا – مصدر سبق صـ٢٩٨، د/ أحمد شلبي – المرجع السابق ص،١٩٤.

(٣) د/ أحمد شلبي نفس المرجع صـ١٩٩.

الجاحظ فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان، حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين، ويبيت فيها للنظر، والفتح بن خاقان كان يحضر لمجالسة المتوكل، فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتابا فلا يزال يطالعه في ممره وعوده فإذا وصل إلى الحضرة الخليفية أعاده حيث كان. وأما إسماعيل ابن إسحاق فإني ما دخلت إليه إلا رأيته ينظر في كتاب، أو يقلب كتبا، أو ينفضها .

أما الكتب التي استكتبها الفتح فكانت كثيرة كتبها له نوابغ الرجال في ذلك الوقت ومنها «كتاب البستان» ألفه له محمد بن عبد ربه وكتاب اختلاف الملوك، كتاب الروضة والزهر (١) كما ألف له بن حبيب كتبا أخرى، يصفها ابن النديم بأنها لم ير أعظم منها كثرة وحسنا (٢).

٢- مكتبة حنين بن إسحاق :

هو حنين بن إسحاق العبادي، ويكنى أبا زيد، والعبادي نصارى الحيرة توفي سنة٢٦٦هـ ٨٧٩م كان فاضلا في صناعة الطب فصيحا باللغة اليونانية، والسريانية والعربية، سافر إلى بلاد كثيرة وخاصة بلاد الروم ليجمع الكتب القديمة. وهو من أبرز المترجمين في عهد الخليفة المأمون، وتتميز مكتبته بثروة وافرة من كتب الطب والكتب المكتوبة باللغات الأربع التي كان يجيدها، وذكر ابن النديم عدد كبير من هذه الكتب، ومنها «كتاب المسائل في الطب، مقالة في اللبن، كتاب الأغذية وكتاب علاج العين عشر مقالات، كتاب آلات الغذاء، الخ (٣).

---

(١) النديم مصدر سبق صـ١٨٦، ١٨٧.
(٢) نفس المصدر صـ١٧١.
(٣) النديم المصدر السابق صـ٤٦٣، ٤٦٤.

٣- مكتبة سابور (دار العلم) :

أنشأ هذه الخزانة أبو نصر سابور بن أردشير المتوفي سنة٤١٦هـ. وكان وزيرا لبهاء الدولة (٣٧٩ - ٤٠٣هـ) في خلافة الخليفة الطائع ببغداد[١].

فقد أسسها سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م وقف لها دار بالكرخ في بغداد ونقل إليها كتب بلغ عددها عشرة ألاف وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها مائة مصحف.

وكانت هذه الخزانة مركزا علميا وثقافيا يلتقى فيها العلماء، والباحثون والقراء. كما عقدت فيها الندوات والمناقشات العلمية [٢]. وتردد عليها أبو العلاء المعري أثناء إقامته ببغداد [٣].

وترك عند وفاته عام «٣٥٢هـ/ ٩٦٣م» مجموعة من ١١٧,٠٠٠ مجلد، أليس هذا أدل على ما نقرأه من أن بعض الوزراء لم يكن يخرج إلى رحلة إلا ومعه حمولة ثلاثين جملا من الكتب تصحب ركبه[٤].

---

(١) كان بهاء الدولة أحد سلاطين الدولة البويهية، الذين توسعوا في فارس ثم استولوا على العراق، وكان لسياستهم أسوأ الأثر على الخلافة العباسية، فلم تقتصر سياستهم على الحد من نفوذ الخليفة العباس في بغداد بل عملوا على نشر مذهب الشيعة، وارغام الناس على الاشتراك في أعيادهم، وامتد نفوذهم في جميع البلاد التابعة للدولة العباسية، حسن إبراهيم حسن مصدر سبق ج٣ صـ١٤٥ بتصرف.

(٢) د/ أحمد شلبي التربية الإسلامية صـ١٨٧، ١٨٨.

(٣) د/ أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي ج٣ صـ٤١٣.

(٤) هونكه مرجع سبق صـ٣٨٦.

د- مكتبات المدارس والمساجد :

لقد أولت الحكومات عنايتها بالعلم في مختلف فروع المعرفة، وجعلت لكل مسجد ومدرسة مكتبة مزودة بمجموعة ضخمة من الكتب، ومن هذه المكتبات.

١- مكتبة المدرسة النظامية :

بعد أن استولى السلاجقة على بغداد (وهم سنة) حلوا محل البويهين (الشيعة) وكان نظام الملك وزيرا للسلطان ألب أرسلان، ومواهبه المتعددة ساعدته على إدارة شئون الدولة التي سيطر على أمورها، بالإضافة إلى نجاحه في السياسة وتدبير الملك، فإن بابه مجمع الفضلاء وملجأ العلماء، وكان نافذا بصيرا ينقب عن أحوال كل منهم فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاه... ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه ورتب له ما يكفيه حتى ينقطع إلى إفادة العلم ونشره وتدريسه (١).

وبني نظام الملك المدارس، والربط، والمساجد في البلاد، وأمدها بما تحتاج إليه من كتب، وعين لها المدرسين، والطلاب، والخدم وبذل لهم العطايا الكريمة فأحيا بذلك معالم الدين (٢).

وكان نظام الملك عالما وفقيها، ولما خرج له الإمام الغزالي وناقش الأئمة، والصلحاء في مجلسه، وظهر كلامه على الجميع، ولاه نظام الملك التدريس بالمدرسة النظامية في بغداد (٣). وزود جميع المدارس بالمكتبات القيمة، وكانت نظامية بغداد أولى المدارس وأشهرها

---

(١) الأصفهاني – عماد الدين تاريخ السلجوق صـ٥٦ – ٥٧ شلبي صـ٣٦٢ – ٣٦٣.

(٢) أحمد شلبي ٣٦٢، ٣٦٣.

(٣) أحمد شلبي المرجع السابق صـ٩٢.

فنالت مكتبتها عناية خاصة، وأصبحت أعظم المكتبات المعاصرة لها وأشهرها [١].

ثم أوقف على نظامية بغداد أوقافا تدر لها ريعا قدره ١٥,٠٠٠ دينار في العام، وهذا الريع كافيا لمرتبات الشيوخ، وما ينفع للطلبة، وكان يشمل مؤنة طعامهم، وملابسهم، وفرشهم، وغير ذلك من ضرورات معاشهم، حتى نبغ فيها جمع من الفقهاء الأفاضل من لا يحصون كثرة [٢].

وعندما زار ابن جبير بغداد، وجد بها نحوا من ثلاثين مدرسة وقال أنه ما فيها مدرسة إلا وهي يقصر القصر البديع عنها، وأعظمها وأشهرها – النظاميه التي بناها نظام الملك ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات واسعة، للإنفاق على الفقهاء، والمدرسين بها، وللإجراء على الطلبة [٣].

ومن إصلاحات نظام الملك أنه أبطل ما إبتدعه الشيعة، وأوقف المكوس. والضرائب، وأزال لعن الأشعرية من المنابر، وأحسن للرعية[٤].

٢- مكتبات المساجد :

ومن مكتبات المساجد مكتبة (خزانة) الوقف بمسجد الزيدي، وهو أبو الحسن على بن أحمد المتوفي سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م، فكان شريف

---

(١) نفس المرجع صـ١٩١.
(٢) د/ أحمد شلبي – نفس المرجع صـ٣٦٥، ٣٧٣ بتصرف.
(٣) ابن جبير الرحلة صـ٢٢٩.
(٤) ابن الأثير مصدر سبق ج١٠ صـ١٤١.

النسب معروف بالزهد، بني مسجدا، ووقف له مكتبة لينتفع الناس بها[١].

وتلقت هذه المكتبة منحتين من الكتب:

أحداهما: من عمر بن محمد بن عبد الله الدمشقي، وشهرته أبو الخطاب العليمي، وكان تاجر، ثم زار بغداد، واتصل بالزيدي، وعاهده أن يوقف مكتبته على خزانته ببغداد، فلما توفى عمر أرسل أخوه الكتب إلى بغداد، ووصلت بعد وفاة الزيدي ووضعت في خزانة المسجد، والثانية – هي أن ياقوت الحموي. (صاحب كتاب معجم البلدان) أوقف كتبه على مسجد الزيدي [٢].

وعلاوة على مكتبات المساجد الخاصة، كان لكل مستشفى يستقبل زواره، قاعة فسيحة صفت على رفوفها الكتب الطبية الحديثة الصدور، تباع لتكون مادة لدراسة الطلاب، ومرجعا للأطباء [٣].

اهتمام الخليفة المستنصر بالعلم :

شهدت فترة الخليفة المستنصر بالله (أبو جعفر المنصور بن الظاهر) (٦٢٣هـ/ ٦٤٠م – ١٢٢٦ – ١٢٤٣م) إز هار في الحركة العلمية[٤] فكان يعظم أهل العلم، ورجال الدين والأدب – ويجالسهم ويستمع لهم [٥].

---

(١) د/ أحمد شلبي نفس المرجع صـ١٨١.

(٢) أحمد شلبي المرجع السابق صـ١٩٨ – ١٩٠.

(٣) هونكه مرجع سبق صـ٣٨٦.

(٤) د/ طه الخطيب السياسة الداخلية والخارجية للدولة العباسية في الفترة ٦٢٢هـ/٦٤٠هـ/ ١٢٢٥ – ١٢٤٠م رسالة ماجستير سنة ١٤٦٣هـ/ ١٩٩٣م صـ١٤٤ – ١٤٥.

(٥) وممن كان يجالسهم الخليفة المستنصر بالله – الشيخ على بن الخطاب بن مقلد أبا الحسن الضرير، والذي أقام في قصر الخلافة خمسة أشهر يعلم الجواري=

ومن حبه للعلم أنشأ خزانة كتب في قصر الخلافة جمع فيها أنواع العلوم المختلفة [١] وبفضله إتسعت حركة التأليف والتصنيف، حيث ألفت المعاجم والدواوين والكتب في مختلف العلوم – ومنها «الحساب، والفرائض، وأحوال الصوفية، وأنساب الطير والحمام، والتاريخ، والأدب، وكثرت دور الكتب الخاصة والعامة [٢].

وبيعت الكتب في أيامه بأعلى الأثمان لرغبته في اقتنائها، وحسن خطوطها، ووقفها على أهل الفضل، وإنشاء المكتبات في المساجد والمدارس[٣].

فعندما أنشأ مسجد ،مرية ببغداد سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م رتب فيه الإمام والمحدث مع ثلاثين صبيا يتلقون القرآن الكريم، والحديث وجعل به خزانة كتب [٤].

كما اهتم كبار رجال دولته بإنشاء المدارس فأنشأ الأمير «إقبال الشرابي» «المدرسة الشرابية» ، وأنشأ الأمير «باتكين» مدرسة البصرة[٥].

=القرآن. الصفدي – صلاح الدين خليل بن أيبك ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، نكت الهميان في نكت العميان صـ٢١١ المطبعة الجمالية – مصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

(١) الإربلي – عبد الرحمن سنبط قنينو ت٧١٧هـ/ ١٣١٧م خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك صـ٢١١ مطبعة الروم الأرثوزكسي ١٨٨٥م الأغطبي – على ظريف - الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد صـ١١٠.

(٢) ابن الفوطي مصدر سبق صـ١٨، ٣٨، ١٣٥.

(٣) د. ناجي معروف – تاريخ علماء المستنصرية صـ٣٨٠، مطبعة الشعب ط٣ القاهرة.

(٤) ابن الفوطي – المصدر السابق صـ٤، ١٨٨.

(٥) نفس المصدر صـ٢٤، ٢٥، ٣٠٨.

ويلاحظ أن المدارس كانت تبني لأبناء طوائفها فقط كما قال ابن الجوزي: «أن المدرسة النظامية بنيت وقف لأصحاب الشافعية، والأملاك الموقوفة لأصحاب الشافعية أصلا وفرعها» (١).

كما كانت تبني مدارس الطب مستقلة كالمارستان (المستشفى) العضدي بالجانب الغربي من بغداد، ومدرسة الطب التي أنشأها الأمير أبو المظفر باتكين في البصرة سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣٠م (٢).

وبنيت دور القرآن مستقلة أو في داخل المساجد، وكذا بنيت دور القرآن، والحديث معا، أو في المساجد (٣).

ولما كان الخليفة «المستنصر بالله» يهتم بالعلم والعلماء، وأراد النهوض بالحركة العلمية أنشأ المدرسة المستنصرية، وجمع فيها جميع فروع العلم، وبعد افتتاحها شرع الناس في تقليدها في العراق، ومصر، والشام، والحجاز وأنشأوا مدارسهم على صفتها من حيث هندسة البناء.

فقد سبقت بغداد بذلك جميع البلاد العربية والإسلامية (٤).

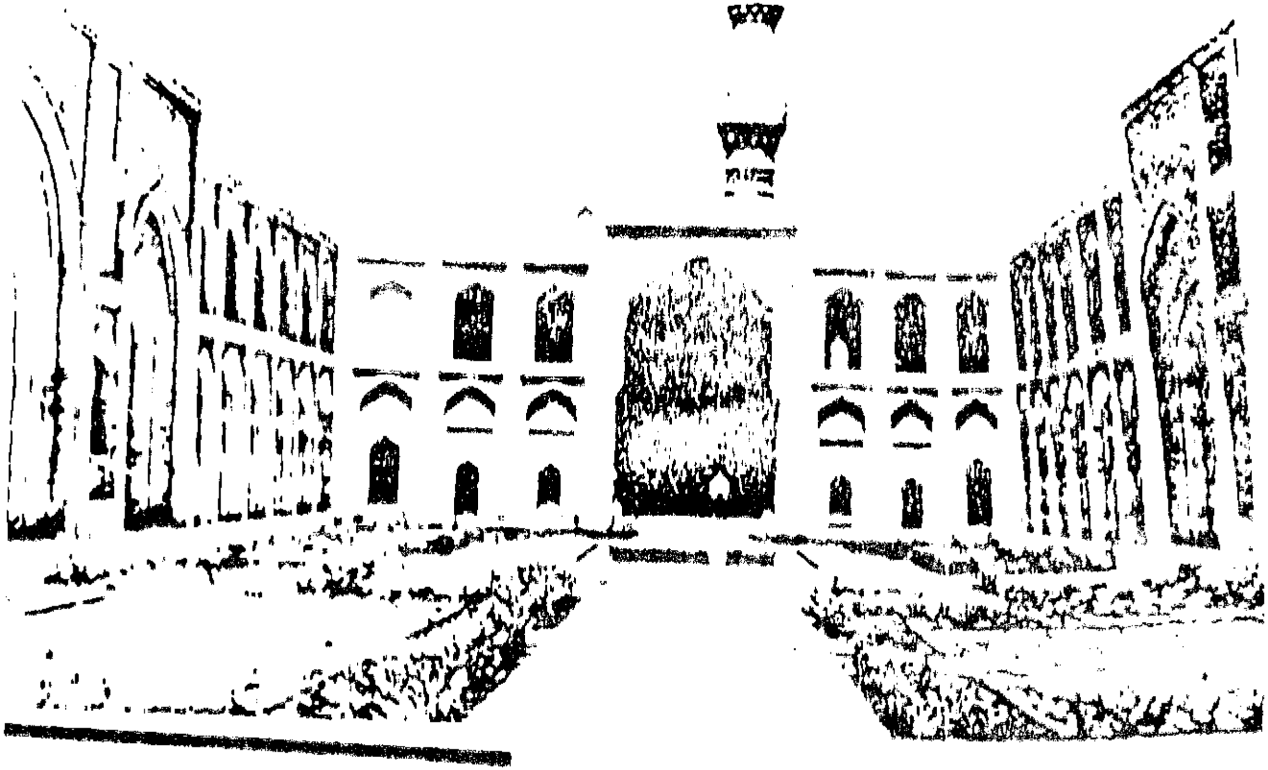
---

(١) ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن عليى ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٠ مجلدات) (مطبوع منه من الخامس إلى العاشر) ج٩ صـ٩٠ مطبعة دائرة المعارف العثمكانية حيدأباد - الدكن الهند ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

(٢) ابن الفوطي: المصدر السابق صـ٣٣، ١٨١.

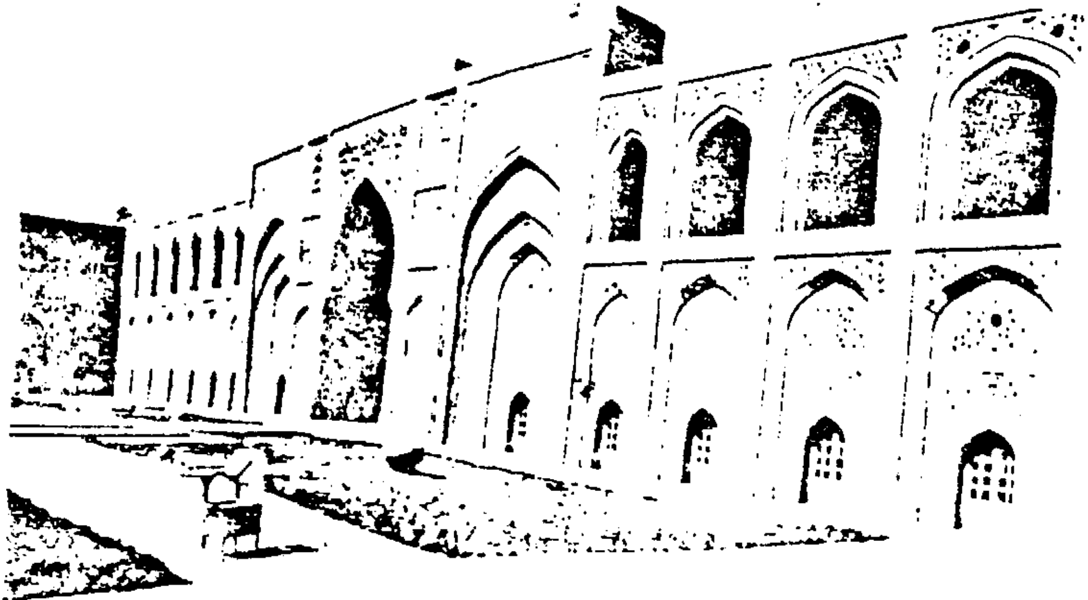
(٣) نفس المصدر صـ٤، ١٥٨.

(٤) ناجي معروف - مصدر سبق صـ٣٠.



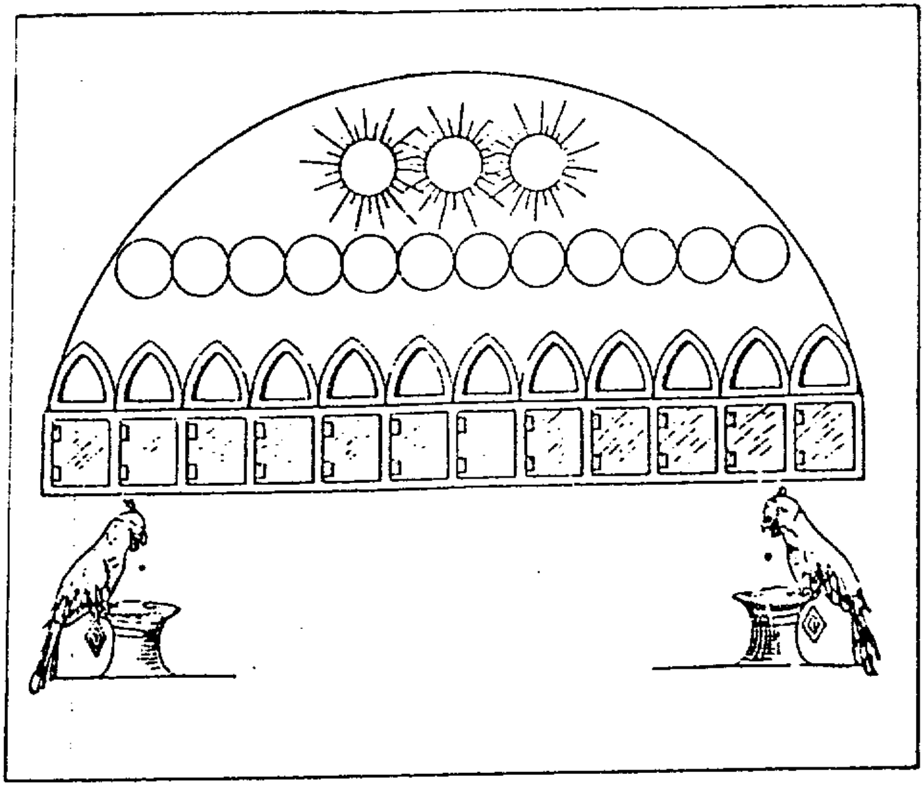
المدرسة المستنصرية في بغداد الشطر الشرقي من بناء المدرسة بعد التعمير

عن كتاب « تاريخ المدرسة المستنصرية »



واجهة المدرسة المستنصرية الشمالية من الداخل

من كتاب تاريخ علماء المدرسة المستنصرية



منظر تصوري للساعة المستنصرية
من كتاب تاريخ علماء المدرسة المستنصرية

المدرسة المستنصرية

من الأبنية العباسية المشهورة التي ما تزال قائمة إلى اليوم في بغداد. «وتعد أول جامعة في العالم الإسلامية فالتقاليد التي أخذت بها قريبة من التقاليد التي تعتمدها الجامعات في أيامنا هذه»..

والخليفة المستنصر بالله أول من ابتكر فكرة تدريس المذاهب الفقهية الأربعة في مدرسة واحدة. كما أشارت بذلك الكتابة الأجرية المثبتة على باب المدرسة [1].

وكانت هذه المدرسة موئلا للعلماء والأدباء، يحضرها الطلاب من جميع البلاد. فأصبح لها أثر في الثقافة الإسلامية.

قال الذهبي: «كانت مجمع مآثر الدين ومذاهب المسلمين فكان

---

(١) النقش الموجود على واجهة المدخل الرئيسي يتألف من عشرة اسطر وهي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم.

٢- قد أنشأ هذه المدرسة رغبة في أن الله لا يضيع.

٣- أجر من أحسن عملا وطلبا للفوز بجنات الفردوس.

٤- التي أعدها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلا...

٥- وأمر أن تجعل المدرسة للفقهاء على المذاهب الأربعة.

٦- سيدنا ومولانا أمام المسلمين وخليفة رب العالمين.

٧- أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين..

٨- شيد الله تعالى معالم لدين بخلود سلطانه راجيا.

٩- قلوب أهل العلم يتضاعف نعمه وإحسانه وذلك في.

١٠- نة ثلثين وستمايه وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الأعظمى - خالد خليل حمودي - المدرسة المستنصرية في بغداد. دار الحرية للطباعة ١٩٨١ ص٣٧ - ٣٨.

انظر ملحق رقم (١ ، ٢) .

يدرس فيها علم الأصول، وعلم القوافي، وأحاديث الرسول، والحلال والحرام وقسمة الفرائض، والتركات، وعلم الحساب والمساحات، وعلم الطب ومنافع الحيوان وحفظ قوام الصحة وتقويم الأبدان [١].

١- انشاء المدرسة :

شرح الخليفة المستنصر بالله في إنشائها سنة ٦٢٥هـ - ١٢٢٧م على شط نهر دجلة مما يلي دار الخلافة، وكلف استاذ دار الخلافة «مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمي» بالإشراف على بنائها، وبلغ تكاليف بنائها ٧٠٠,٠٠٠ دينار (سبع مائة ألف دينار) [٢] وهو مبلغ ضخم إذا عرفنا القوة الشرائية للدينار آنذاك، بحيث كان أعلى موظف في الدولة يتقاضى اثنى عشر دينار فقط.

٢- افتتاح المدرسة :

ولما تكامل بناؤها تم افتتاحها في يوم الخميس الخامس من رجب سنة ٦٣١هـ - ٧ إبرايل سنة ١٩٣٣م - في احتفال عظيم خلع فيه على «محمد ابن العلقمي» وعلى أخيه» أبو جعفر» وهما اللذان أشرفا على بنائها، وحضره نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب، والقضاة، والمدرسين، والفقهاء، ومشايخ الربط والصوفية، والوعاظ، والشعراء، وأعيان التجار. وخلع على الجميع بهذه المناسبة [٣] وذبح من أجل ذلك

---

(١) الإربلي مصدر سبق صـ٢١٢، ابن الفوطي مصدر سبق صـ٢٩.
(٢) نفس المصدر صـ٥٣.
(٣) نفس المصدر صـ٥٥ السيوطي - جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م تاريخ الخلفاء ط١٤ المطبعة التجارية مصر ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

الفا رأس من الغنم[١] وعمل سماط في صحن المدرسة كان عليه من الأطعمة والأشربة، واللحم، والدجاج، وعملت الحلوى صفوفا بحيث كان لا يرى الواقف المار أمامه... أكل منه الحاضرون، وحمل منه على سائر بيوت بغداد من الخواص والعوام، وحضرها في ذلك اليوم الوزير بن الناقد وقبل عتبتها وطاف أرجائها فراعه ما شاهده من وضعها وترتيبها [٢]...

٣- وصف المدرسة – وأقسامها:

أنشئت المدرسة في الجانب الشرقي من بغداد على ضفة نهر دجلة الجنوبي من مدخل جسر الشهداء الآن..

ويمتد أمامها رصيف عرضه ١١,٨٠مترا، وتمتد جهة المدرسة على ضفة النهر مسافة تبلغ ١٠٥مترا، وعرضها من جهة الشمال ٤٤,٢٠مترا وفي الجهة الجنوبية ٤٨,٨٠مترا فتكون المساحة العامة ٤٨٣٦مترا مربعا تقريبا..

أما صحن المدرسة المكشوف بأبعاده ٦٢,٤٠مترا، ٢٧,٤٠مترا تحيط به الحجر والغرف والقاعات والأواوين من الجهات الأربع. وقد خصصت كل منها لغرض من أغراض المدرسة..

---

(١) البصري – على بن أبي الفتح (عاش في القمر السابع الهجري الثلاث عشر الميلادي) المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية ورقة ١٤٨ب مخطوط مصور – معهد المخطوطات العربية رقم ١٢٢٥.

(٢) الغساني – الأشراف أبو العباس إسماعيل ت٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م العسجد المسبوك والجوه المحكوك في تاريخ الخلفاء والملوك ورقة ١٦١أ مخطوط (دار الكتب المصرية) ميرفيليم رقم ٣٨٦٢ طبع رسالة ماجستير – في جامعة بغداد، ابن الفوطي مصدر سبق صـ٥٦.

فمنها للتدريس، والصلاة ومخازن الطعام، والحمام، ومخزن الأدوية وخزانة الكتب، والمطبخ، وسكن الطلاب..

والطابق الثاني غرف لسكن الطلاب ، المجهزة بالحصر والبسط(١).

ويوجد في صحن المدرسة بركة يأتيها الماء من دجلة بواسطة دولاب مركب تحت مسلة المدرسة، ويجهز منها الماء البارد للطلاب(٢).

وقد قسمت المدرسة كما يلي:

قسم ربع القبلة الأيمن إلى الشافعية، والربع الثاني يسره القبلة للحنفية، والربع الثالث يمنه الداخل للحنابلة، والربع الرابع يسره الداخل للمالكية (٣).

وكان الخليفة مولعا بهذه المدرسة فلم يكن يمر يوم دون أن يزورها فأمر بعمل بستان خاص به، جعل فيه منظرة تطل عليها، وكان من عادته يأتي إليها ويسلى نفسه فيها، فيجلس في شباك عليه ستار، يشرف على أحد أواوين المدرسة فيشاهد ويراقب ما يجرى فيها ويسمع محاضرات الأساتذة ومناظرة الطلاب (٤).

وزارها الرحالة بن بطوطه سنة ٧٢٧هـ - ١٣٢٦م فقال: «بها

---

(١) نفس المصدر صـ٢٠٣ يوسف - شريف دكتور تاريخ فن العمارة العراقية في مختلفة العصور دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٢م.

(٢) ابن الفوطي: مصدر سبق ص٣٦٥، السيوطي: مصدر سبق ص٤٦١.

(٣) ابن الفوطي: نفس المصدر ص٥٨.

(٤) الأعظمي مرجع سبق ص١١٣، لسترنج - غي، بغداد في عهد الخلافة العباسية صـ٢٢٧، ٢٢٨ ترجمة بشير فرنسيس. المطبعة العربية - بغداد ١٣٥٥هـ/١٩٣١م.

المذاهب الأربعة، لكل مذهب إيوان فيه المسجد وموضع التدريس، وجلوس المدرس في قبة خشب صغيرة على كرسي عليه بسط. ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لابسا الثياب السود، معتما، وعلى يمينه وعلى يساره معيدان يعيدان كل ما يميله وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الأربعة وفي داخلها الحمام للطلبة ودار الوضوء»[١].

٤- معاهد ملحقة بالمدرسة :

كما أنشئت معاهد ملحقة بالمدرسة، وكذلك بعض المؤسسات لخدمة التعليم وهي :

أ- **دار القرآن** : وذكرت ضمن نظام المدرسة، وكان لها شيخ يلقن الطلاب القرآن الكريم ومعه معيد يحفظهم، وبها ثلاثون طالبا من الأيتام، وخصص للطلاب راتب شهري وارزاق يومية وأجريت للشيخ مخصصاته وأرزاقه وكذلك المعيد، وعزلت دار القرآن عن المدرسة حرصا من أن يعبث الصبيان بمرافقها، وحتى لا تؤثر أصواتهم على ألآخرين وحفاظا على القيم التربوية، التي قد تتأثر باختلاط كبار الطلبة بالصبية [٢].

ب- **دار الحديث** : يدبرها شيخ له دراية بعلم الحديث يساعده قارئان وهم من الشيوخ المعروفين ولهم سند برواية الحديث، وحدد عدد الطلاب بعشرة يشتغلون بعلم الحديث، وأيام الدراسة ثلاثة أيام في

---

(١) ابن بطوط- أبو عبد الله محمد بن محمد الطنجي ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م مهذب رحلة ابن بطوطه، طبع وزارة المعارف العمومية – المطبعة الأميرية ١٧٥ القاهرة – ١٩٣٩م.

(٢) ابن الفوطي: مصدر سبق ص٥٣، المشهدان د/ محمد جاسم، النقشبندي/ أسامة ناصر المستنصرية في التاريخ بغداد ١٩٨٦ ص١٦٩.

الأسبوع. وكانت ملحقة بدار الكتب، ليسهل لهم البحث والإطلاع وخصص للطلاب والأساتذة مخصصات وأرزاق ثابتة [١].

٥- مدرسة الطب «إيوان الطب» :

افتتحت مدرسة الطب بعد أن تكامل بناؤها **٦٣٣**هـ وتقع في مقابل المدرسة المستنصرية، ويديرها طبيب يساعده جماعة تشتغل بالطب، ويشرف على علاج المرضى من الطلاب والعاملين بالمدرسة المستنصرية، إلى جانب عمله في التدريس وعدد طلاب مدرسة الطب عشرة يشتغلون بعلوم الطب [٢].

وكانت هذه المدرسة سببا في تطور علم الطب والصيدلة في بغداد وألفت كتب كثيرة من قبل أطبائها.. وأصبح طبيب المدرسة مسئولا عن تعيين وعزل الأطباء في البلاد، وألحق بها صيدلية يصرف منها الدواء للمرض وبها مخزن كبير للأدوية [٣]..

وكان بناء مدرسة الطب هذه أمام مدرسة الفقه ودار الحديث، ودار القرآن جعل الاستفادة منها كبيرة كما يسها، نقل الطعام إليها من مطبخ المدرسة المستنصرية وكذلك يسهل على المشتغلين بها الاطلاع في مكتبة المدرسة..

٦- المكتبة «خزانة الكتب» :

من أهم الأقسام في المدرسة المستنصرية المكتبة، وكانت تسمى «خزانة الكتب» وتعتبر مرجعا للشيوخ والمدرسين والطلاب.. وجاء في الحوادث الجامعة أن الخليفة المستنصر بالله نقل إلى هذه المكتبة يوم

---

(١) ابن الفوطي: نفس المصدر ص٥٤ - ٥٨ الأربلي: مصدر سبق ص٢١٢.
(٢) ابن الفوطي: مصدر سبق ص٥٤، ابن العبري: مصدر سبق ٤٣٥.
(٣) ابن الفوطي: نفس المصدر ٨٢ د/ المشهداني مرجع سبق ص١٦٩.

افتتاحها. من الربعات الشريفة والكتب النفيسة، المحتوية على العلوم الدينية والأدبية، ما حمله مائة وستون حمالا سوى ما نقل إليها فيما بعد[١].

وقال السيوطي أن ما نقل إليها مائة وستون حملا من الكتب النفيسة[٢].

وقدر ما نقل إليها من كتب بثمانين ألف مجلد، ورتبت هذه الكتب بحسب الفنون ليسهل تناولها، ولا يتعب مناولها، وجعلت برسم من يطالع ويستنسخ من الفقهاء، ورتب لهم فيها الأقلام والورق [٣].

وكان العاملون بها يطلق عليهم «خازن، ومشرف، ومناول» وخصص لكل منهم راتب وأرزاق، وكان واجب الخازن – المحافظة على الكتب وتقديمها لمن يحتاجها، وواجب المشرف مراقبه قاعة الاطلاع. أما المناول فهو الذي يقوم بتسليم الكتب للمطالعة لقاء إيصالات بذلك [٤].

٧- ساعة المستنصرية :

أنشأها الخليفة «المستنصر بالله» لمعرفة أوقات الدراسة بالمدرسة والصلاة ولكنها لم تكن كالساعات المستعملة في زمانها فهي من الساعات العجيبة..

وموجز أمرها : أنه في ثامن جمادى الآخرة ٦٣٣هـ – ١٢٣٦م

---

(١) ابن الفوطي: نفس المصدر ص٥٤.
(٢) السيوطي: مصدر سبق ص٤٦١.
(٣) بن الفوطي مصدر سبق ص٤٥، تاجي معروف ص٣٣٣.
(٤) ابن الفوطي: نفس المصدر ص٥٦، المشهداني: مصدر سبق ص٧٠.

تكامل بناء الإيوان الذي أنشئ مقابل المدرسة المستنصرية وعمل تحته صفة في حائط هذه الصفة دائرة وصور فيها صورة الفلك، وجعل فيها طاقات لطاف، لها أبواب لطيفة، وفي الدائرة بازان من ذهب. في طاستين من ذهب وراءها بندقتان من شبه، لا يدركهما الناظر، فعند مضى كل ساعة يفتح فما البازان ويقع منهما البندقتان، وإذا وقعت البندقتان، في الطاستين تذهبان إلى موضعها، ثم تطلع شموس من ذهب في سماء لازورديه في ذلك الفلك من طلوع الشمس الحقيقية، وتدور مع دورانها، وتغيب مع غيابها، فإذا غابت الشمس وجاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها . كلما قضت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر، ثم يبتدي في الدائرة الأخرى إلى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيعلم بذلك أوقات الصلاة، وتقضي الساعات الزمانية ليلا ونهارا، وتؤخذ المواقيت وحلول الشمس بالبروج الأثنى عشر وكيفية قطعها الفلك والدرج والدقائق (١).

فهي من الأعمال الفنية الجليلة «للمستنصر بالله» أمير المؤمنين ونظم الشعراء فيها شعرا يصف عظمتها ومنها ما قاله «جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي» الحنبلي (٢):

يا أيها المنصور يا مالكا برأيه صعب الليالي يهون
شيدت لله ورضوانه أشرف بنيان يروق العيون

---

(١) ابن الفوطي: مصدر سبق ٨٣ – ٨٤ – ٣٢٨ الاربلي: مصدر سبق ٢١٢.

(٢) هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الصاحب محي الدين يوسف بن عبد الرحمن الجوزي، «سمى باسم جده ولقب بلقبه وكنى بكنيته ولد سنة ٦٠٦هـ توفى سنة ٦٥٦ قتل بيد التتار مع أبيه وأخويه.
وهو أحد كبار مدرس الحنابلة بالمستنصرية – السيوطي – تاريخ الخلفاء ص٤٧٧ ناجي معروف ص١٠٦.

إيوان حسن وصفه مدهش	يحار في منظره الناظرون
تهدى إلى الطاعات ساعاته	الناس وبالنجم هم يهتدون
صور فيه فلك دائر والشمس	تجري مالها من سكون
دائرة من لازورد حكت	نقطة تبر فيه سر مصون
فتلك في الشكل وهذى معا	كمثل هاء ركبت وسط نون
فهي لاحياء العلى والندى	دائرة مركزها العالمون [١]

٨- نظام الدراسة بالمستنصرية :

وضع الخليفة المستنصر بالله نظاما دقيقا للدراسة بهذه المدرسة حيث تم تحديد عدد المدرسين، والطلاب في المذاهب الفقهية ودار القرآن الكريم ودار الحديث،، ومدرسة الطب. وكان الطلاب يتخيرون من الفقهاء، بعد أن تكون لهم شهرة علمية في التأليف أو التدريس، وهذا النظام يشبه الأنظمة المتبعة في الدراسات الجامعية اليوم [٢].

ويتخلص ذلك فيما يلي :

عدد الطلاب :

٢٤٨ طالبا (فقيها) موزعين على المذاهب الفقهية الأربعة لكل مذهب ٦٢ طالبا

- ٣٠ طالب (من الأيتام) بدار القرآن الكريم.
- ١٠ طلاب بدار الحديث
- ١٠ طلاب بمدرسة الطب

---

(١) ابن الفوطي ص٨٣ – ٨٤، القزويني مصدر سبق ص٣١٦ – ٣١٧.

(٢) ابن الفوطي : مصدر سبق ص٥٨ – ٥٩ السيوطي: مصدر سبق ص٤٦١، ناجي معروف: مرجع سبق ص٣٨.

٢٩٨ مجموع الطلاب..

أعضاء هيئة التدريس :

١ والي (ناظر) بمثابة رئيس الجامعة.

٢٠ عضو هيئة تدريس للمذاهب الفقهية الأربعة توزع مدرس وأربعة معيدين لكل مذهب..

٢ عضو هيئة تدريس بدار القرآن الكريم شيخ يلقن الطلاب ومعه معيد يلقنهم..

٣ عضو هيئة بدار الحديث (شيخ) ومعه معيدان يساعدانه في قراءة الحديث...

١ عضو هيئة نحو

١ عضو هيئة رياضيات

١ عضو هيئة طبيب مسلم

٣٩ عضو هيئة تدريس [١]

٩- العاملون بالمدرسة :

ناظر (والي) يختار من بين كبار موظفي الدولة يتولى النظر في مصالحها مشرف (بمثابة المفتش) ويراقب الأعمال المالية. كاتب يساعد الناظر والمشرف وكان بها عشرة فراشين. وثلاثة بوابين، وحمامي، ومزين وطباخ، وغلام يساعده وخازن اللالآت، وخزنة الديوان ومزملاني، ومؤذن، ونفاط، ومعمارية وخازن بخزانة الكتب، ومشرف، ومناول للكتب، ومرتب لكل طائفة وإمام وساعاتي [٢].

---

(١) ابن الفوطي: مصدر سبق ص٥٦ – ٥٨ – ٥٩، السيوطي: مصدر سبق ص٤٦١، الأربلي: مصدر سبق ص٢١٢، ناجي معروف: مرجع سبق ص٤٠.

(٢) الغساني مصدر سبق صـ١٥٧، ناجي معروف مصدر سبق صـ٥٧.

١٠- مستوى المعيشة :

عمل الخليفة «المستنصر بالله» على راحة العلماء والطلاب ليتفرغوا للبحث والدراسة، فخصص أوقافا باسم المدرسة، وكانت الشيء الكثير، إذ بلغت في إحدى السنين ألف ألف دينار (مليون دينار)[١].

قال السيوطي بلغت وارداتها نيفا وسبعين ألف مثقال [٢]. من الذهب في السنة [٣] أي بما قيمته ٩٠٠ ألف دينار وذكر هذه الأوقاف الدكتور ناجي معروف نقلا عن الذهبي..

وهو عدة رباع وحوانيت ببغداد وعدة قرى كبار وصغار [٤].

وكان العاملون والمدرسين والطلاب يتقاضون رواتب شهرية كل حسب مرتبته، كما خصص لهم جميعا كافة ما يكفلهم من الأطعمة والأشربة، وكانت الأطعمة توزع مطبوخة بالإضافة إلى الخبز والحلوى والفاكهة والصابون..

وتميزت رجال الإدارة والشيوخ في مخصصاتهم فكان يوزع عليهم كميات كبيرة من اللحم والخبز بحوائجها وخضرواتها وحطيها تكفى لهم ولعيالهم وضيوفهم عدا ما كانوا ينالونه من الخلع والجرايات

---

(١) الذهبي – شمي الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ص٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م دول الإسلام جزءان ج٢ صـ١٠٣، مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيداباد – الدكن الهند ١٣٢٧هـ/ ١٩١٨م.

(٢) المثقال الشرعي هو ٤,٤٦جرام وهذه القيمة تعادل مليون دينار، ناجية – إبراهيم دكتوره ريف بغداد – أواخر العصر العباسي دار الشئون الثقافية العامة – بغداد ١٩٨٨م.

(٣) السيوطي مصدر سبق ٤٦١.

(٤) د/ ناجي معروف مرجع سبق ٤٠٣.

الأخرى [١].

ورتب لهم ما يشترى به الحصر، والسراج والزيت وجميع المستلزمات من الأدوات الكتابية، وأدوات النظافة وخلاف ذلك [٢].

وكان أرباب هذا الوقف يتقاضون مرتباتهم الشهرية تختلف باختلاف مناصبهم وكانت هذه الأجور والجرايات تضاعف في شهر رمضان. وكان المرضى من العاملين بالوقف يعالجون مجانا ويعطى لهم ما يوصف من الأدوية والأشربة [٣].

قال الغسائي: كل ذلك من اختراع الواقف رحمه الله [٤].

خامساً – الوراقة والوراقون :

تقدم فن الوراقة في بغداد، ويقصد به نسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها، وكل ما يتعلق بإخراج الكتاب.

وكان الوراقون يبيعون هذه الكتب في دكاكينهم، وقد وصل عدد الوراقين في بغداد نحو ماءة وراق، محالهم أشبه بالمكتبات العامة في يومنا هذا [٥] وأصبحت هذه المحال، مراكز أدبية ومؤسسات للنسخ والخط وفقا لذوق العصر [٦].

فقد كانت علماء العرب تهتم بالكتب، فكل متعلم من أكبر كبراء الدولة إلى بائع الفحم، ومن القاضي إلى مؤذن المسجد. هو زبون دائم

---

(1) ابن الفوطي: مصدر سبق ٥٨ – ٥٩، ناجي معروف مصدر سبق ص٤١.
(2) الغسائي: مصدر سبق ص١٥٧.
(3) ابن الفوطي: مصدر سبق ص٥٩.
(4) الغسائي: مصدر ١٥٧.
(5) عصام عبد الرؤوف – مرجع سبق صـــ١٢٢.
(6) ليسلر مرجع سبق صـــ٩٩.

عند بائع الكتب.

وإن متوسط ما تحتويه مكتبة خاصة لعربي في هذه الفترة، كان أكثر ما تحتويه مكتبات الغرب مجتمعة، ولم يكن المرء يحسب من الأغنياء ما لم يكن يملك مجموعة من الكتب النادرة [١].

ويقول الحضرمي: أنه ذهب إلى قرطبة، وتردد على سوق كتبها يبحث عن كتاب يهمه، ولما عثر عليه فرح به أشد الفرح، وعرض هذا الكتاب في المزاد حتى ارتفع سعره، فطلب من الدلال معرفة المنافس له في الكتاب فوجده شخصا ثريا، فسأله إن كان له غرض من الكتاب تركه له لأن الزيادة بلغت أكثر من حده فقال لي لا أدري ما فيه، ولكن أقمت خزانة كتب واردت أن أتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط ، جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه [٢].

وفي سوق الكتب عند بوابة البصرة ببغداد، كان المتعلمون من كل أنحاء العالم الإسلامي يجتمعون، ويفتشون عما صدر حديثا من الكتب، ويناقشون ويتبادلون المعرفة.

ففي عام ٣٩١هـ/١٠٠٠م صدر كتاب بعنوان (تبادل الأفكار) يحوى ١٠٦ مناقشات دارت بين العلماء بعضها في منزل فيلسوف عربي، وبعضها في حوانيت الكتب [٣].

وكان ابن النديم «أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم» (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) تاجرا للكتب، واستقبل

---

(١) هونكه مرجع سبق صـ٣٨٨.
(٢) نفس المرجع صـ٣٨٩.
(٣) نفس المرجع صـ٣٨٩.

زبائنه وتعرف بهم وهو عالما فذا له شهرته ألف (الفهرست) الذي يحوي جميع الكتب والترجمات باللغة العربية.

وابن النديم كأغلبية زملائه من تجار الكتب تلقى تربية علمية واسعة وكان صديقا لأئمة العلماء الذين كان يقضي معهم السهرات الطوال في المناقشات العلمية المثمرة [١].

كما كان على بن عيسى المعروف بابن كوجك، وراقا وأديبا، فاضلا وألف عدة كتب [٢].

وكذلك ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله المتوفي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م كان يتاجر في الكتب ويزور أسواق الوراقين ليعرض تجارته.

ويصف ابن الجوزي (المتوفي سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) سوق الوراقين ببغداد في زمنه بقوله «أنها كبيرة وهي مجالس العلماء». [٣] أما سوق الكتبيين بمصر يقول عنه المقريزي» هذا السوق فيما بين الصاغة، والمدرسة الصالحية، أحدث فيما أظن بعد سنة ٧٠٠هـ، وكان سوق الكتب قبل ذلك بمدينة مصر (الفسطاط) تجاه الجانب الشرقي من جامع عمرو بن العاص بجوار دار عمرو... ما برح هذا السوق مجمعا لأهل العلم يترددون إليه وقد أنشدت قديما لبعضهم.

مجالسة السوق مذمومة ... ومنها مجالس قد تحتسب

فلا تقربن غير سوق الجياد ... وسوق السلاح وسوق الكتاب

---

(1) هونكه المصدر السابق صـ٣٩٠، ٣٩١.

(2) د/ أحمد شلبي التربية الإسلامية صـ٦٣، ٦٤.

(3) نفس المرجع صـ٦٤، ٦٥.

فهاتيـــك آلـــة الـــوغي وهاتيـك آلـة أهـل الأدب (١)

ويرجع الفضل في تقدير الكتب، إلى الجاحظ، فهو الذي وجه الناس إلى الكتاب وقيمته، والنثر وفائدته، وكان الإتجاه العام قبله ينحاز للشعر ودواوين الشعراء، فلما جاء الجاحظ وجه أنظار الناس على الكتابة والكتب مبينا ما فيها من علم، ومعرفة (٢).

ويصف الكتاب بقوله «والكتاب صامت ما أسكته، وبليغ ما استنطقته، مسامر لا ينتدبك في حال شغلك، ويدعوك في أوقات نشاطك، ولا يحوبك إلى التجمل له، والتذمم منه، وهو جليس لا يطريط، وصديق لا يغربك، ورفيق لا يملك ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتال لك بالكذب(٣).

وقال الجاحظ أيضا دخلت على محمد بن إسحاق أمير بغداد في أيام ولايته، وهو جالس في الديوان، والناس مثول بين يديه،... ثم دخلت إليه بعد مدة وهو معزول وهو جالس في خزانة كتبه، وحواليه الكتب والدفاتر، والمحابر والمساطر، فما رأيته أهيب منه في تلك الحال(٤).

ولكن الكتب التي أبرز الجاحظ قيمتها وأعلى قدرها لم تبربه، بل قست عليه، وكان بها حتفه، فقد روى أن موته كان بوقوع مجلدات عليه، وكان من عادته أن يصفها قائمة كالحائط محيطة به وهو جالس وكان عليلا فسقطت عليه قتلته (٥).

---

(١) المقريز مصدر سبق ح٢ صـ١١٢.
(٢) د/ أحمد شلبي التربية مصدر سبق صـ١٤٢.
(٣) الجاحظ – أبي عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ الحيوان ج١ صـ٥٠، ٥١ تحقيق وشرح عبد السلام هارون مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
(٤) ابن طباطبا مرجع سبق صـ١٠، ١١.
(٥) أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود الأيوبي صاحب حماه ت٧٣٢هـ/ ١٢٣١م المختصر في أخبار البشر ج٢ صـ٤٧ القسطنطينية – ١٢٨٦هـ/ ١٨١٩م.

ومات الجاحظ سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م. في خلافة المعتز وله من الكتب «كتاب الحيوان». والمشهور أنه سبعة أجزاء وأضاف إليه كتاب آخر سماه «كتاب النساء» وهو الفرق بين الذكر والأنثى.

وقال: ميمون بن هارون «قلت للجاحظ – ألك بالبصرة ضيعة؟ فتبسم وقال: إنما أنا وجاربة وجارية تخدمها، وخادم، وحمار... أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك، فأعطاني خمسة ألاف دينار، وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولي، فأعطاني خمسة ألاف دينار، فانصرفت إلى البصرة، ومعي ضيعة لا تحتاج إلى تحديد، ولا تسميد [١]».

سادساً – تقدير العلماء :

كان الناس ينظرون إلى المؤدب نظرة استخفاف، وأنهم في مستوى اجتماعي مهين، وعلق الخليفة المأمون على ما أثر عن بعض المؤدبين من تخلف وبلاده بقوله: «المعلم يجلوا عقولنا بأدبه، ويصدأ عقله بجهلنا، ويوقرنا برزانته، ونستخفه بطيشنا، ونأخذ منه محمود خصاله، ويستغرق مذموم خصالنا، وإذا برعنا في الإستفادة برع في البلادة، فهو طول عمره يكسبنا عقلا ويكسب منا جهلا، فنحن الدهر ننزع منه آدابه المكتسبة ويثبت فيه أخلاقنا [٢]».

وأما الخلفاء والأمراء فإنهم قدروا المعلمين ورفعوا من شأنهم، واحترموهم، واستعانوا بهم في تعليم أولادهم في قصورهم وقدموا لهم

(١) النديم: مصدر سبق صـ٢٩٣.

(٢) ابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن على ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م أخبار الحمقي والمضعفين صـ١٤٠، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

الهبات والعطايا.

وارتفع شأن المعلمين بين الناس وعلت مكانته، ونظر إليه على أنه أحد أفراد الأسرة، التي يعلم فيها فردا أو أكثر من أبنائها بل كان ينتسب إليها ويلقب بلقبها، فعندما صحب أبو محمد يحيى بن المغيرة ، يزيد بن منصور خال الخليفة المهدي . ليؤدب ولده فنسب إليه.

كما اهتم الخلفاء بمعلمي أبنائهم ارتفعوا بمستواهم الاجتماعي، فعندنا اختير العالم على بن حسين الأحمر سنة ١٩٤هـ ليعلم الأمين كان يعيش في حجرة واحدة في حي متواضع من أحياء بغداد، وسرعان ما نقله الخليفة هارون الرشيد إلى مستوى اجتماعي رفيع يصفه محمد بن الجهم بقوله: «كنا إذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل قصرا من قصور الملوك ويخرج علينا الأحمر وعليه ثياب الملوك »[١].

وكان قد حضر بعض أولاد الخليفة المهدي عند شريك القاضي سنة ١٧٧هـ وهو يلقى الدرس على طلابه، فاستند ابن المهدي إلى الحائط، وسأل عن حديث فلم يلتفت إليه شريك، ثم عاد وسأل، فعاد شريك إلى إهماله فقال ابن الخليفة: «تستخف بأولاد الخلفاء؟ قال: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه »[٢].

وقد مر الخليفة الرشيد بحلقة محمد بن الحسن، فقام الناس كلهم إلا محمد بن الحسن، فاستدعاه الخليفة لمقابلته، ولما عاد سأله أصحابه عما كان، فقال سألني الرشيد، مالك لم تقم مع الناس؟ فقلت: كرهت أن أخرج عن طبقة العلماء إلى طبقة العامة، فسر الخليفة بإجابتي »[٣].

---

(١) أحمد شلبي التربية الإسلامية المرجع سبق صـ٢٢٦.
(٢) نفس المرجع ٢٣٠.
(٣) نفس المرجع ٢٣١.

ويقول: «Palmer» أن أبا معاوية الضرير العالم كان يتغدي مره مع الرشيد، فلما انتهى الغداء وأراد العالم أن يغسل يده، قدم له شخص الطصت، والإبريق، وصب عليه، ولما انتهى العالم الأعمى من غسل يديه شكر، ذلك الذي أولاه هذه العناية، وصب عليه الماء، ولكنه اكتشف أن الذي صب عليه الماء هو الخليفة نفسه ، على كثرة خدمه، فقال العالم يا أمير المؤمنين أني أعتقد أنك فعلت هذا تكريما للعلم، فأجاب الرشيد هو كذلك [١].

وكان الخليفة المعتضد يطوف يوما في البستان ووضع ثابت بن قرة يده في يد الخليفة، إذ نزعها الخليفة منه دفعة واحدة، فقال ثابت: «ما بدا يا أمير المؤمنين؟ فقال: المعتضد» كانت يدي. فوق يدك، والعلم يعلوا ولا يعلى عليه [٢].

وتوفى ثابت بن قرة سنة ٢٨٨هـ/ وكان يعمل في جملة المنجمين لدى الخليفة المعتضد، وكان يجالسه وعلت مرتبته، وأصبح من الأثرياء، وله كتب كثيرة في العلوم الآتية : الفلك، والحساب، والهندسة، والطب، والصيدلة، وله رسالة في الجدرى، والحصبة [٣].

هذه أمثلة قليلة من تراث يتحدث عن قدر العلماء ومكانتهم لدى الخلفاء والمجتمع.

وخلاصة القول أن ما يشاهده المرء من القرن «الثالث الهجري - التاسع الميلادي» إلى القرن «الخامس هجري - الثاني عشر ميلادي» لم يكن له مثيل قبل ذلك، ففي كل كلف لاحد له بالكتب وآلاف المساجد

---

(١) Hazllme Rushid p٣٢.

(٢) أحمد شلبي المرجع السابق ٢٣٢.

(٣) النديم مصدر سبق صـ٤٣٥، ٤٣٦.

تهتز بفصاحة العلماء، ومائة بلاط رائع تدوي مباريات شعرية أو فلسفية، وطرقات خاصة بالعلماء، للبحث والمعرفة، وهذه أهم يقظة فكرية في التاريخ الإسلامي [١].

***

(١) ليسلر مرجع سبق صـــ١٠٠.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر:

القرآن الكريم :

المخطـوطات :

١- البصري - على بن أبي الفتح (عاش في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية مخطوط - مصور معهد المخطوطات العربية رقم ١٢٢٥.

٢- الغساني - الأشرف أبو العباس إسماعيل ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في تاريخ الخلفاء والملوك مخطوط (دار الكتب المصرية) ميكروفيلم رقم ٣٨٦٢.

المصادر المطبوعة:

١- ابن الأثير - أبو الحسن ابن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزرى ت٦٣٠/١٢٣٢م الكامل في التاريخ دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥م.

٢- الإربلي - عبد الرحمن سنبط قنينو ت٧١٧هـ/ ١٣١٧م خلاصة الذهب المسبوك - مختصر من سير الملوك مطبعة الروم الأرثوزكس ١٨٨٥م.

٣- ابن بطوطه - أبو عبد الله محمد بن محمد الطنجي ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م مهذب رحلة ابن بطوطة طبع وزارة المعارف العمومية - المطبعة الأميرية القاهرة سنة ١٩٣٩م.

٤- الجاحظ - أبي عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ الحيوان تحقيق وشرح - عبد السلام محمد هارون مكتبة مصطفى البابي الحلبي.

٥- ابن جبير - أبو الحسن محمد بم أحمد ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م رحلة ابن جبير دار التحرير للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٥٨هـ/ ١٩٦٨م.

٦- ابن الجوزي - أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠ م:

١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٠ مجلدات - مطبوع من الخامس إلى العاشر) مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن - الهندسة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

٢- أخبار الحمقى والمغفلين منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

٧- ابن خلودن - عبد الرحمن بن محمد ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م مقدمة بن خلدون ط٥ دار العلم بيروت ١٩٨٤م.

٨- الذهبي - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م دول الإسلام جزءان مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدأياد - الدكن - الهند س١٣٢٧هـ/ ١٩١٨م.

٩- السيوطي - جلال عبد الرحمن أبي بكر ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م تاريخ الخلفاء المطبعة التجارية - مصر ١٣٨٩هـ ٩٦٩م.

١٠- الصفدي - صلاح الدين خليل بن أيبك ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م نكت الهميان في نكت العميان، المطبعة الجمالية مصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

١١- ابن طباطبا - محمد بن علي المعروف بابن الطفطقي ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م الفخري في الآداب السلطانية مطبعة محمد على

صبيح ت١٩٦٣م.

١٢- أبو الفداء - إسماعيل بن على بن محمود الأيوبي صاحب حماة ت/٧٣٢هـ/ ١٢٣١م المختصر في أخبار البشر القسطنطينية ١٢٨٦هـ/ ١٨١٩م.

١٣- ابن الفوطي - كمال الدين أبي الفضل عبد الرازق بن أحمد الشيباني ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في الماءة السابعة مطبعة الفرات - بغداد سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

١٤- القزويني - زكريا بن محمد بن محمود ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م آثار البلاد وأخبار العباد دار بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٥- المقريزي - تقي الدين أحمد بن علي ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية. ط(٢) القاهرة ١٩٨٧م.

١٦- النديم - أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالنديم ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م الفهرست ضبطه د/يوسف على طويل دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ط(١) ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٧- ياقوت - شهاب الدين أبو عبد الله - الحموي ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م معجم البلدان دار صادر بيروت.

ب- المراجع الحديثة :

إبراهيم العدوي أ. دكتور:

١- تاريخ العالم الإسلامي - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٣.

أحمد شلبي أ. دكتور:

٢- ١- موسوعة النظم والحضارة الإسلامية - التربية الإسلامية

- (نظمها ، فلسفتها، تاريخها) مكتبة النهضة المصرية ط(٦) سنة ١٩٧٨م.

٢- موسوعة التاريخ الإسلامي - مكتبة النهضة المصرية ط(٨) ١٩٨٥م.

جاك ليسلر

٣- الحضارة العربية - ترجمة غنيم عبدون - مراجعة أحمد فؤاد الأهواني - الدار المصرية للتأليف والترجمة.

حسن إبراهيم حسن أ. دكتور

٤- موسوعة تاريخ الإسلام السياسي والديني مكتبة النهضة المصرية ط٧ ١٩٦٤م.

زيغرد هونكة

٥- شمس العرب تسطع على الغرب - ترجمة:

فاروق بيضون، كمال دسوقي راجعة فاروق عيسى الخوري المكتبة التجارية للتوزيع ط(١) سنة ١٩٦٤م.

شريف يوسف دكتور

٦- تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور دار الرشيد للنشر - بغداد ١٩٨٢م.

عبد الحميد العبادي دكتور د. محمد مصطفى زيادة ,د. إبراهيم العدوي

٧- الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها.

دار النهضة مصر - القاهرة.

عصام عبد الرعوف دكتور

٨- الدولة العباسية - مكتبة نهضة الشرق - جامعة القاهرة ١٩٨٥م.

على ظريف الأعظمي دكتور

٩- مختصر تاريخ بغداد.

مطبعة الفرات - بغداد سنة ١٩٢٦م.

غي لسترنج

١٠- بغداد في عهد الخلافة العباسية ترجمة بشير فرنسيس المطبعة العربية - بغداد ١٣٥٥هـ/ ١٩٣١م.

محمد أحمد حسب الله أ. د

١١- في تاريخ دولة بني العباس - جامعة الأزهر قسم التاريخ والحضارة الإسلامية.

ناجية إبراهيم دكتوره

١٢- ريف بغداد - أواخر العصر العباسي دار الشئون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٨م.

ناجي معروف دكتور

١٣- تاريخ علماء المستنصرية - مطبعة الشعب ط(٣) القاهرة.

رسائل علميه

د/ طه عبد العزيز الخطيب

١٤- السياسة الداخلية والخارجية للدولة العباسية في الفترة من ٦٢٢ -٦٤٠هـ/ ١٢٢٥ - ١٢٤٠م رسالة ماجستير سنة ١٤٦٣هـ/ ١٩٩٣م.

الفصل الثالث

بعض ما نقله الأوربيون من المسلمين[(١)]

(١) إعداد د/ طه عبد العزيز الخطيب .

إتفق الباحثون على أن الحضارة الإسلامية كان لها أثر بالغ في الحضارة الأوروبية ، ففي الوقت الذي كانت فيه أوربا لا تزال تضطرب في ظلام العصور الوسطى ، كان المسلمون قد بسطوا نفوذهم على معظم بقاع العالم المتحضر القديم، وأفادوا من ثقافة: "الفرس، والهند، والصين ، والثقافة العربية الأصيلة" ، وأفسحو صدورهم لهذه الثقافات والحضارات المختلفة ، وأقبلوا عليها ، وتولوها بالرعاية والعناية والبحث والدرس ، والتصحيح والتهذيب ، وأضافوا إليها الكثير من أفكارهم ، وإبتكاراتهم حتى بلغت غاية نضجها واكتمالها وتميزت على ما عاداها من الحضارات السابقة .

وقد أشعت هذه الحضارة ، ونشرت أضواءها على أوربا ، بوسائل وطرق كثيرة من أهمها وأعظمها أثراً :-

١. **طريق الأندلس** : فقد أقام المسلمون هناك جامعات زاهرة ، قصدها طلاب العلم من أوربا، ونشر هؤلاء الطلاب في بلادهم ما تعلموه من العرب ، كما إنتفع الأوربيون بدور الكتب الكثيرة التي كانت منتشرة في أسبانيا مما ساعد على إحياء العلوم في أوربا فيما بعد .

٢. **طريق صقلية** : ظل المسلمون في هذه البلاد زهاء ١٣٠ سنة ، فأصبحت المركز الثاني لنشر الثقافة العربية في أوربا ، وكان الملوك المسيحيون هناك يشجعون علماء العرب على الإنتاج العلمي ، كما كانوا يدفعون رعاياهم إلى ترجمة الكتب العربية .

٣. **طريق الشرق** : كانت الحروب الصليبية ، والحج إلى بيت المقدس ، مدعاه لإختلاط الأوربيين بالعرب ، فنقلوا عنهم الكثير من الكتب

العربية مما ساعد على ظهور روح البحث ودراسة علوم الأقدمين وآدابهم وفنونهم .

ولقد تأثرت الجموع الغفيرة من مختلف بلدان أوربا لقرب أسبانيا من الأوربيين، وقيام دولة إسلامية (الأندلس) أمتدت قروناً طويلة . إزدهرت خلالها الحضارة الإسلامية ، ونشطت في ظل هذه الدولة حركة علمية زاهرة، كما أن نشاط المسلمين العلمي بالاندلس لم يقف عند حد إسهامهم الخاص في مختلف العلوم ، وإنما قاموا كذلك بجلب المؤلفات المختلفة لعلماء المسلمين من مختلف مراكز المشرق العلمية ، وكذلك من القسطنطينية لصلة الود التي كانت قائمة بين الدولة الأموية وبين البيزنطيين .

ولذا فقد أغنت أسبانيا الأوربيين عن الإتجاه لغيرها إلى حد بعيد .

على أننا لو نظرنا إلى ما أقبل الأوربيين على نقله من العلوم لوجدناه يمثل الحركة العلمية الواسعة التي أزدهرت بجهود المسلمين ، ومن هذه العلوم :

الطــــــب

الطب عند العرب ـ قبل الإسلام :

من الثابت أن العرب قبل الإسلام كانت لهم عناية بالطب منذ العصر الجاهلي ، وتعلم الطب بعض العرب الذين خالطوا الفرس والروم ، واشتهروا بهذه الصناعة [١] ويعتبر لقمان الحكيم أقدم أطباء العرب [٢] والحارث بين كلده المولود في الطائف في القرن السادس الميلادي ، فتعلم الطب في مدرسة (جند يسابور) [٣] بفارس وأشتهر هناك وذاع صيته ، وأصبح طبيب الخاصة ، ولما عاد إلى بلاده اشتهر بين العرب ، وكان محل ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ، فعندما مرض سعد بن أبي وقاص ، استدعاه له الرسول صلى الله عليه

---

(١) الشيرازى : السيد محمد الحسيني ، من التمدن الأسلامي صـ١٥٧ دار الصادق بيروت ـ لبنان ط(١) سنة١٩٧٧م .

(٢) ابن العبري ـ غرغريوس الملطي ت ٧٨٥م/١٢٨٦م ، تاريخ مختصر الدولة ص٣١ ـ الكاثولوكية ـ بيروت لبنان ط(٢) ١٩٥٨م .

(٣) جند يسابور : مدينة في إقليم خوزستان بفارس (إيران) أسسها الملك سابور الأول الساساني وأسكن فيها الأسرى من الشعوب اليونانية ، وازدهرت هذه المدينة ازدهاراً كبيراً فأسس فيها معهد طبى الحق به ستشفى كبير ، وكان الأساتذة والأطباء فيه من الهنود واليونان الذين أخرجوا من بلادهم ولجأوا إلى فارس ، أو كانوا من النصارى السريان ، وعلى هذا إلتقت في جند يسابور الثقافة الهندية والفارسية واليونانية في ظل ملك مستتير ، هو كسرى أنو شروان. وقد واصلت هذه المدرسة نشاطها بعد الفتح العربي لفارس ، فأمدها خلفاء الأسلام بالأطباء قروناً ، وكان لها شأن كبير في الحركة العلمية في الإسلام .

زيغردهونكه ـ (شمس العرب تسطع على الغرب) نقله من الألمانية : فاروق بيضمون ، وكمال دسوقي ـ الكتب التجارى للطباعة والنشر .

وسلم ليشرف على علاجه [١] .

الطب في صدر الإسلام :

من أولى إهتمامات الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أوصى بالعناية والأهتمام بالصحة ، وحماية الجسم من الأمراض ، حيث قال صلى الله عليه وسلم "إن لبدنك عليك حقاً"

ونظراً لما يترتب على سوء التغذية من أضرار على صحة الإنسان .

فقد بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن "المعده بيت الداء وأوصانا بأن لكل إمرئ ثلثاً من بطنه لطعامه ، وثلثاً آخر لشرابه ، وثلثاً لنفسه" .

فمراتب الغذاء ثلاثة : إحداهما مرتبة الحاجة ، والثانية مرتبة الكفاية ، والثالثة مرتبة الفضلة .

فأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم : أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه، فلا تسقط قوته ، فإن تجاوزها : فليأكل في ثلث بطنه ويدع الثلث الآخر للماء ، والثلث للفس ، وهذا أنفع للبدن و القلب .

إن البطن إذا أمتلأ ضاق في الشراب ، وإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس ، وعنّ له الكرب والتعب مثله مثل حامل الحمل الثقيل هذا ما يلزم ذلك من فساد القلب ، وكسل الجوارح عن الطاعات [٢] .

---

(١) القفطي : جمال الدين أبو الحسن على بن القاضي ــ أخبار العلماء بأخبار الحكماء ــ مطبعة الخانجى سنة ١٣٢٦هــ .

(٢) ابن قيم الجوزية . شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ٦٩١ /٧٥١ هــ ــ الطب النبوي ص ١٧،١٨ ــ دار نور الإسلام.

ويبلغ عدد الأحاديث النبوية الطبية الموروثة عن النبي صلى الله عليه وسلم حوالي ثلثمائة حديث ، وقد جمعت في كتب تحت عنوان الطب النبوي، توصى جميعها بالقناعة ، وتفرض التطبيق العملي لعلم الصحة والنظافة ، وعندما شرحت بصورة متقنة ، شغلت مكاناً كبيراً في الطب الشعبي (١) .

وأطباء فترة الخلفاء الراشدين التي تمتد من سنة (١١-٤١هـ / ٦٢٢- ٦٦١م) كانوا يعرفون من قبل فن تضميد الجروح ، والكي ، والفصد، والحجامة (٢) .

وتعتبر أول مستشفى ميدانى عسكرى فى الإسلام هى الخيمة التى نصبت فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فى المديينة المنورة لعلاج المصابين فى غزوة الخندق ، وكانت "رفيدة الأسلمية" هي المشرفة عليها ، فعندما أصيب سعد بن معاذ الانصاري (سيد قبيلة الأوس) قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "أجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب" (٣) .

وكان سعد قد اصيب بسهم رماه حبان ابن قيس (أحد المشركين) فقطع من سعد الأكحل (وهو عرق في الذراع) وبذلك اعتبرت رفيدة أول ممرضة في الإسلام (٤) .

---

(١) جاك ــ ريسلر ــ أستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس ، الضارة لعربية صــ١٩٣ ، ترجمة ــ غنيم عبدون ــ مراجعة د/ أحمد فؤاد الأهواني ، الدار المصية للتأليف والترجمة .

(٢) نفس المرجع صــ١٩٣.

(٣) ابن كثير ــ الحافظ إسماعيل ٧٠١-٧٧٤هـ ، الفصول في سيرة الرسول صــ٦٥ ،مكتبة الفيصلية ــ مكة المكرمة .

(٤) د/ سمير عرابي : علوم الطب والجراحة عند علماء المسلمين صــ٩٥ ، دار الكتاب الحديث.

الطب الوقائي :

لقد جاء الإسلام بمنهج يحث على سلامة الجسد ، والنفس ، والمجتمع، فجعل الغسل واجب عند الجنابة ، وعند الحيض ، وفي الحج، وغير ذلك ، وهو مستحب في العيدين والإحرام ، واختلف العلماء في وجوبه أو استحبابه يوم الجمعة ، والغالب أنه مستحب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : "غسل يوم الجمعة على كل محتلم ، وسواك ، ويمسُّ من الطيِّب، ما قدر عليه" (١) .

بل إنه حدد للمسلم فترة زمنية قصوى للفارق بين الغسلين فقال صلى الله عليه وسلم : "حَقٌّ على كلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْماً ، يَغسِلُ فِيهِ رأسَهُ وجَسَدَهُ" (٢) .

وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بالتنزه من قذارة البول ، والغائط ، وشدد في ذلك حتى إنه مر على قبرين ، فقال لأصحابه يحدثهم عن صاحبي هذين القبرين وذلك كما روى إبن عباس رضي الله عنه : "أنهما لَيُعذَّبان وَمَا يُعذَّبَان في كبيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُما فَكَانَ لا يستَتِرُ مِنَ البَوْلِ ، وأَمَّا الآخَرُ فَكان يَمشِي بِالنَّمِيمَةِ" (٣) .

ودعا الإسلام إلى طهارة الأعضاء المختلفة من الجسم ، واهتم بالأعضاء التي تكثر فيها الأمراض ، أو يحتمل فيها حدوث الوسخ ، ففي طهارة الفم . قال صلى الله عليه وسلم : "لَوْلا أَنْ اشُقَّ عَلَى أُمَّتي

= د/ راغب السرجاني – العلم وبناء الأمم صـ١٢٢ مؤسسة إقرأ سنة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ، وما تلاه من مصادر .

(١)البخاري : كتاب الجمعة باب الطيب للجمعة (٨٤٠) .

(٢) نفسه : باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان (٨٥٦) .

(٣) نفسه : كتاب الوضوء باب من الكبائر الا يستتر من بوله (٢١٣) .

لأَمَرْتُهُمْ بالسِّواكِ عِنْدَ كُلِّ وضُوءٍ" ، وقال ابن عباس رضي الله عنه : "لقد كنا نؤمر بالسواك حتى ظننا أن سينزل به قرآن" (١) .

كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طهارة ونظافة الأماكن التي يتوقع فيها العرق والاوساخ والميكروبات ، بل جعل ذلك من سنن الفطرة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ : الخِتَانُ، والإسْتِنجاءُ ، وتَقْلِيمُ الأَظْافِرِ ، ونَتْفُ الإبطِ ، وقَصُّ الشَّارِبِ" (٢) .

كما ذهب التشريع الإسلامي إلى منع أتباعه من كل خبيث يؤدي إلى ضرر بالصحة الجسدية والنفسية ، ويضر كذلك المجتمع .

فحرم الإسلام الخمر ، وما يتدرج في حكمها كالمخدرات . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ(٣)، وبذلك حمى المسلمين من الأضرار الصحية الخطيرة ، كما حمى البشرية من الآثار الضارة للمخمورين ، سواء نتيجة للحوادث أو الجريمة أو لغير ذلك من الآثار السيئة لغياب العقل .

كما حرم الإسلام الفواحش: كالزنا ، وكل العلاقات غير المشروعة ...

وبذلك لم يحفظ فقط صحة المسلمين ونسلهم وأخلاقهم ، بل كان ذلك مردود على المجتمع بكامله مسلمين وغير مسلمين .

---

(١) ابن أبي شيبة (١٧٩٣)

(٢) البخاري : كتاب اللبابس باب قص الشارب (٥٥٥٠) .

(٣) د/ راغب : المرجع السابق وما تلاه من مصادر صـــ١٢٣ .

البخاري كتاب الوضوء : باب لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا السكر (٢٣٩) .

ولا يخفى على أحد أن إنتشار الأمراض الجنسية في البلاد الإسلامية أقل بكثير منه في البلاد غير الإسلامية ، وما ذلك إلا لكون الإسلام يمنع هذه الموبقات ...

وما أروع ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : "لم تَظْهر الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ حَتّى يُعْلِنُو بِهَا إلاّ فَشَا فِيهِمُ الطّاعُونِ وَالأَوْجاءُ الّتِي لَمْ تَكُنْ قَضَتْ فِي أسْلافِهِمُ الّذِينِ مَضَوْا" (١) .

ولذلك نجد أن أمراض الإيدز والإيبولا ، وغيرها من الأمراض الجنسية القاتلة لم تكن معروفة قبل ذلك ، ولم تظهر إلا بظهور الفاحشة في المجتمعات (٢) .

ويهتم الأسلام أيضاً بصحة النفس ، فأمر بذكر الله جل جلاله وجعل ذلك اطمئنانا للقلب، قال الله تعالى: "**ألا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنّ القُلُوبُ**" (الرعد: ٢٨) وحض المسلمين على الرفق والرَحْمَة ، وحَسن الخلق ، ولين الجانب ، وجعل في أدب المعاملات أجراً ، وشجع المسلمين على نسيان أخطاء الغير ، وعلى العفو والمغفرة ، وعظم لهم قيمة الرضا بما قسم الله جل جلاله وجعل لهم الجنة عوضا عما أصابهم من مصائب اذا صبروا ، وهذا كله يصب في صحة نفسية جيدة ، ويسموا بالروح ، ويطمئن القلب ، ويرتقع بأخلاق المسلم وقيمه وأهدافه ، ولا شك أن معدل الأمراض النفسية من قلق ، واكتئاب ، وارق ، أعلى بكثير في

---

(١) المرجع السابق وما تلاه من مصادر صــ١٢٣ .
ابن ماجه : كتاب الفتن باب العقوبات (٤٠٠٩) .
(٢) نفس المرجع صــ١٢٤ .

بلاد الغرب منها في بلاد المسلمين ، وليس أدل على ذلك من مراجعة نسب الأنتحار هنا وهناك لتعلم قيمة الإسلام . (١)

ولم يحض الإسلام على الإهتمام بالجسد والنفس فقط بل أهتم كذلك بما يلبس من ثياب ... ففي أول ما نزل من القرآن نجد قوله تعالى "**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**" (المدثر ٤) ، وما أروع أن يكون إهتمام الإسلام من أول يوم نزل فيه للبشر بظاهرهم كما يهتم بباطنهم ، فهو يقرن التوحيد بنظافة الإنسان فيقول : "**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**" واللفظ يحتمل ظاهر المعنى وان كانت له تأويلات أخرى .

كما إن التشريع الإسلامى جعل الثوب نجسا بمجرد وصول شئ من النجاسة إليه كالبول والغائط والدم . ولا تصح الصلاة فيه إلى أن تزول منه النجاسة ، قال الإمام أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ عن الثوب الذي أصابه بول أو غائط : "يعيد الصلاة من قليله وكثيره" (٢) ، أي من قليل النجاسة أو كثيرها .

وإذا كان عطاء الإسلام فيما يخص الوقاية من الأمراض على هذا النحو من الرقي ، فإنه لا يقف عاجزاً أمام الأمراض إذا حدثت ... فلا يكفي فقط بالأمر بالتداوى ولكن يحض ــ وبشدة ــ على منع إنتشار الأمراض في المجتمع فيما يعرف بالحجر الصحي .

ثم يختار أمراض خطيرة ــ عرف الآن أنها تنتقل بالعدوى ــ ويحذر منها ، فتراه يقول ــ مثلاً ــ في أمر مرض الجُذام الخطير :

---

(١) نفس المرجع صـــ ١٢٤ .

ــ د/ راغب السرجاني مرجع مسبق وما تلاه من مصادر ١٢٥ .

(٢) مسائل الإمام أحمد صـــ٤١ .

"فِرَّ مِنَ المجْذُمِ فِرارِكِ من الأَسَدِ" (١) .

ثم هو صلى الله عليه وسلم يضع أعظم قواعد الحجر الصحي بالنسبة للأوبئة الخطيرة : كالطاعون فيقول : "إذا وَقَعَ الطّاعُونُ بِأَرْضٍ فلا تَدْخُلُوهَا، وإذا وقَعَ وأنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْها" (٢) .

هذا هو قمة ما وصل إليه الطب الحديث في الحد من إنتشار الأوبئة الخطيرة كالطاعون .. وغيره .

وهذا هو المنهج الإسلامي في الوقاية من الأمراض ، فقد ظهر فيه أن الإسلام حريص علي عموم الإنسانية ، لأن الأمراض إذا انتشرت في مجتمع فإنها لا تخص ديناً دون دين ، ولا تختار عنصراً عن الآخر ، ولكنها تؤثر علي حياة عموم الناس .

أما في أوروبا حتي القرن (التاسع الهجرى /الخامس عشر ميلادي) تؤكد المستشرقة "زيغردهونكه" كان الجنسان يستحمان معاً في البحر بالرغم من البرودة الشديدة دون أن يخجل الواحد من الآخر .

ولن ترى أكثر منهم قذارة ، إنهم لا ينظفون أنفسهم ، ولا يستحمون إلا مرة أو مرتين في السنة ، وأما ثيابهم ، فأنهم يغسلونها بعد أن يرتدوها حتي تصبح خرقاً باليه مهلهلة .

فبعد أن علَّمَ أساتذة العفّة والطهارة (وهم المسلمون) الجرمان كيف يخجلون وكيف يرون في الجسم العارى جرثومة الشر والغواية ،

---

(١) أحمد (٩٧٢٠) وابن أبي شيبة (٢٤٥٤٣) وقال الألباني صحيح السلسلة (٧٨٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أ . د / راغب السرجاني مرجع مسبق صـ١٢٦ .
سلم كتاب السلام ــ باب الطاعون والكهانه (٢٢١٨) وأحمد (٢١٨٧٦) .

واساس الجشع والرذيلة ، أصبح الإستحمام والنظافة ضرورة لدى الغرب .

أما بالنسبة للعربي فإن الحمّام اليومي صباحاً "خاصةً بعد النوم مباشرة وغالباً بالماء الدافئ " ليعتبر من الأمور العادية ، وكأنها رياضة الصباح .

ولا عجب أن ترى في مدينة بغداد في القرن "الرابع الهجرى/العاشر الميلادي" إلا الحمّامات الساخنة ، مع المولّجين بها من ممسدين (masseuns) ومزينين (حلاقين) كانوا في خدمة الرجال والنساء علي حد سواء للإعتناء بأجسامهم ، وبراحتها أسبوعياً أو يومياً.

وبفضل هذا التقليد العربي ، عادت النظافة الضائعة وعاد الإعتناء بالصحة إلي بلاد الغرب عن طريق الصليبين ، والمسافرين القادمين من أسبانيا وصقلية ، علي الرغم من ضغط السلطة الشديدة ، وتزمت الكنيسة ، (١) لأن القذارة في كل شئ كانت سمة مميزة في الحياة الأوربية ، واعتبار أن الأوساخ التي تعلق بالجسم والملبس هي من البركة ومن الأشياء التي تعطي القوة للأبدان !! (٢) .

تطور الطب عند المسلمين :

كان الطب من أهم العلوم التي أعتنى بها المسلمون بالجمع والتطوير والابتكار، لأنه من أهم العلوم الإنسانية ، بل إن كثيراً من علماء المسلمين يعدون الطب هو أشرف العلوم الإنسانية بعد العلوم الشرعية ، وذلك لحاجة الناس إليه ، ولكونه يحفظ الروح ، والعقل ،

---

(١) زيغردهونكه مرجع سبق صـــ٥٤ بتصرف .
(٢) د/راغب السرجاني مرجع سبق صـــ١٢١ .

والجسد ، ومن ثم يحفظ الإنسان لأداء مهامه الشرعية والحياتية في الدنيا .

ويعتبر خالد بن يزيد بن معاوية (١) ، أول من نقل الطب والكيمياء إلى العربية ، فقد دعا جماعة من اليونانيين من مدرسة الاسكندرية ، وطلب منهم أن ينقلوا له كثيراً من الكتب اليونانية التي تناولت صناعة الكيمياء ، كما طلب منهم أن يترجموا له كتب جالينوس في الطب ووضع بذلك أساس تعاليم الطب (٢) .

واشتهر في عهد الأمويين في الطب ثلاث أو أربعة أطباء أكثرهم شهرة" حكم الدمشقي ، وابنه عيسى ، مؤلف رسالة في فن الطب (٣) .

---

(١) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (إسلامي محدث) لما فعل هذا ــ قيل له لقد فعلت أكثر من شغلك في طلب الصنعة ، فقال : خالد : ما أطلب بذالك إلا أن أغني أصحابي وأخواني ، إني طمعت في الخلافة، فإختزلت دوني ، فلم أجد منها عوضاً إلا أن أبلغ هذه الصناعة ، فلا أحوج أحداً ، عرفني يوماً أو عرفته إلا أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة ، وله في ذلك عدة كتب ورسائل وله شعر كثير . ومن كتبه كتاب الحرارت ، وكتاب الصحيفة الكبير ، وكتاب وصية لأبنة في الصنعة .
ابن النديم : ابن الفرج محمد ابن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالنديم ت٣٨٠هـ الفهرست صـ٥٤٤ .
ضبطه د/يوسف علي طويل وضع فهرسه أحمد شمس الدين .
دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان .
د/يوسف علي طويل وضع فهارسه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان .

(٢) د/حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ح١ صـ٤١٦،٤١٧،ح٢ صـ٣٤٥، مكتبة النهضة المصرية ط (٧) ١٩ سنة ١٩٦٤م.

(٣) النديم المصدر السابق صـ ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٦ .
ريسلر مرجع سبق صـ١٩٣.

وفي عهد الخلافة العباسية تزايدت حركة الترجمة ، وخاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد ـــ رحمه الله ـــ ثم إبنه المأمون ، وانفتح أطباء المسلمين إنفتاحاً غير مسبوق على كل العلوم الطبية من مختلف الحضارات ، فترجمت المؤلفات اليونانية ، والفارسية ، والهندية ، والرومانية ، والسريانية في الطب .

ولا نبالغ إذا ذكرنا أن الذي عرَّف الأوربيون بتاريخ أجدادهم اليونان هم المسلمون ، لأن كتب الاطباء اليونانيون والرومانيون كانت مهملة في الأديرة ، والكنائس وبعض القصور والمكتبات، فبعد تعرف العرب عليها ،وترجمتها أخذت تلمع أسماء لأطباء يونانيين لم تكن معروفة من قبل ذلك مثل : أبقراط ، وجالينوس ، وغيرهما ... (١)

فقد نبغ في عهد خلفاء صدر الدولة العباسية من الأطباء "إبن بختشيوع، وإبن ماسويه ، وحنين بن إسحاق" .

وحقق هؤلاء وغيرهم صناعة الطب ومرنوا عليها ، واعتمدوا في علاج مرضاهم على ما كسبوه من تجارب ، وما عرفوه من كتب اليونان في تشخيص الأمراض . (٢)

بينما كان الغرب يعتمد في العلاج على أيد توضع ، وشيطان يطرد ، وصلاة تقام ... ، تلك كانت الوسائل المفضلة في العلاج التي حاول بها أطباء أوربا عن طريق مسوح الكهنوت والرهبان لإنقاذ

(١) د/راغب السرجاني مرجع سبق صـــ ١١٠ .
(٢) د/حسن إبراهيم حسن مرجع سبق ح٣ صـــ ٣٥٤ .

الإنسانية المريضة وتخليصها من براثن الداء والألم [١] .

في حين أن العباسيون كانوا ينشرون العلوم الطبية ، ويشجعوا الأطباء، وأسسوا المدارس الطبية ، والمستشفيات ، ودعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي كان يجتمع الأطباء فيها من كافة البلاد في موسم الحج ، حيث يعرض الاطباء نتائج أبحاثهم ، وأصبحت بغداد في الشرق، وقرطبة في الغرب من أهم مراكز الثقافة الطبية الإسلامية [٢] .

وكان الأطباء يرافقون رؤسائهم في زيارة المرضى ، ويتابعون معهم العلاج ووصف الدواء ، وكلما أستعصت حالة كان الرئيس يستدعي زميل له شهير ، ويتباحثان في الحالات المختلفة في حضور الطلبة ، وهكذا تخرجت طبقة من الأطباء الذين لم يشهد لهم في العالم مثيلاً إلا في عصرنا الحديث[٣].

وعندما وصل إلى علم الخليفة المقتدر أن طبيباً بغدادياً إرتكب خطأً فنياً في معالجة مريض ، أودى بحياته إلى الموت ، أمر بالتحقيق مع كل الأطباء ما عدا الذين يعملون لدى الحكومة ، والتأكد من حيازتهم على تصريح للعمل ، وكلف سنان بن ثابت بن قرة الحراني المتوفي سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م ، أن يمتحن كل طبيب على حده فإذا ما تأكد من قدرته أعطاه تصريح للعمل به .

---

(١) زيغردهونكه ، مرجع سبق صـ ٢١٨ .

(٢) حسن إبراهيم ، مرجع سبق ج٢ صـ ٣٥٥ .

(٣) زيغرد هونكه مرجع سابق صـ ٢٣١ ، ٢٣٢ .

هذا وقد بلغ عدد الأطباء الذين إمتحنتهم الدولة ٨٦٠ طبيباً (١) ، وعندما يجتاز الطبيب الإمتحان بتفوق يمنحهم ترخيصاً ، وشهادة بمزاولة المهنة وهذا نصها :

"بسم الله الرحمن الرحيم"

بإذن الباري العظيم : يسمح له بممارسة فن الجراحة ويعلمه حق العلم ويتقنه .... ليبقى ناجحاً وموفقاً في عمله ، بناءاً على ذلك فإن بإمكانه معالجة الجروحات حتى تشفى ... وعليه أن يستشير دوماً رؤساءة، ويأخذ بنصائحهم، وخبرتهم (٢) .

ويقول "ريسلر":- "وهكذا نجد أن إزدهار علم الطب كان مقترناً بتسخير نتائج الد_اسة فيه لخدمة الشعب ، في الوقت الذي كانت تنعدم فيه معلومات الأ ربيين في الطب بسبب الجهل ، والتزمت الذي فرضته الكنيسة الغربية ، حتى أنه بات من المعتقدات الراسخة أن المرض هو نوع من العقاب الإلهي الذي يطهر النفوس، وأن في طلب العلاج إجتراء على رد القضاء (٣).

وحتى الأوبئة المميتة التي كانت تعبث فساداً في أوربا خلال القرن الرابع عشر كالطاعون (٤)، فإنها لم تخيف العرب وينظرون إلى مثل

---

(١) القفطي : مصدر سبق صــ ١٣٠ .
(٢) القفطي : مصدر سبق صــ ٣٣٠ .
(٣) ريسلر : مرجع سبق صــ ٢٠٧ .
(٤) مرض وبائي ينتشر بواسطة الطيور المهاجرة ، والفئران ، والبراغيث ، والبعوض ، وهو معد وقاتل ، ومن علاماته أن صاحبه يصاب بالحمى ، وطلوع غده أشبه بالخُراج ، ثم يبصق المريض دماً ويصرخ حتى يموت ، وقد تسبب هذا المرض في وفاة أكثر من نصف سكان العالم .
أما في مصر فقد شمل الفناء الوجه البحري كله وانتشر في الصعيد ، وكان عدد الموتى في القاهرة يزيد على الألف في اليوم ، وأبطلت الافراح والأعراس ، واختلطت الأموات لكثرتها في الطرقات .

هذه العوارض نظرة علمية بالبحث والتدقيق ، كان الغرب يقف مكتوف الأيدي[١]، وفسروه على أنه غضب إلهي وليس من علم يكافحه، وكان في سنه ١٣٤٨م أشد هولا ففي الأندلس نشر رجل الدولة المؤرخ والطبيب "أبن الخطيب" (١٣١٣-١٣٧٤م) وزير سلطان غرناطه ، بحثا من أجل هذا الوباء، استند فيه إلى نظرية التلوث ، ويستخدم هذا البحث بطريقة علمية أساسها نظرية الوقاية من العدوى : التي وردت في تعاليم الإسلام وبعد ثمانين عاما إكتشفت أوربا أمر هذه العدوى ، فدأب الناس على التهيب من لمس المرضى ، وحملوا التعاويذ ، ولجأوا إلى البخور ، والعطور ، اعتقادا بأنها تعمل على مكافحة الداء [٢].

ولما كان الطب كواحد من العلوم التى عنى بها المسلمون، وأضافوا لها خبراتهم الواسعة ، ومن حرصهم على الإفادة من تجارب السابقين ومؤلفاتهم العلمية إلا أنهم لم يعتمدوا عليها ، بل عملو على تصحيح أخطائها، كما قاموا بوضع مؤلفات خاصة بهم، معتمدين على تجاربهم ، وعلى أساس من المشاهدة ، والتشريح العلمى . ويعتبر ابن سينا (٣٧١-٤٢٨هـ/٩٧٩-١٠٣٩م) الذى ولد في أخشنة قرب بخارى، وتوفي بهمدان (بفارس) حساب طبيب ومن كبار فلاسفة العرب، تعمق في درس فلسفة أرسطو، وتأثر أيضا بالأفلوطونية الجديدة قائلا بوجود العقل الكلى ، دافع عن خلود النفس ، ووحدة الخالق [٣] فهو

ويروي المقريزي أن دولة المماليك إضطرت إلى حذف سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م من حساب الخراج للفلاحين حتى قيل أنه مات كل شئ حتى السنة نفسها ، فاعتبرت سنة الخراج السنة التي تليها ٧٥٠هـ .
المقريزى / على بن احمد ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م السلوك بمعرفة دول الملوك - حوادث سنة ٧٥٠هـ .
تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ز دار الكتب سنة ١٩٧٠م .

(١) زيغردهونكه مرجع سابق صـ ٢٧٥ .
(٢) نفس المرجع صـ ٢٧٦ ، ٢٧٧.
(٣) نفس المرجع صـ ١٠٨ .



ابن سينا

لقد استطاع « ابن سينا » ان يحجب شهرة جالينوس والاغريق قروناً طويلة من الزمن .

من أشهر أطباء العرب ، وعرف بالشيخ الريئس ، كما لقب بالمعلم الأول ، الذي جمع العلوم البحتة ، حقا إنه معجزة فقد أعطى القابا كبيرة ومن أهم ما لقب به " أمير الأطباء" أجمعين ، وعمل مدير المستشفى بغداد ، وصنف أكثر من مائتى مصنف فى الفروع المختلفة من العلوم(١) .

وقد كشف بقوة الاستدلال وباستخدام مؤلفات "جالينوس" أن الدم لا يستطيع أن يمض عبر حاجز القلب... وأكد وجود الدورة الدموية الصغيرة(٢).

ومن أبرز مؤلفات إبن سينا "كتاب القانون" الذي يعتبر عمدة المعارف الطبية التي علمها لمريديه (٣)"والإشارات والتنبيهات" "والشفاء" وكتاب النجاه، ولايزال قسم كبير من مؤلفاته مخطوطا في خزائن الكتب، وظلت كتبه الطبية عماد الدراسة في كليات الطب في أوربه قرونا طويله (٤)، ولم يكتفى الأوربيرن بالأطلاع على مؤلفات إبن سينا في ترجماتها اللاتينية ، بل رغبوا في دراسة كتاب " القانون" في أصله العربى. وعلى سبيل المثال قام "بيتر كريستين" (١٥٧٥-١٦٤٠م) وهو استاذ في جامعة مدينة (أبالا بالسويد) بطبع قسم من كتاب القانون ، وكتاب النحو العربى لتسهيل دراسة مادة الكتاب ، كما أكد علماء الغرب على ضرورة تعلم اللغة العربية لدراسة الطب وترجمـــة كتب

---

(١) سمير عرابى مرجع سابق صـــ ٥٤ .
(٢) ريسلر مرجع سابق صـــ ٢٠٦ .
(٣) سماح سامى مختصر القانون فى الطب (ابن سينا) صـــ١٩ . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(٤) زغردهونكه مرجع سابق صـــ ١٠٤.

المسلمين[١].

وعلى الأخص كتب "الرازى" وابن سينا ، والزهراوى ، فالرازى[٢] يعتبر من أشهر أطباء المسلمين فقد درس الطب في بغداد ، وكان كبير أطباء (البيمارستان) (المستشفى) وكتابه الأكثر ذيوعا هو " مقالة في الجدرى والحصبة " فاعتمد عليها الأوربيون زمنا طويلا ، ويمكن أن تحكم على تأثيره بالأربعين طبعة التى طبعت ما بين عام ١٤٩٨م وعام ١٨٦٦م، وتعالج طبقاب أخرى من مقالته " الحصى في الكلى والمثانه" ومرض النقرص والروماتيزم – وقد ترك الرازى مائه وثلاثة عشر كتاب وثمانى وعشرون رسالة منها عشرون رسالة في الكيمياء[٣].

ومن أشهر كتب الرازى كتاب "الحاوى" وكتاب "المنصورى" وتناول فيها موضوعات التشريح ، وقد ترجم كتاب "الحاوى" في القرن (١٣م) واستمر تداوله فى الجامعات الأوربية حتى القرن (١٩م) [٤] .

---

(١) شاخت وبوزرت – تراث الاسلام – القسم الثالث – صـــ ١٤٦ .
ترجمة د/ حسين مؤنس وحسين صدقى .
مراجعة فؤاد زكريا – المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب – الكويت .

(٢) الرازى أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (٢٥٠-٣١٣هــ/٨٦٤/٩٥٢م) من أهل (الرى) بفارس طبيب وعالم واهتم بالموسيقى والغناء ، ونبغ فى الطب والكمياء ، وتولى رئاسة (مارستان) (مستشفى) بغداد، كان أول من فرق بين الحصبة والجدرى ، واكتشف ، الفتيلة فى الجراحة، الف أكثر من مائتى كتاب، أهمها كتاب (الحاوى) وهو موسوعة فى الطب استند فيها كثيرا على التجريب والأسرار النديم – مصدر سابق صــــ ٤٦٩،٥٥٠
زيغردهونكه مرجع سابق صـــ ٢٠٣ .

(٣) ريسلر مرجع سابق صـــ ٢٤٣ .

(٤) زغردهونكه مرجع سابق صـــ ٢٤٣.

واعترافا بفضل الرازى ، فقد أطلقت جامعة (برنستون) الأمريكية إسمه على أفخم أجنحتها ، كما أن جامعة باريس تحتفظ بصورتين في قاعاتها الكبرى إحداهما للرازى والأخرى لابن سينا [١] .

أما أبو القاسم الزهراوى – أشهر أطباء الأندلس "٩٣٦/١٠١٢م" وسمى بالزهراوى نسبة إلى الزهراء من ضواحى قرطبة ، كما لقب بالقرطبى ، وكان له دور واضح في تقدم علم الجراحة ، وله مؤلفات في الطب النظرى والعملى، واشهر مؤلفاته كتاب " التصريف عمن عجز عن التأليف" [٢] .

كما طبق أبو القاسم الزهراوى عمليا الرباط الصناعي لمنع سيل مجارى الدم، وعلاج استخراج ماء العين قبل "إمبرواربارية" [٣] بستة قرون، وكان على معرفة بمرض " تضرن العمود الفقرى" وله الفضل في تلخيص جميع المعارف الجراحية في عصره [٤] .

وكان للزهراوى السبق في جراحات التجميل التي تعتبر من العمليات الحديثة ، ودرس الزهراوى علاج تشوهات الفم والفك ، وعلم تلاميذه كيفية تخييط الجروح بشكل داخلى وكيفية التخييط بابرتين بخيط واحد ، واستعمل الخيطان من أمعاء القطط فى جراحة الامعاء ، وأمد

---

(١) نفس المرجع صـ ٢٤٤ ، ٣٢٧ .
(٢) سمير عرابى – مرجع سابق صـ ٤٦ .
(٣) جراح فرنسى (١٥١٠ – ١٥٩٠) ولد بالقرب من (لافال) ومات فى باريس، اشتهر بكشف ربط الشرايين الذى أصله محل الكى
ريلسر – مرجع سابق هامش صـ ٢٠٧ .
(٤) نفس المرجع صـ ٢٠٨ .

الجراحين وأطباء العيون والاسنان الاوربيون بالآلات اللازمة لعملياتها وكان يوصى الجراحين الا يتسرعوا فى قرارهم لإجراء العملية [(١)]

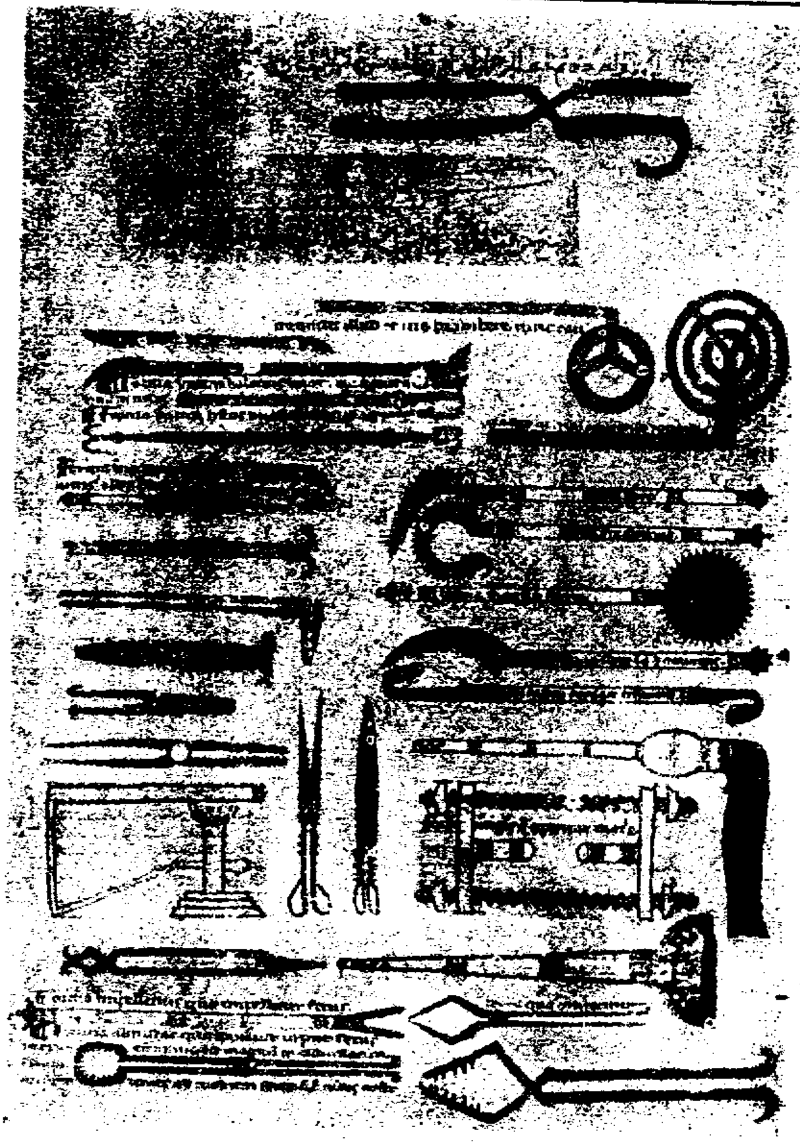
ويعتبر كتاب الزهراوى (التصريف عمن عجز عن التأليف والذى قام بترجمته إلى اللاتينية العالم الايطالى "جيراردو"[(٢)] تحت اسم (Altasrif) موسوعة طبية متكاملة لمؤسس علم الجراحة بأوربا – وهذا باعترافهم (تتألف هذه الموسوعة من ثلاثين مجلداً) مقسمة إلى ثلاثة أقسام الأول : فى "الطب" والثانى فى "الكمياء" والثالث فى "الجراحة والادوات الجراحية) .

ولقد حل مبحث الجراحة محل كتابات القدماء ، وظل مبحثه هذا العمدة فى فن الجراحة ، ويشتمل على صور توضيحية للعديد من آلات الجراحة (أكثر من مائة آلة جراحية !!) كانت بالغة الأهمية بالنسبة للذين أصلحوا فن الجراحة فى أوربا يقول عالم وظائف الأعضاء الكبير "هالر" إن جميع الجراحين الأوربيين الذين ظهروا بعد القرن الرابع عشر قد نهلوا واستقوا من هذا المبحث .

---

(١) د/ سمير عرابى مرجع سابق صـــ ٤٧ .

(٢) جيرادو داكريمونا (١١١٤ – ١١٨٧م) مستشرق ايطالى من كريمونا فى ايطاليا، أقام زمنا طويلا فى طليطلة (بالاندلس) وترجم عن العربية إلى اللاتينية أكثر من سبعين كتابا من كتب الهيئة ، والهندسة والطب ، والطبيعة، والكمياء ، والفلسفة .
د/ راغب السرجانى مرجع سابق صـــ ١٠٢ .



ادوات جراحية عربية

كان ابو القاسم الزهراوي من ألمع جراحي العرب وأعظمهم فضلاً وقد نقل للأطباء الغربيين صور الادوات الجراحية العربية .

(زيعرد هونكه مرجع سبق ص ٢٧٨)

والزهراوى هو الواضع الأول لعلم (المناظيرالجراحية) وذلك باختراعه واستخدامه المحاقن والمبازل الجراحية ، وقام بتفتيت حصوة المثانة بما يشبه المنظار فى الوقت الحاضر ، كمـــا أنه أول مخترع ومستخدم لمنظار المهبل(١) .

ويعد الزهراوى أحد الثلاثة الذين يوضعون على القمة بين الأطباء العرب التى كانت مؤلفاتهم فى الطب تدرس فى الجامعات الأوربية حتى القرن السابع عشر ، وبعضها حتى القرن التاسع عشر .

ولم يكد " كوتنبرج" ١٤٤٥م مخترع آلة الطباعة أول ما طبع بها الترجمة اللاتينية لكتبهم ، وأعيد طبعها عدة مرات وبعدة لغات (٢) .

واننا نجد أن احتلال مؤلفاتهم طوال هذه المده التاريخية من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر مما يؤكد تقدم المسلمين على أوربا فى علم الطب .

طب الرمد (العيـــون) :

وعلم الرمد وأمراض العيون علم مستحدث اسلامى ، اشتهر فيه عدد كبير من الأطباء المهرة .

ويعتبر على بن عيسى الكحال أشهر أطباء العيون العرب وهو – نصرانى– (ولا يدل اسمه على ديانته) عاش فى القرن الخامس

---

(١) نفس المرجع صـــ ١٠٢ ، ١٠٣ .
(٢) سماح سامى مرجع سابق صـــ ٣٤ .

الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، إمتاز فى صناعة الكحل ونسب إليه كتابه "تذكرة الكحالين" وترجم الى العبرية واللاتينية ، وطبع فى البندقية خلال الأعوام ١٤٩٧ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠م على التوالى بعنوان "رسالة الكحل" ليسوع بن على" (١)

وقد تفـوق المسلمون فى طب العيـون على اليونـان ، وساعدهم فى ذلك اكتشافاتهم فى علم البصريات ، وأول كتاب فى هذا الموضوع كتاب "اسحاق بن حنين" العشر مقالات عن العيـن (٢) وبقى مع مؤلفات على بن عيسى عمار من "الموصـل" بالعـراق المرجع الأول لطب العيـون فى أوربا حتى القرن الثامن عشر (٣)

وتضيف المستشرقـة " زيغـرد هونكه " قولها : "وقد قدمت لنا فى أيامنا هذه مصـر بلد امراض العيـون ، أدوية مستخرجة من نباتات مصريـة للاستعمال ضد أوجـاع الرأس ، وغشاوة العدسة (٤)

وهذا يدل على أن مصر متقدمة فى علم الطب وأمراض العيون حتى يومنا هذا .

والحق أن المعارف الرحبة لعلماء الطبيعة ، والبصريات قد سعدت بقـوة أطباء الرمد ، وأطباء العيـون العـرب ، وكانت أنواع عـلاج العيـن لاحصـر لها ، وأول من مارس استخراج ماء العين (الكتراكتا) هو خليفة بن حسن الحلبى سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩ م واخترع

---

(١) ريسلر مرجع سابق صـ ١٩٨ .
(٢) القنطى مصدر سابق صـ ١١٧ .
(٣) زيغردهونكة مرجع سابق صـ ٢٧٩ .
(٤) نفس المرجع صـ ٢٧٩ .

الابرة المقعرة [١]

وكذلك ابن النفيس :"علاء الدين أبو الحسن على بن أبى الحزم " القرشى ، الدمشقى – الملقب بابن النفيس (٦٠٧ هـــ- ٦٨٦هـــ/ ١٢١٠ – ١٢٨٨م) .

درس الطب فى دمشق على أيدى مشاهير الطب ، وعزف عن الزواج لكى يتفرغ للعلم ، وقد وقف داره الجميلة ، ومكتبته الفريدة على المستشفى المنصورى بمصر [٢]

وكان من الأطباء الفريدين من نوعهم عبر العصور ، ولقبه المؤرخون بأبى الطب الاسلامى ، حيث لم يكن فى الطب على وجه الأرض فى زمانه مثله .

وقد جمع إبن النفيس إلى جانب الطب – علوم اللغة ، والفلسفة ، والمنطق ، كما صحح كثيرا من الأخطاء التى وردت فى كتاب ابن سينا، وكتاب (شرح تشريح القانون) وفيه لأول مرة وصف الدورة الدموية ، وتبيان بأن الدم ينقى الرئتين ، وهو أول كشف سبق الأوربيين بثلاث قرون[٣]

وقال إبن النفيس فى تعريف العين أنها آلة للبصر ، وليست باصرة ، وتتم منفعة هذه الآلة بروح مدركة يأتى من الدماغ ، وهذا صحيح ، إذ على العين أن تنقل الأشياء والصور من خلال العصب

---

(١) ريسلر مرجع سابق صــ ١٩٨ .

(٢) مستشفى المنصورى – هى مستشفى السلطان قلاون – بحى الجمالية – بالحسين – وهى مستشفى خاص بأمراض العيون حتى يومنا هذا . انظر فى نماذج المستشفيات .

(٣) د / سمير عرابى مرجع سابق صــ ٨٧ ، ٨٨ .

النووى إلى الدماغ ، فيتم تفسير ما رآته العين ... .

وذكر أيضاً أن العين تتكون من ثلاث طبقات أوسطها شفافة – أن للعيون ست عضلات – أما القرنية تتكون من أربع طبقات ، ولا يوجد بها أى عـروق دموية ، حتى تكون شفافـة ملائمة للرؤيـة ، هذا مع العلم أن المجهر لم يكتشف بعد . وعالج التهاب العيون مثل الرمد ، وكان الغذاء أهم العلاجات بدلاً من الدواء. (١)

وتقول : المستشرقة "زيغردهونكة" أن علماء الغرب فى الطب ، عكفوا سنة ١٦١٦م بعد ٦٣ سنة من اكتشاف الاسبانى ميخائيل سارفينوس ، فكرة وجود دورة دموية سماها " الدورة الدموية الصغرى" أو " الدورة الدموية الرئوية " بالاضافة الى تصحيحات عالمان ايطاليان لأخطـاء "جالينوس" (الذى يقال أنه كان معاصر للسيد المسيح عليه السلام)(٢) وهما: "كولومبو"و"سازالبينو" واستمرت ابحاثهما حتى سنة ١٩٢٤م .

وفى هذا العام قدم طالب عربى أطروحة باللغة الألمانية إلى كلية الطب فى جامعة "فرايبورغ" أحدثت دهشاً وعجباً شديدين ، جرت حولها بحوث ومقارنات عديدة ، فكانت النتيجة أن صادق الجميع على ماورد فى الاطروحة من نتائج علمية ، وكان هناك عدد من العلماء الألمان استمعوا لما قاله الشاب العربى ، فأخرجوا المخطوطات القديمة ،

---

(١) نفس المرجع صـ ٩٢ ، ٩٣ .
(٢) ابن خلدون / عبد الرحمن بن محخمد بن محمد بن الحسن ت (٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) دار القلم ببيروت – لنبان – ط(٥) سنة ١٩٣هـ/١٩٨٤م .

وبحثوا فيها حتى وصلوا إلى النتيجة الحتمية التى تؤكد أن الدكتور الطهطاوى المبعوث من مصر على حق بما جاء فيه ، فإن أول من نفذ ببصره إلى أخطاء " جالينوس" ونقدها ، ثم جاء بنظرية الدورة الدموية لم يكن "سارفيتوس " الاسبانى ، ولا "هارفى" الانكليزى . بل كان رجلا عربياً فى القرن (السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) هو ابن النفيس الذى وصل إلى هذا الاكتشاف فى تاريخ الانسانية وتاريخ الطب . (١)

البيمارستانات (المستشفيات) :

البيمارستان (بفتح الراء) كلمة فارسية مركبة من كلمتين هما "بيمار" بمعنى "مرض أو مصاب " و "ستان" بمعنى "دار" أى أنها دار المرضى ، واختصر اللفظ الى "مارستان" (٢) .

واسم (المستشفى hospital) مشتق من كلمة huesped أى مضيف، لتكون ملاجئ للمسنين ، والمرضى ، والاطفال اليتامى (٣)

وقيل أن أول بيمارستان أنشئ فى " جنديسابور" بفارس قبل الاسلام بثلاثة قرون ؛ حيث أقامه طائفه من النسطوريين الهاربيين من اضطهاد الرومان لهم (٤) .

أما بعد الاسلام ، فأنشأ الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك سنة

---

(١) زيغردهونكة مرجع سابق صـــ ٢٦٢ .

(٢) محمد كامل حسين " بالاشتراك" الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب صـــ ٢٢٨ . اشراف المنظمة العربية للتربية ، والثقافة ، والعلوم ، القاهرة – طبع على نفقة الحكومة الليبية .

(٣) س – الفاريز و ف – جبرون قيام وسقوط إمبراطورية صـــ ٢٨٢
ابن خلدون – البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر مكتبة الاسكندرية طبع القاهرة .

(٤) د / محمد كامل حسين المرجع السابق صـــ ٢٢٨

٨٨ هـ - ٧٠٦ م بيمارستان ، وجعل فيه الأطباء ، وأمر بمنع المجذ وبين من سؤال الناس ، وخصص لهم الأعطيات ، وجعل لكل مقعد خادما، وكل ضرير قائد يسهر على راحته ، كما أمر بعزل المصابين بالبرص وأعطاهم جرايات (١)(رواتب شهرية) .

وبعد أن بلغ الطب درجة عالية فى عهد العباسيين ، انتشرت البيمارستانات فى مختلف البلاد ، وكان أشهرها ما أقيم فى الرى ، وبغداد ، والقاهرة ، وتونس ، لايزال آثارها إلى يومنا هذا (٢)

نظم البيمارستانات :

كان للبيمارستانات نظام دقيق ، حيث تبنى فى موقع متميز جيد التهوية، ملائم للصحة (٣) وكانت مقسمة الى أقسام مختلفة ، حسب أنواع الأمراض ، ويقوم عليها جهاز من الادارة ذوى الخبرة تبعا لمسئوليات أعمالهم ، ويقوم بأعمال الخدمة أفراد متخصصون ، وبه قاعات لتحضير الدواء (مصنع) وصيدلية ، ومطابخ مجهزة ، ونظام متكامل للإشراف على التمويل ، والتموين ، ونظام للتعليم الطبى ، مما جعل البيمارستان معهد للتعليم إلى جانب كونها دار العلاج .

---

(١) نفس المرجع صـ ٢٢٨

(٢) نفس المرجع صـ ٢٢٨ .

(٣) جاء فى ذلك أن السلطان عضد الدولة (٣٣٨ - ٣٧٢هـ / ٩٤٩ / ٩٨١م) استشار الرازى فى الموضع الذى يبنى فيه المستشفى (البيمارستان) فأشار عليه الرازى بأن يعلق فى كل ناحية من نواحى بغداد شقة من اللحم ، ثم اعتبر أن الناحية التى لم يتغير فيها اللحم ، ولم تظهر له رائحة بسرعة هو الذى يبنى فيه اليمارستان .
ابن ابى إصبعة - موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة .
عيون الانباء فى طبقات الأطباء صـ ٤١٥ . تحقيق نزار رضا .
الحياة - بيروت - لبنان ١٩٦٥م .

وكان البيمارستان بوجه عام ينقسم إلى قسمين ، قسم للرجال وقسم للنساء ، وكل قسم به قاعات لمختلف الأمراض ، فقاعة للأمراض الباطنة ، وقاعة للجراحة ، وقاعة للكحالة (أمراض العيون) وقاعة للتجبير، وقسم للحميات يتبع الباطنة ، وقسم للأمراض العقلية ، (المصابين بالجنون) إلى غير ذلك .

ولكل قسم من هذه الاقسام ممرضين ، وممرضات وخدم يشرفون على المرضى ، وتقديم العلاج لهم ، وتجنب العدوى وكان المريض إذا دخل المستشفى يعطى ملابس جديدة بدلا من ملابسه لتجنب العدوى ، ثم يدخل فى العنبر الخاص به ، وينام كل مريض على سرير خاص به ، وعليه ملاءات جديدة ، وأدوات خاصة .

والحقت البيمارستانات فى كثير من الأحيان بالمساجد والقباب ، والمدارس ، ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم أى أنها (مؤسسة متكاملة) .

وكان مخصص لها وقف مستقل عن ميزانية الدولة للانفاق عليها ومديرها يسمى (ساغور البيمارستانات) أى منقذ المرضى ، وكان لكل فرع من فروع الطب رئيس يشرف على أفراد طائفته ويأذن لهم فى التطبيب ، واذا دعا الحال كان الأطباء يدعون من قسم آخر للإستشارة الطبية [١] .

وعرف الأطباء أيضاً نظام الاجتماعات العلمية لدراسة الحالات المرضية ، فكان الطبيب الكبير يجلس مع معاونيه والطلبة ، فى القاعة المخصصة ، ويحضر الكتب من المكتبة ويجرى معهم المباحثات الطبية

---

(١) المقريزى : مصدر سابق ح٢ صـ ٤٠٦ .

ويقرئ الطلاب [١] ويجيب على أسئلتهم ، بل إنه يعقد لهم امتحانا فى نهاية كل برنامج تعليمى معين ينتهون من دراسته ، ومن ثم يعطيهم أجازة فى الفرع الذى تخصصوا فيه .

وكانت المستشفيات تضم مكتبات تهم جميع فروع الطب والصيدلة الى جانب علوم الفقه المتعلقة بالطب.

وعلى سبيل المثال لتعرف ضخامة المكتبات – أن مكتبة مستشفى ابن طولون بالقاهرة كانت تضم بين جنباتها أكثر من مائة ألف كتاب!![٢] .

وهذا النظام معمول به فى المستشفيات الجامعية الحديثة ، فى عصرنا الحاضر .

وكانت تزرع – إلى جوار البيمارستان – المزارع التى تنمو فيها الأعشاب الطبية ، والنباتات الطبية ، وذلك لإمداد المستشفى بما يحتاجه من الأدوية [٣] .

قارن كل ذلك بالمستشفى الذى انشئ فى باريس بعد هذه المستشفيات بقرون كان المرضى يجبرون على الإقامة فى عنبر واحد ، بل وينام كل ثلاثة أو أربعة على سرير واحد ، فنجد مريض الجدرى إلى جوار حالات الكسور ، إلى جوار السيدة التى تلد !! كما كان الأطباء والممرضون لا يستطيعون الدخول إلا بوضع كمامات على

---

(١) د / راغب السرجانى مرجع سابق صـ ١٠٧ .
(٢) نفس المرجع صـ ١٠٧
(٣) نفس المرجع صـ ١٠٧
زيغردهونكة مرجع سابق صـ ٢٢٦ .

أفواههم من شدة الرائحة فى داخل العنابر ! بل كان الموتى لا ينقلون خارج العنابر إلا بعد مرور أربعة وعشرين ساعة على الأقل من الوفاة!! ولك أن تتخيل خطورة هذا الأمر على المرضى!! [١] .

نماذج من البيمارستانات :

أجمع المؤرخون والرحالة ، مثل ابن حبير ، وابن بطوطة على أن البيمارستانات الكبرى كانت على أكبر جانب من النظام والعناية بالمرضى[٢].

وكانت هذه الصورة مشابهة لما عمل به فى بيمارستانات مصر والشام، والعراق ، والمغرب ، العربى وغيرها من البلاد الإسلامية ، ومنها:

١ – مستشفى النورى فى دمشق :

بناها نور الدين زنكى (٥٤١ – ٥٧٠هـ / ١١٤٦ – ١١٧٤م) وأقسامه مخصصة لكل فرع من فروع الطب [٣] .

وكان أبى الحكم رئيس أطباء المستشفى يقوم بزيارة المرضى كل صباح كل يوم ويصحبه فى ذلك مساعديه من الأطباء والممرضين . وكل ما يصفه من دواء يصرف فى الحال .

وبعد ذلك يذهب إلى نبلاء القوم ، وموظفى الدولة الكبار ليعاينهم، ثم يعود إلى المستشفى ، ويجلس فى قاعة الدرس ، ويلقى محاضراته .

---

(١) د/ راغب السرجانى المرجع السابق صـــ ١٠٨ .
(٢) محمد كامل حسين مرجع سابق صـــ ٢٣٠ ، ٢٣١ .
(٣) زيغردهونكة مرجع سابق صـــ ٢٣٧

وكان بالمستشفى مكتبة كبيرة ، مرتبة على رفوف عالية فى القاعة الكبيرة [١] .

٢ – **مستشفى المنصورى :**

هذه المستشفى تلقب "بجوهرة المستشفيات" [٢] وسبب بنائها أن قائد جيوش المماليك فى مصر " المنصور قلاوون – كان فى الشام ، وأصيب بنوبات فى الكبد ، فدخل مستشفى النورى بدمشق وأعجب بها . فأقسم أن يبنى مثلها إذا وفقه الله وتولى الحكم ، فلما إرتقى عرش السلطنة فى مصر (٦٧٨ – ٦٨٩هـ / ١٢٧٩ – ١٢٩٠م) نفذ وعده وبنى مستشفى المنصورى بالقاهرة على أحدث طراز ، فكانت اعظم المستشفيات التى تضارع المستشفيات الحديثة فى القرن الحادى والعشرين .

ويقول المقريزى : فى وصف هذه المستشفى "أنها قسمت إلى قسمين : قسم للرجال ، وقسم للنساء ، وكل قسم له فناء ، ويحتوى على قاعات وغرف منها الخاص بالأمراض الباطنة ، والحميات ، وما هو للرمد (العيون) وما هو للجراحة ، وما هو خاص بالاسهال ، والمبردين من الرجال، والنساء ، وما هو للكسور والتجبير.

وتتمتع هذه المستشفى بالموقع المتميز الذى يتوفر فيه الشروط الصحية، وجعل فيها أسباب الراحة ، والرفاهية ، فزودت بحمامات الماء الساخن والبارد ، وما لاعد له من الممرضات والفراشين ، من الرجال والنساء للسهر على خدمة المرضى ، كما كانت مفتوحة لكل فئات الشعب يتلقون العلاج بالمجان على اختلاف طوائفهم ،

(١) نفس المرجع صـ ٢٣٧ . ليسلر مرجع سابق صـ ١٩٧
(٢) زيغردهونكة مرجع سابق صـ ٢٢٣ ، ٢٣٤ .

ومعتقداتهم(١) .

والأكثر من ذلك أن المريض بعد تمام شفائه يأخذ معه كسوه الصيف والشتاء ، ومساعدة مادية تعينه طوال فترة النقاهة .

وكان بها مخازن ، ومصنع للأدوية ، وصيدلية ، ومطابخ لاعداد الطعام ، ومكتبة حافلة بالمراجع ، وكل ما يعين الطـلاب على الدراسة، ونسخ الدرس ، وبها قاعة يحضرها الأستاذ لالقاء الدرس على الطلاب(٢) .

فهذه المستشفى تعد من كليات الطب الحديثة التى تتيح للطلاب ممارسة الطب السريرى (الاكلينيكى) فى المستشفيات الجامعية الحديثة .

وجاء فى نص وثيقة وقف السلطان قلاوون الخاص بالصرف على "البيمارستان" توضيح أهمية تدريس الطب بتعيين شيخ مدرسا من الحكماء المشهود لهم بمعرفة الطب عالما بأسباب الأمراض وعلاجها .

كما جاء فى تقليد الحكم مهذب الدين " هذه الوظيفة فى البيمارستان المنصورى فى رمضان ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م الشروط والواجبات المنوط بها. منها :

١ – بذل الجهد المخلص فى شفاء المرضى من اسقامهم وآلامهم.

٢ – الإشراف على طلبة الطب وتقريبهم من المهنة .

٣ – إعطاء الطلبة كل ما يعرف من علم ومعرفة من أجل تخريج مجموعة من المختصين فى الجراحة ، والعظام ، والعيون ، والأمراض

---

(١) المقريزى مصدر سابق ح٥ صـ ٤٠٦ .

(٢) نفس المصدر صـ ٤٠٦ .

الباطنة وغيرها [١] .

ومما يذكر أن العناية بالمرضى المؤرقون (أصحاب الأمراض النفسية والعصبية) أنهم كانوا يعزلون فى قاعة خاصة يستمعون لالحان الموسيقى ، أو يتسلون باستماع القصص ، وكانت قاعات المرضى تدفأ باحراق البخور ، أو تبرد بالمراوح الكبيرة ، كما تغطى أرض القاعات بأوراق الشجر ذات الرائحة العطرية. [٢] .

وبعد فترة من الازدهار اضمحلت أحوال هذه البيمارستان . وأهمل حتى لم يعد يعالج الا المجانين ، وفى عام ١٨٥٦م زاد فى الاضمحلال فنقل منه المجانين ، ثم اعيد استخدامه حديثاً فى معالجة سائر الأمراض ثم بعد ذلك خصص لعلاج أمراض العيون ، ولايزال يستخدم حتى اليوم [٣] .

تحت اسم مستشفى قلاوون لأمراض العيون بحى الجمالية – بالحسين – القاهرة – شارع النحاسين .

وتشير المستشرقة " زيغردهونكة " إلى أن المستشفيات الكبيرة فى الشرق، كانت بمثابة مدارس عالية للطب والطلاب يتعلمون فيها كل ما قاله أبقراط ، وجالينوس ، وما جاء به اساتذتهم العرب الكبار ، وكانوا يستمعون الى كل هذا فى ساحات الجوامع وفى مدارس خاصة طبية

---

(١) محمد حمزه اسماعيل الحداد السلطان المنصور قلاوون صـــ ٥٦ ، ٥٧ .
مكتبة مدبولى القاهرة – ١٤١٨ هـــ / ١٩٩٨
(٢) محمد كامل حسين – مرجع سابق صـــ ٢٣٢
(٣) نفس المرجع صـــ ٢٣٢ .

كان يديرها أطباء معروفون .

هذا بينما كان طلاب العلم فى بلاد الغرب يسهرون الليالى درسا وحفظا على ضوء الشموع فى قاعات الأديرة ، وكانت التجربة العلمية عند المسلمين تسير مع العلم جنبا الى جنب ، على أسرة المرضى ، بالمعاينة ، أو الكشف ، بعكس ما كان يجرى فى بلاد الغرب ، حيث كانت النظريات الجافة تملأ عقولهم، وتحول دونهم بالمخلوقات ذات الدماء الحارة (١) .

البيمارستانات المتنقلة :

عرف هذا النوع من(البيمارستانات المتنقلة) "المستشفيات" لدى الخلفاء، والسلاطين ، وهو عبارة عن مستشفى محمول متنقل تبعا للظروف سواء مع الجنود ، أو انتشار وباء فى البلاد ، أو المتابعة الدورية ، كل فترة فى المدن والقرى البعيدة " وهذا النظام معمول به حالياً بما يسمى القافلة الطبية . ومن تجهيزاته : الأدوية ، والغذاء ، والملابس ، التى تعطى للمرضى ، وتتولى الأطباء علاج الناس ومساعدتهم بما يحتاجون .

ومن هذه المستشفيات الذى أمر به الخليفة المقتدر بناءا على كتاب الطبيب " سنان بن ثابت بن قرة " ليقترح إقامة البيمارستان فى السواد (الريف) فيقول فى كتابه ما نصه : " فتقدم مد الله فى عمرك ، بإبقاء متطببين ، وخزانة من الأدوية ، والأشربة ، يطوفون السواد ، ويقيمون

---

(١) زيغردهونكة مرجع سابق صـــ ٢٣٤ .

في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة الى مقامهم ، ويعالجون من فيه ثم ينتقلون إلى غيره .... "(١) .

كما كان هذا النظام متبعا في دولة المماليك بمصر ، عندما يخرج السلطان ، والأمراء الى القصور خارج القاهرة يأخذ معه كل ما يحتاج إليه بما في ذلك مارستان بجميع التخصصات من الأطباء والجراحين ومزود بالأدوية والأشربة ، والمستلزمات المحمولة ، بما يكون بيمارستانا متنقلا في ركاب السلطان ، ويتولى علاج كل ما يحتاج بالمجان (٢) .

طبيبات وممرضات مسلمات :

خلقت المرأة لتكون أم ، إبنة ، وزوجة ، وأخت ، ونجد أنها شاركت الرجل ونجحت ، بل تفوقت في العلم والحرب والطب والتطبيب ، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ سورة العلق

وهناك أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في طلب العلم ومنها :

قال صلى الله عليه وسلم " **من سلك طريقا يلتمس فيها علما سهل الله له طريقا في الجنة**" رواه مسلم

(١) القفطي مصدر سابق صـــ ١٣٢.
(٢) المقريزي مصدر سابق ح١ صـــ ٢٠٠ .

وقال صلى الله عليه وسلم " **طلب العلم فريضة على كل مسلم**" رواه ابن ماجه .

فنجد أن المرأة العربية نجحت فى فن التمريض ، والطب منذ صدر الاسلام .

ومن أولى النساء رفيدة الأسلمية ، التى اتخذت خيمة فى مسجد الرسول صلى اله عليه وسلم لتعالج فيها جرحى غزوة الخندق [١] .

وكانت أم عطية الانصارية تعالج الجرحى وقالت : " غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكنت أصنع لهم طعاماً وأخلفهم فى رحالهم، وأداوى الجرحى ، وأقوم على المرضى" [٢] .

وفى أواخر الدولة الأموية كانت زينب طبيبة بنى آود من الطبيبات الماهرات فى صناعة الكحل ، عالمة بصناعة الطب والمداواة ولها خبرة بأمراض وجراحة العيون [٣] .

طبيبات بنى زهر الأندلسيات:

مر بنا أن أسرة بنى زهر كلها رجال ونساء ذات مجد عريق فى الطب، كما كان بنوها متبحرون فى كافة العلوم، كالفقه والأدب واللغة والحديث، وغيرها وخصوصاً العلوم الطبية ، سواء كانوا نساء أو رجال[٤].

---

(١) محمد كامل حسين مرجع سابق صـــ ٢٣٤ .
(٢) نفس المرجع صـــ ٢٣٤ .
(٣) د/ سمير عرابى مرجع سابق صـــ ١٠١ .
(٤) نفس المرجع صـــ ١٠١.

ومن طبيباتها النساء الشهيرات أخت أبى بكر بن زهر الطبيب الشهير الملقب "بالحفيد" وكذلك ابنة شقيقته تلك ، وابنته التى يدعوها "بالحفيدة " بنت الحفيد ، وابنتها ، وجميعهم كن ماهرات فى الطب ، والمداواة ولهم خبرة ممتازة فى أمراض النساء

وكانت أخت ابى بكر وابنتها تدخلان لنساء المنصور أبى يوسف يعقوب ، وكان المنصور لا يرضى قبالة أهله إلا لأخت الحفيد وابنتها .

وأيضاً أم الحسن بنت القاضى أحمد بن عبدالله الطنجالى" من أهل بوشة بالأندلس تجود القرآن ، وتشارك فى فنون الطب ، وتنظيم الشعر[١].

---

(١) نفس المرجع صــ ١٠٢

الرياضيـــات :

كان للمسلمين دور كبير فى النهضة بعلم الرياضيات بمختلف فروعها سواء فى الحساب والهندسة ، والجبر ، وحساب المثلثات ، والميكانيكا .

ومن أكبر مآثر التمدن الاسلامى فى الرياضيات نقلهم الحساب الهندى، والارقام الهندية ، من الهند إلى سائر أقطار العالم ، فالمسلمون يسمونها أرقام هندية لأنهم نقلوها عن الهنود ، والأفرنج يسمونها عربية لأنهم أخذوها من العرب . [١]

ففى مجال الحساب خطا المسلمون خطوات واسعة ، فأضافوا إلى معلومات اليونانيين كثيرا من النظريات التى لم يعرفها الأوربيون من قبل ، فقد علموا الأوربيون نظام الأعداد الهندى التى تمثل بخطوة واسعة فى تقدم علم الحساب ، حيث أنقذ المسلمون الأوربيون من متاعب نظام الأعداد الرومانى وتعقيداته [٢]

فكان الرومان يرمزون إلى الأرقام بالحروف الأبجدية حتى رقم الألف. وتكتب هكذا :

الواحد I ، خمسة V ، عشرة X ، وخمسون L ، مائة C ، خمسمائة D ، ألف M .

ولم تكن هذه الطريقة حلا للمشكلة فى كتابة الأعداد ، فالفرق كبير بين كتابة الأرقام ، ونطقها ، فكل عدد حتى الأعداد الصغيرة يتكون من أرقام عديدة . ومن الصعب نطقه .

---

(١) الشيرازى مصدر سابق صـــ ٢٢٣ .

(٢) د/ مصطفى عبد المجيد (مدرس بقسم التاريخ كلية اللغة العربية) بحث فى الحضارة سنة ١٩٧٥ م صـــ ٤٥ .

فمثلا : إذا كانوا سيكتبون رقم ٤٨٧ فانهم يكتبونه هكذا :

" ccc L xxx v ii " [١]

وبصورة أوضح فإنهم كتبوا الواحد مرتين و ٥ = ٧

وكتبوا عشرة ثلاث مرات و ٥٠ = ٨٠

وكتبوا مائة أربع مرات = ٤٠٠

وكلها بالحروف الأبجدية فتكون ٤٨٧

ورغم تعقيد هذا النظام ، فإن قيمة العدد محددة لا تتغير بتغير وضعه، وللإنسان أن يتصور مدى التعقيد والمعاناة إذا كان العدد أكبر من ذلك ، ثم مدى الصعوبة إلى حد الإستجابة عند إجراء عمليات حسابية معقدة .

ولم ينجح فى العالم كله سوى الهنود فى الوصول إلى تقييم الأرقام تبعاً لمراكزها فى الخانات ، على أن الطريقة الهندية لم تكن كاملة فهى، وإن استطاعت أن تكتب عـددا مثل ٣٩٥٢ بحيث الثلاثة = ثلاث آلاف، والتسعة = تسعمائة ، والخمسة = خمسون ، والاثنان واضحة فى الآحاد ، فإنها لم تستطيع أن تكتب بوضوح عددا مثل ٤٠٨ ، وذلك لأن الهنود لم يعرفوا الصفر ، فكانوا يكتبون الأربعة ، والثمانية ، ويضعون خلالهما علامة مميزة بينهما وبين العدد ٤٨ .

وكان لا بد للهنود أن يفكروا ليجدوا لتلك الأشكال حلا يكتمل فيه نظامهم الذى إبتدعوه إلى البشرية [٢]

وقد وصلت الطريقة الهندية إلى العرب عن طريق المباحث

---

(١) زيغرد هونكه مرجع سابق صـــ ٧٠.

(٢) نفس المرجع صـــ ٧١،٧٢ .

الفلكية الهـندية التى أمر الخليفة " أبو جعفر المنصور" العباسى بترجمتها .

وكان الخوارزمى/ محمد بن موسى – وأصله من خوارزم ؛ وهو أحد كبار الرياضيين الذى استخدم أعداد الهند ى التقويمات الفلكية ونشر الخوارزمى فى سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م رسالة تعرف فى اللاتينية باسم : "Algaritmi denumeore indorum" أى الخوازمى عن أرقام الهنود" .

ومن أجل هذا استخدمت كلمة الخوارزمية لتعنى كل طريقة مؤسسة على العلامة العشرية .[١]

وفى سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦ م كان الخوازمى يقترض فى كتابه " مفاتيح العلوم " إستخدام دائرة صغيرة لكى " تحافظ على مرتبة الأعداد " إذ لم يظهر أى عدد فى خانة العشرات ، وهذه الدائرة التى نشأ منها الصفر "zero" هى ترجمة الكلمة العربية "الصفر" [٢]

وقد أحدث الأوربيون ثورة هائلة فى علم الحساب بفضل طريقة الإحصاء العشرى ، وعلاقة الكسر العشرى ، وفى القرن السادس عشر الميلادى استخدم الفظ "الصفر" للدلالة على الكتابة الغامضة "الشفرة" (chiefro) فى حين استخدام لفظ زيرو "zero" بمعنى الصفر [٣]

كما كان للعرب الفضل فى تقدم علم الجبر الذى مايزال محتفظ باسمه العربى فى كافة اللغات الأوربية ، وسيظل أعظم رياضى فى ميدان الجبر "محمد بن موسى الخوارزمى" صاحب أعداد الهند ، وهو

---

(١) ليسلر – مرجع سابق صـ ١٧٤ .

(٢) مرجع سابق صـ ١٧٤ .

(٣) د / مصطفى عبد المجيد مرجع سابق صـ ٤٦ .

الذى أعطى فى كتابه "حساب الجبر والمفاضلة " حلولا تحليلية ، وهندسية لمعادلات من الدرجة الثانية ، وهذا الكتاب . ترجمه "جيرار الكريمونى " فى القرن الثانى عشر ، انتفع به فى الجامعات الأوربية حتى القرن السادس عشر (١)

ومن جهود المسلمين فى علم الرياضيات أنهم استخدموا الجبر فى حل مسائل الهندسة التحليلية كما مهدو لنشأة علم التفاضل والتكامل(٢) ويذكر البيرونى (٣) عالم الرياضيات الذى أنشأ حساب المثلثات الحديث، الذى قد أحل محل التحليلات المربعة الزوايا لبطليموس وأدخل خطوط التماس ، وأسس النسب الحسابية فى الشكل الذى نستخدمها فيه اليوم (٤)

كما يذكر البيرونى أن الحروف الأبجدية ، وكذلك الأرقام . اختلفت لدى الهنود أنفسهم من إقليم لإقليم ، واستطاع خلال رحلاته المتعدده فى الهند أن يتعرف على علومهم ولغاتهم وأن يشرح لنا كيف اتخذ العرب الأرقام الهندية دون أن يأخذوا عنهم شكلا (٥)

كما أوجد العرب أيضا الحساب العشرى بعد الفاصلة ، فالفلكى

---

(١) ليسلر - مرجع سابق صـ ١٧٥ .

(٢) د / مصطفى عبد المجيد مرجع سابق صـ ١٧٥.

(٣) البيرونى (٩٧٣؟ - ١٠٤٨) هو محمد بن احمد البيرونى أبو الريحان ، ولد بضاحية خوارزم ، مؤلف عربى من أصل فارسى ، درس الرياضيات ، والطب، والفلك ، والتقاويم ، والتاريخ ، والعلوم اليونانية ، والهندية ، من مؤلفاته كتاب الصيدلة فى الطب ، كتاب الجواهر ، تاريخ الهند ، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ... الخ ... .

(٤) ليسلر مرجع سبق صـ ١٧٥ .

(٥) زيغردهوزكة مرجع سابق صـ ٨٤ .

المشهور الكاشى [١] أتحف علم الحساب برائعة من روائعه وأسدى إليه خدمة، حين حول لأول مرة فى التاريخ الكسور ، إلى العلامة العشرية، فمثلا الكسر ٢ إلى ٢,٠٨ ، الذى جعل فن الحساب فى متناول الجميع، إذ لولا هذا التحويل لما وجد علم اللوجاريتم (logarithm) [٢]

وممن اشتهر فى الرياضيات "ثابت بن قزه الحرانى" (٢٢١ – ٢٨٨هـ) (٨٣٥ – ٩٠٠م) كان فى بادىء أمره صيرفيا ، واعتمد عليه الخليفه المعتضد فى التنجيم ، ومن أشهر مؤلفاته فى الرياضيات – كتاب الأهلة ، وكتاب استخراج المسائل الهندسية ، وكتاب الأعداد ، ومن تلاميذه إبنه سنان بن ثابت المتوفى سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م . وهو من كبار الرياضيين والمهندسين ، على ان شهرته فى الطب فاقت شهرته فى العلوم الأخرى ، ومن كتبه فى الطب ، كتاب وجع المفاصل، والنقرس ، ورسالة فى الحصى والمثانة .

ومن تلاميذه أيضا فى الهندسة إبراهيم بن سنان ، وأبو محمد الحسن وغيرهم الكثير [٣]

ومما شجع العرب على الإهتمام بالهندسة أنها على حد قول ابن خلدون "تفيد صاحبها إضاءة فى عقله" واستقامه فى فكره ، ولأن براهينها كلها بينة الإنتظام ، جليلة الترتيب ، لايكاد يدخل الغلط أقيستها

---

(١) الكاشى: هو جمشير الإيرانى " أول من تولى ادارة مرصد سمر قند واشتغل فى وضع جداوله الفلكية توفى علم ١٤٣٦م ومن مؤلفاته مفتاح الحساب "سلم السماء فى حجم النجوم " زيغردهونكه نفس المرجع صـ ٢٠٥ .

(٢) نفس المرجع صـ ١٦٠ .

(٣) ابن النديم . مصدر سابق صـ ٤٣٦ ، ٤٣٧ .

لترتيبها وانتظامها .[١]

فقد كان أبرز علماء الرياضة : أبو يعقوب بن اسحاق الكندى من قبيلة كنده ، من أصل عربى ، ولقب بفليسوف العرب ، ودرس الكندى الثقافة الفارسيـــة ، واليونانية فى البصرة ، وبغداد .

توفى سنة ٢٦٠هـــ / ٨٧٣م – وتنحصر مؤلفاته فيما يلى :

٢٢ كتابا فى الفلسفة ، و١٩ فى النجوم ، و١٦ فى الفلك ، و١٧ فى الجدل ، و١١ فى الحساب ، و٢٣ فى الهندسة ، و٢٢ فى الطب ، و١٢ فى الطبيعيات ، و٨ فى الكريات ، و٧ فى الموسيقى ، و٥ فى تقدمة المعرفة ، و٩ فى المنطق ، و١٠فى الاحكاميات، و١٤فى الاحداثيات، و٨فى الابعاديات.

وله رسائل فى إلهيات أرسطو ، وفى معرفة قوى الأدوية المركبة، وفى المد والجزر ، وفى علة اللون الأزودى الذى يرى فى الجو ، وفى بعض الآلات الفلكية ، ومقالات فى تحاويل السنين ، وعلم المعادن ، وأنواع الجواهر ، والأشباه ، وأنواع الـديد ، والسيوف وجيدها .

وكان للكندى تلاميذ وكتاب ، ووارقين لكثرة مؤلاته [٢]

أما علم الميكانيكا "علم الحيل" فكانت معلومـ ت المسلمين فيه واسعة ويعتبر كتاب "الحيل" لأبناء موسى بن شاكر [٣] ن الاسس التى

(١) ابن خلدون . مصدر سابق صـــ ٤٨٦ .
(٢) ابن النديم – مصدر سابق صـــ ٤١٤ ، ٤٢١.
(٣) موسى بن شاكر وأولاده الثلاثة : محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر... وهؤلاء ممن تناهو فى طلب العلوم القديمة ، وأنقذوا إلى بلد الروم من أخرجها اليهم، وأنفقوا أموالا فى نقلها وترجمتها ، وكان الغالب عليهم من العلوم ، الهندسية والحيل (ميكانيك) والحركلت والموسيقى ، والنجوم ،=

تركها المسلمون ، وتطور على أساسها علم الميكانيكا (١)

ومن مبتكرات المسلمين فى الميكانيكا اختراعهم رقاص الساعة (البندول) (٢) والساعات الشمسية الدقاقة ، التى كانت تعلن ساعة الغذاء بصوت رنان ، والساعة المائية التى كانت تقذف فى قدح معدنى كرة كل ساعة وتدور فى محور تظهر فيه النجوم ، ورسومات من عالم الحيوان ، وغيرها (٣) .

وتقول المستشرقة " زيغردهونكه " :

" إننا نقف الآن دهشين متعجبين أمام تطور فن الصواريخ العظيم دون أن نسأل أنفسنا إلى من ندين بهذا الإختراع ؟

.. والحق يقال أن العلماء العرب وضعوا ، نظرية تركيب البارود المندفع فى القرن الثانى عشر ميلادى / السابع هجرى – ففى كتاب الحرب " لحسن الرماح" وغيره من الكتب التى تعالج شئون الحرب ، كان الحديث حول المواد المتفجرة ، والأسلحة النارية وحول " بيض متحرك حارق " وهى أولى الرعَّادات (طوربيدات) المزودة بمحركات صاروخية .

كما أن عرب الأندلس فى أسبانية هم أول من استعمل القذائف النارية فى أوربة ، لأهداف عسكرية . فاصبحوا بذلك أساتذة الأوربيين

=وتوفى محمد بن موسى سنة تسع وخمسين ومئتين ، وكان لبنى موسى من الكتب ، كتاب بنى موسى فى الفرسطون ، كتاب الحيل لأحمد بن موسى ، كتاب الشكل المدور ، كتاب المستطيل للحسن بن موسى ، كتاب حركة الفلك الأولى مقالة لمحمد ، كتاب المخروطات لمحمد ، كتاب الشكل الهندسى الذى بين جالينوس أمره لمحمد ... الخ.. ابن النديم المصدر السابق صـــ ٤٣٤ .

(١) زيغرد هونكه مرجع سابق صـــ ١٧٨ .

(٢) نفس المرجع صـــ ١٤١ ، ١٤٢ .

(٣) انظر طريقة عمل ساعة المدرسة المستنصرية . انظر ص ١٤١ .

فى هذا الحقل ، وبهذا بلغوا فى التعليم حدا أثار العجب ... وبهذا السلاح الجديد ابتدأ عصر جديد بالنسبة إلى الحروب ، واننا لنقف فاغرى الأفواه تعجبا لسرعة تقدمه الهائل منذ الحرب العالمية الثانية. (١)

والحقيقة التى لا مرية فيها أن العلماء العرب قبل غيرهم من العلماء بمئات السنين ، وعلى وجه التحديد . بسبعمائة سنة ، قد وقفوا إلى القيام بسلسلة من التحقيقات الكبيرة الهامة فى العلوم والرياضيات ، عالجوا فيها قضايا أساسية ومن هؤلاء العلماء الرواد ، الطبيب والفيلسوف المشهور الشيخ الرئيس "ابن سينا" (٣٧٠ - ٤٢٩ هـ / ٩٨٠ - ١٠٣٧ م) ومنهم أيضا الغزالى حامى السنة والاسلام (٤٤٥ - ٥٠٥هـ / ١٠٥٣ - ١١١١م) الذى عرفته أوربا باسم (algazel) .

وكذلك الفارابى (٢٥٧ - ٣٣٩هـ / ٨٧٠ - ٩٥٠م) الملقب بالمعلم الثانى بعد أرسطو ، وكان اهتمامه بالموسيقى ، ومبادىء النغم والإيقاع قد قربه من علم اللوغاريتم (logrithmus) الذى يكمن فى كتابه "عناصر فن الموسيقى" (٢) .

وقد استطاع علماء المسلمين التوصل إلى فك رموز الرياضيات ، مهتدين بما جاء فى القرآن الكريم من أرقام كبيرة وكسور الأرقام الإعتيادية، والكسور العشرية .

وبذلك تمكنوا من تصحيح ما توصل إليه علماء الهنود والرومان ، وغيرهم .

---

(١) زيغرد هونكه نفس المرجع صـــ ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١.
(٢) نفس المرجع السابق صـــ ١٦٢ - ١٦٣ .

ومما جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى فى الأعداد الكبيرة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ الصافات: ١٤٧

وقوله تعالى فى الأرقام والكسور الاعتيادية "

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ النساء: ١٢

كما جاء قوله تعالى فى الكسور العشرية " .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ سبأ: ٤٥ :

ويشهد بذلك المستشرق "جوان فرينيه" فيقول : " واذا نحن تحرينا الدقة نجد أن أصول التطور العلمى للرياضيات عند المسلمين تبدأ مع القرآن من الاحكام المعقدة فى تقسيم الميراث ، وبعد الخوارزمى أول رياضى مسلم ، ونحن مدينون له بمحاولة وضع تنظيم منهجي باللغة العربية لكل المعارف العلمية والتقويم ، كما ندين له باللفظ الأسبانى " غوارزمى" الذى يعنى الترقيم (أى الأعداد ومنازلها والصفر) ، وكان الجبر هو الميدان الثانى الذى عمل فيه الخوارزمى وهو فرع من الرياضيات لم يكن حتى ذلك الوقت موضوعا لأية دراسة منهجية جادة" (١)

---

(١) شاخت وبوزورت مرجع سابق القسم الثالث صـ ١٦٨ .

التنجيم - والنجوم أو (الفلك)

النجوم عند القدماء علمان :

١ - علم طبيعي ينظر في النجوم من حيث مواضعها وحركاتها ، واحكامها كما يبرهن على أن مركز الأرض مباين لمركز الشمس ، بوجود حركة الإقبال والإدبار، ويبرهن على تعدد الأفلاك للكوكب الواحد والنظر الى الخسوف والكسوف .(١)

٢ - وعلم ينظر فيها باعتبار علاقتها بحوادث العالم من حيث الحرب والسلم ، والولادة ، والوفاة ، والسعد ، والنحس ، والمطر ونحو ذلك .

وتسهيلا للمعرفة يسمى الأول علم النجوم أو الفلك ، والثاني علم التنجيم .

وكان العرب يعرفون هذين العلمين ، فلما تمدنوا ، ونقلوا العلم أضافوا ما أخذوه من الفرس واليونان ، والهند ، والكلدان الى ما كان عندهم فتولد من ذلك كلمة التنجيم والنجوم عند المسلمين (٢)

١ - التنجيم :

كان الخلفاء والحكام يعتمدون في سياستهم على التنجيم وأول من عني بالتنجيم في النهضة العباسية الخليفة أبو جعفر المنصور حيث اعتمد في تأسيس مدينة "بغداد" على النجوم ، حتى أنه لم يبدأ في وضع حجر الأساس إلا بعد أن أشار عليه ، الفضل بن سهل بن نوبخت المنجم " بأن هذه المدينة سيطول عمرها وتكثر عمارتها " (٣)

---

(١) ابن خلدون مصدر سابق صـ ٤٠٧ .

(٢) الشبرازي - مصدر سابق صـ ٢٢١ .

(٣) ياقوت معجم البلدان ح ٤ صـ ٤٥٨ .

وكان الفضل من أولاد ملوك فارس المجوس ، أسلم أبوه أيام الخليفة هارون الرشيد ، ولما رأى الفضل نجابة المأمون نظر فى طالعه، فعرف أنه سيصير خليفة ، فتقرب إليه ، وأخلص له إلى أن أفضت إليه الخلافة . فاتخذه المأمون وزيرا له . (١)

وفى مصر عندما أراد جوهر الصقيلى بناء القاهرة ، اعتمد فى تسميتها على رأى المنجمين ، اذ وضع أساسها حين كان المريخ فى الطالع ، وهو يسمى عند المنجمين (القاهر) (٢)

وضرب ابو الريحان البيرونى المتوفى سنة ٤٤٠هـ /١٠٤٨م بسهم وافر فى علم النجوم ، فقد جاء فى المقالة الثالثة والعشرين من كتاب جهبشار مقالة (٣) تأليف النظامى العروضى السمرقندى ، ذلك إن السلطان محمود الغزنوى ، استدعى البيرونى وهو فى حديقة قصره الصيفى ، وغرس فيها ألف شجرة ليمتحن البيرونى فى علم النجوم ، وسأله : من اى الأبواب الأربعة سأخرج ؟ فأجاب البيرونى : إجمع رأيك واكتبه على قطعة من الورق وضعها تحت وسادتى ، ثم طلب ابو الريحان اسطرلابا (٤) واختبر النجوم ، ثم دون قراره فى قطعة من الورق وضعها تحت الوسادة . ثم قال له السلطان محمود : هل اهتديت إلى قرار؟ قال البيرونى : نعم ! وأمر السلطان أن يثقب أحد الحيطان

---

(١) ابن الطفطقى – محمد بن على بن طباطبا الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٧٩ مطبعة محمد على صبيح – القاهرة.

(٢) المقريزى مصدر سابق ح ١ صـ ٣٦٦ .

(٣) pp.٩٢-٩٥ ترجمة ص ٦٤ – ٦٥ the ghahar magala عن د/حسن ابراهيم حسن ح ٣ صـ ٣٩٦ .

(٤) الاسطرلاب : هو آله يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب زيغردهونكه مرجع سابق صـ ١٩٥ .

ويتخذ منه باب خامس خرج منه ، ثم أمر باحضار الورقة ، ولما أحضرت ، قرأ ما فيها وهو أنه لن يخرج من أحد هذه الأبواب الأربعة، إلا إنه سيفتح فتحة فى الحائط الشرقى وسيخرج منها، ولما قرأ السلطان هذه الورقة غضب وأمر بأن يلقى أبو الريحان من فوق سطح القصر، لكنه لم يصب بأذى ، لأنه سقط على شبكة اقيمت لطرد الذباب فتمزقت، ووصل إلى الأرض دون أن يمسه ضرر .

ثم قال له السلطان : هل تنبأت لهذا الحادث أيضاً؟ فابرزمن جيبه كراسة "مذكرة" كتب فيها : سيلقى بى فى هذا اليوم من قصر السلطان ، لكنى سأصل إلى الأرض سالما وأنهض معافى الجسم ، لكن ذلك لم يكن على هوى السلطان ، فاعتقله ، وبقى لمدة ستة أشهر لم يجرؤ أحد التحدث فى أمره ، ثم أطلق بفضل تدخل الوزير احمد بن حسن الميمندى [١] الذى انتهز فرصة، وقال للسلطان إن هذا الرجل مسكين ، على الرغم من صدق نبوئته، قد قيد وسجن بدلا من أن يخلع عليه أو يجزل له بالعطاء ، فأجابه السلطان : أعلم أنه ليس له نظير سوى ابن سينا ، ولكن كل تنبؤاته لم تتفق مع رغباتى- والملوك كالأطفال الصغار، يجب على المرء أن يتكلم ورغباتهم ليفوز بمنحهم وعطاياهم ، وكان من الخير أن يخطىء فى إحدى هاتين النبوءتين ، وفى الغد أمر بإحضاره ، وأعطاه جوادا محلى بالذهب ، وخلعة سلطانية ، وعمامه ، ووهبه الف دينار وعبدا وأمه [٢] .

وممن نبغ فى علم النجوم – أبو معشر – جعفر بن محمد البلخى – وكان فى بدء حياته من أصحاب الحديث ، ثم اشتغل بعلم النجوم ،

---

(١) نسبة إلى "ميمند" قرية بفارس قريبة من غزنة . ياقوت – معجم البلدان .
(٢) حسن ابراهيم حسن مرجع سابق ج٣ صـ ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

ونبغ فيه بعد أن بلغ السابعة والأربعين من عمره ، وعمر طويلا حتى جاوز الماءة ، ومات بواسط سنة ٢٧٢ هـ [١]

وتبحر أبو معشر فى دراسة الحوادث السماوية ، وقام بأرصاد مفيدة دونها فى "زيج" [٢] أبى معشر ، ومع إقتصار أوربة فى علمها بأبى معشر على رسائله الكثيرة فى التنجيم ، لاننكر مقامه الممتاز بين الفلكيين الرُصَّد الذين يحق للشرق أن يفخر بهم [٣]

ولإبن أبى معشر العديد من الكتب نذكر منها : كتاب اثبات علم النجوم، وكتاب المدخل الكبير ، وكتاب المدخل الصغير ، وكتاب هيئة الفلك واختلاف طلوعه ، وكتاب الأمطار والرياح ، وغيرها [٤]

ولقد واكب التنجيم علم الفلك ، فبعض الفلكيين المسلمين الذين كان منهم عدد كبير من كبار الفلكيين مثل البيرونى ، لم يتردد فى تصنيف مؤلفات من استطلاع النجوم ، والتراسل مع منجمين متخصصين مثل على بن أبى الرجال (ت بعد ٤٣٣هـ / ١٠٤٠م) .

---

(١) النديم مصدر سابق صـ ٤٤١ .

(٢) الزيج – هو عند العرب – صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ، وما أدى إليه برهان الهيئة فى وضعه من سرعة وبطء، واستقامة ، ورجوع ، وغير ذلك ، ويعرف به مواضع الكواكب فى أفلاكها لأى وقت فرض من قبل حسبان حركتها ، على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ، ولهذه الصناعة قوانين ، كالمقدمات والأصول، لها معرفة الشهور ، والأيام والتواريخ الماضية ، وأصول مقررة فى معرفة الميول والحركات يضعونها فى جداول مرتبة ، وتسمى الزيجة . زيغردهونكه مرجع سابق صـ ١٩٢ .

(٣) ل – سيديو تاريخ العرب العام صـ ٣٣٧ نقله إلى العربية / عادل زعير – مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٩٦٩م .

(٤) النديم مصدر سابق صـ ٤٤١ .

وكانت معظم الكتب والرسائل التى تصنف فى الفلك تخصص بعض صفحاتها للجانب العلمى من التنجيم (أى التنجيم الفلكى) وهو يتناول وسائل تحديد مواقع الكواكب .. ، . ومعرفة الطالع وغيرها من الظواهر التى تحدث عند ميلاد الشخص ، أو كانوا يحاولون تحديد لحظة البدء فى عمل معين ، أو لوضع أساسى مدينة ، كما هو الحال بالنسبة لبغداد ، التى لا يزال الرسم الخاص يكشف طالع تأسيسها باقيا ، وفى أحيان أخرى كان الأمر يحتاج للتثبيت من مواقع النجوم فى لحظة الاعتدال الربيعى [١] من أجل نقطة لمواصلة بدء تنبوءات سنوية حول المستقبل ، وإيجاد تفسير تنجمى متحيز للتاريخ .

ومن أجل هذا اقتضى الحال إتقانا للعلوم الرياضية ، وأدى إلى ابتكار فرع جديد من الرياضيات هو حساب المثلثات [٢] .

علم النجوم (الفلك) :

كان للمسلمين حظ وافر فى علم النجوم، وفضل كبير عليه، فقد جمعوا فيه بين مذاهب اليونان، والهند والفرس، والكلدان، والعرب الجاهلية [٣]

والواقع أنه لا الرومان ، ولا الهنود هم الذين ساهموا فى تطوير هذا العلم ، ولكن العرب هم الذين فعلوا ذلك وحدهم .

ويحكى أنه كان يجلس فلكيان عربيان ذات يوم فى باحة المسجد وأمامهما كتاب "المجسطى" ومرت بهما جماعة من علماء الدين فتوقفت

---

(١) الاعتدال الربيعى : هو اليوم الحادى والعشرين من مارس من كل عام حيث يتساوى فيه الليل والنهار ، وهناك اعتدال خريفى مماثل يقع فى الثالث والعشرين من سبتمبر/ شاخت وبوزورث مرجع سابق هامش صـ١٨٩ .

(٢) نفس المرجع صـ ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣) الشيرازى مصدر سابق صـ ٢١٧ .

تستفتهم عن هذا الكتاب ، فأجاب أحدهما، إننا نقرأ شرح الآية التالية :
﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ الغاشية: ١٧ - ١٨ .

وهكذا فإن لعلم الفلك لدى المسلم معنى دينياً عميقاً ، فالنجوم ومدارها، والشمس وعظمتها ، والقمر وسيره ، لبرهان ساطع على عظمة الله ، وقوته، الخالق الذى جاء باسمه النبى العربى محمد(ﷺ) مبشرا بأنه خالق السموات والأرض ، وجاعل الظلمات والنور ، العليم بما فى الصدور ... "(١)

وكان عامل الزمن مهم فى تحديد أوقات الصلاة والصوم ، إذ أن كل مؤذن كان بحكم مهنته " عالما فلكيا صغيرا " له معرفة بعلم تحديد الأوقات ، فهو مضطر أن يفهم كيف يدير آلته ليتمكن من تحديد موعد الآذان خمس مرات فى اليوم . وحساب دقيق لظهور القمر أول شهر رمضان وحساب شروق الشمس وغروبها، لتحديد موعد الصيام ، وموعد الإفطار ، وتعيين اتجاه مكة المكرمة حيث القبلة التى يولى المؤمن وجهه اليها لآداء الصلاة .

لذلك كان اهتمام المسلمين بمظاهر السماء أكثر ضرورة ولم يمض وقت طويل حتى أصبح علم الفلك موضع اهتمام الخلفاء والملوك.(٢)

ولما قدم إلى بلاط الخليفة المنصور العباسى سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٣م فلكى من الهند (إسمه كانكا) وكان عالما فى طرق الحسابات الهندية المعروفة باسم "سند هند" (sind hind) والتى تهتم بحركات

---

(١) زيغرد هونكه مرجع سابق صـ ١٣٠ .
(٢) نفس المرجع ص ١٣١ .

الكواكب فأمر الخليفة بترجمة كتابه إلى العربية، وأن يؤلف على نهجة كتاب يشرح للعرب سير الكواكب ، وعهد بهذا العمل إلى محمد بن ابراهيم الفزارى ، الذى ألف كتابا على نهجه يعرف " بالسند هند الكبير " وكلمة " سند هند " تعنى باللغة الهندية " الخلود " وأخـذ العلمـاء بهذا الكتـاب حتى عصر الخليفة المأمون (٨١٣ - ٨٣٣م) ولاقى هذا الكتاب نجاحا كبيرا ، وقاد إلى ابحاث كثيرة فى الفلك ، حظيت برعاية الخلفاء [١] .

والفزارى أول من عمل فى الإسلام اسطرلابا مبطحا ومسطحا ، وله من الكتب كتاب القصيدة فى علم النجوم ، وكتاب العمل الاسطرلاب ذات الحلق ، وكتـاب العمل بالاسطرلاب المسطح وغيرها .. [٢]

ثم انشأ الخليفة المأمون دار للرصد فى بغداد لدراسة حركات الأجرام السماوية ، فحقق الفلكيون المسلمون مسائل كثيرة مكنتهم معرفة محيط الكرة الأرضية ونصف قطرها [٣]

كما كان مرصد أبناء " موسى بن شاكر" قائما على قنطرة بغداد المؤدية إلى باب الطاق ، وهم " محمد وأحمد وحسن " وكانت أرصادهم صحيحة يعتمد عليها ، وحققوا للمرة الأولى إختلافات أعظم عرض للقمر ، ووضع أكبر الإخوة الثلاثة (محمد موسى بن شاكر) تقاويم لمنازل السيارات، إنتفع القوم بعناصر أزياجه فى الحسابات الى ما بعد وفاته بزمن طويل [٤].

وظاهرة مدرسة بغداد فى بدء أمرها هى الروح العلمية التى كانت

---

(١) نفس المرجع ص ٧٣ .

(٢) النديم مصدر سابق ص ٤٣٧ .

(٣) النديم مصدر سابق ص ٤٣٧، د. محمد مصطفى زيادة مرجع سابق ص٥٩ .

(٤) سيديو مرجع سابق صـ ٣٣٨ بتصرف .

سائدة لأعمالها ، فكانت مبادىء اساتذتها تقوم على ملاحظة وثيقة لمجاوزة المعلومات إلى العلل ، وعلى عدم التسليم بما لا يستند إلى التجربة وهذا المنهاج .. أضحى بعد زمن طويل أداة بيد علماء الزمن الحديث للوصول إلى أجمل اكتشافاتهم (١).

وكان ابوعبداالله محمد جابر البتانى "الحرانى" الصابئى (٢) المتوفى سنة (٣١٩هـ /٩٣١م) ويعرف عند الأوربيين باسم (Abbatengius) الزيج الصابى الذى أثبت فيه الكواكب الثابتة سنة (٢٩٩هـ/٩١١م) وله

---

(١) نفس المرجع صـ ٣٣٩ .

(٢) الصابئة : إن الصابئين الذين ذكرهم القرآن الكريم انقرضوا وعفت أخبارهم ، وأصبح من الصعب الإلمام بتاريخ صحيح عنهم ويذكر ان الحرانين "من عبدة الكواكب" انتحلوا ديانة الصابئة عام ٢١٨هـ/٨٣٣م ليتجنبوا إضطهاد الخليفة المأمون العباسى حين أنكر عليهم لحاهم ، وخيرهم فى الدخول فى الإسلام أو اختيار دين لهم ، ورد ذكره فى القرآن الكريم ، وكانوا من القلة بحيث أن المجتمع لم يكن يشعر بهم وانقرضوا عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م أما الصابئة الموجودين بالعراق فى أيامنا هذه يختلفون عن سابقيهم .

ويشاهدون الآن فى المدن والقرى على شواطىء نهر دجلة والفرات وهم طائفة من اليهود تبرأوا من اليهودية ، هاجروا من الأردن إلى نهر يجرى من الشمال إلى الجنوب هو دجلة لأن طقوسهم لا تتم إلا بالارتماس فى الماء الجارى من الشمال الى الجنوب والصلاة عندهم عبارة عن وقوف وركوع وجلوس على الأرض بلا سجود ، ولا يصومون رمضان وصيامهم كصيام المسيحيين ، ويباح عندهم الطلاق وتعدد الزيجات ، ولهم كهنة وثلاثة أعياد معلومة ، وكتب مقدسة ، وأعظم مهنة= =عندهم صياغة الميناء ، وهى من الفنون الجميلة ولا يطلعون أحد من غير ملتهم على أسرارها ، ويصنعون الأسلحة الجارحة ، والسفن الشراعية الخفيفةوكان منهم علماء ومنجمون وعدد نفوسهم يتراوح من خمسة آلاف إلى ستة آلاف حسب تعداد ١٩٤٧م.

دكتور طه الخطيب – السياسة الداخلية والخارجية للدولة العباسية صـ ١٩٢ من٦٢٢ – ٦٤٠هـ/ رسالة ماجستير سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

دكتور السيد عبد الرازق الحسينى : العراق قديماً وحديثاً صـ ٤٨ ، ٤٩ مطبعة الفرقان – صيدا – بيروت ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م .

من الأعمال العجيبة والأرصاد المتقنة [١].

وحسب البتانى ميل فلك البروج على فلك معدل النهار فوجده (٢٣درجة – ٣٥ دقيقة) وظهر حديثاً أن رصده أصاب إلى حد دقيقة واحدة ودقق فى حساب طول السنة الشمسية .

ويعتبر البتانى مبرزاً بين جميع الفلكيين العرب، فقد قام بأرصاد عديدة على جانب كبير من الدقة لدرجة أنه استطاع أثبات حدوث الكسوف الخلفى للشمس، وبعد ذلك بعدة قرون (١١٦٣هـ،١٧٤٩م) تمكن دنثورن (Donthorne) الاعتماد على أرصاد البتانى ، من تحديد تسارع القمر فى حركته حول الأرض [٢]

كما كان الفرغانى/ محمد بن أحمد (١٨٢-٢٥١هـ/٧٩٨-٨٦٥م) من علماء الفلك له من الكتب "كتاب الفصول" جوامع علم النجوم والحركات السماوية [٣] ونقل هذا الكتاب إلى اللاتينية ، والعبرية ، وقد أرسله الخليفة المتوكل (٢٣٢هـ/٨٤٧م – ٢٤٧هـ/٨٦١م) إلى الفسطاط (القاهرة) ليباشر بناية مقياس النيل سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م) [٤]

والمقاييس التى ذكرها الفرغانى لمسافات الكواكب وحجمها عمل بها كثيرون دون تغيير تقريباً [٥]

وتمكن العلماء المسلمون بطرق بابلية الأصل ، أن يحددوا اللحظة

---

(١) سيديو مرجع سابق صـ ٣٤٢.

(٢) زيغرد هونكة مرجع سابق صـ ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٣) النديم مصدر سلبق صـ ٤٤٤ .

(٤) زيغرد هونكة مرجع سابق صـ ١٩٥ ، ١٩٦. واعترافا بعلم الفرغانى أقامت له الدولة تمثالاً عند مقياس النيل بجزيرة الروضة – القاهرة سنة ٢٠٠٧م .

(٥) شاخت بوزرت مرجع سابق صـ ١٨٦ .

التى يظهر فيها الهلال الجديد ، واجتهدوا لتبسيط الجداول المساعدة وغير المساعدة ، التى يظهر فيها العناصر الضرورية لتحديد لحظة ظهور القمر، كما أكتشف هؤلاء العلماء حوالى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، النظام الخاص بتحديد التقاويم الفلكية للشمس والقمر فى ارتباطها بتواريخ سنوية ملموسة ، وامتد هذا النظام فيما بعد ليشمل الكواكب الأخرى – وكان هذا هو الأساس فى وضع التقاويم التى استخدمت على نطاق واسع عندما بدأت الملاحة عبر المحيطات [١]

ومما لا شك فيه أن الأوربيين أخذوا عن العرب أسماء النجوم العربية ويؤكد هذا الرأى وجود ما يقرب من ١٦٠ كلمة عربية فلكية يستعملها الغربيون فى علم الهيئة اليوم .

ومن هذه الكلمات التى يستعملها الغربيون كلمة (Algol) وهو رأس الغول و (Alror) الكور و (Altair) الطائر ، هو النسر، و(Denab) الذنب و (Fama Alhaut) فم الحوث و (Azimut) السمت، وهى الزاوية المكونة من سطح عمودى ثابت ، وسطح عمودى فيه نجم، .... الخ – من الأسماء الفلكية الأخرى [٢]

ولقد أثر العرب على بلاد الغرب فى عالم التنجيم ، والهيئة تأثيراً كبيراً فى وقت كانت فيه الكنيسة والرهبان محصورة بالثقافة القديمة فوقفوا لجهلهم مكتوفى الأيدى أمام هذه العلوم المثيرة للدهشة بدلاً من التدقيق فيها.

ومرت أيام وسنون حتى جاء البابا "لاون" العاشر (١٥١٣ – ١٥٢١م) وخصص لفن التنجيم فى جامعة رومة مقعداً دراسياً خاصاً ،

---

(١) نفس المرجع صـــ ٢٠٣ .

(٢) زيغرد هونكة مرجع سابق صـــ ١٨٠.

وقام نفر من منجمى البابا "يوليوس" الثانى (١٥٠٣ – ١٥١٣م) ، وتعيين الساعة المناسبة لتتويج البابا بولس الرابع (١٥٥٥ – ١٥٥٣م) .

ومضى زمن طويل ، وعلماء الهيئة والتنجيم مرتبطين معاً وما كان ليتم هذا أو ذاك ، إلا بالجهود الجبارة ، والبذل والتحقيق ، التى قدمها العرب فى هذين الحقلين .(١)

***

الجغرافــيا :

تعريف الجغرافيا :

إن كلمة جغرافيا يونانية الأصل ، وتتكون من مقطعين هما : "جيو" (Geo) بمعنى : " أرض" .. "وجغرافيا" (Grophia) وتعنى "وصف" .. ومن ثم جاء التعريف الاصطلاحى لعلم الجغرافيا معبراً عن مقتضيات " وصف الأرض" ، فهو علم يتعرف منه على أحوال القارات، وعروض البلدان الواقعة فيها ، وأطوالها وعدد مدنها وجبالها وبحارها وأنهارها ... إلى غير ذلك . وكان العرب يستعملون بدلاً من كلمة جغرافيا مصطلحات أخرى مثل: "صورة الأرض" أو "خريطة العالم " أو " علم المسالك والممالك " أوعلم "تقويم البلدان " وغيرها (٢)

عوامل ظهور علم الجغرافيا :

وهناك عوامل وأسباب أسهمت فى ظهور علم الجغرافيا نذكر منها :

١ – انتشار الإسلام : أوجد حاجة ماسة لمعرفة أحوال البيئات

---

(١) نفس المرجع السابق صـــ ١٧٤ – ١٧٦ بتصرف .

(٢) د / راغب السرجانى مرجع سابق صـــ ١٢٧ .

التى سادها الدين الإسلامى ، وجمع المعلومات عن هذه البيئات .

٢ – التدبر فى خلق الله ، والاهتداء بالنصوص التى وردت فى القرآن الكريم ، التى تدل على عظمة خلق الله للأرض ، مما كان له الأثر فى الدراسات الجغرافية والحضارة الاسلامية .

فقد جاء فى القرآن الكريم . بيان كثير من الظواهر التى أودعها الله فى الأرض ، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ الحجر: ١٩

وقوله تعالى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ الرحمن: ١٩ - ٢٠

وقوله تعالى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَـٰمِخَـٰتٍ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾ المرسلات: ٢٥ – ٢٧ وهكذا :

وكان لهذه الآيات أكبر الأثر فى إثراء الدراسات الجغرافية وحافزاً ، لعلماء المسلمين فى البحث ومعرفة قدرة الخالق وعظمة خلق الله .

٣ – المتطلبات الشرعية : فقد إعتمدت أركان الإسلام فى آدائها على مواقيت زمنية ، ومكانية ، لذلك اهتم علماء المسلمين بتوضيح هذه المتطلبات كما يلى :

أ – وضع علماء المسلمين حدوداً زمنية لإقامة الصلاة فى أقطار الأرض ، لإختلاف التوقيت فيها ، وما تزال آداة قياس مواعيد الصلاة موجودة فى بعض المساجد القديمة وتسمى بالساعات الشمسية ؛ وكان ذلك ناتج عن معرفة دخول الوقت لإقامة الصلاة .

ب – كما أن الصلاة فى جميع أنحاء العالم تحتاج لإستقبال القبلة، فى جهة محدودة وهى الكعبة فى مكة ، ولذلك وجب معرفة الاتجاهات الجغرافية لتحديد القبلة لكل قطر ولكل بلد من البلدان .

جـ – معرفة رؤية الهلال لتحديد مواقيت الشهور العربية وخاصة شهر رمضان ، الذى حدد آداؤه بحدود شهرية وحدود يومية .

وكذلك ارتبط الحج والعمرة بمواقيت مكانية للإحرام ، وهى مختلفة فى أبعادها من مكة حسب الجهات التى يأتى منها المسلمون لآداء الفريضة ، وكان ضرورياً معرفة الأماكن التى يتم إحرام الحجاج والمعتمرين منها حتى لا يترتب عند تجاوزها مخالفة شرعية تؤثر على صحة العبادة ، كما أن الحاج مرتبط بميقات زمنى محدد قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧ وهى تتركز حول شهر ذى الحجة ، لأن الحج مرتبط بالوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة ، ومن فاته الوقوف بعرفة ، فقد فاته الحج .. (١)

٤ – إتساع نطاق التجارة فى العصر العباسى الأول ، واتصال مدينة بغداد حاضرة العباسيين . براً وبحراً بجميع البلدان ، ثم كان لتعبيد الطرق أثر كبير فى تسهيل الأسفار ، وتمهيد السبل أمام الكاشفين والرحالين . (٢)

٥ – لقد وصلت رحلات المسلمين فى عهد هارون الرشيد ، إلى الهند، وسيلان ، وشبه جزيرة ملقا والصين ، ويقال أنهم وصلوا بحرا إلى كوبا .

---

(١) د / راغب السرجانى مرجع سابق صـــ ١٢٨ ، ١٢٩.
(٢) د / حسن ابراهيم حسن مرجع سابق ج٢ صـــ ٣٥١ .

كما كان للفتوح الإسلامية ، فى أواسط آسيا وبلاد الهند شرقاً وغرباً فى شمال أفريقية ، وأوربا ، أثر كبير فى أتساع أفق التفكير الإسلامى فى أحوال هذه البلاد الإقتصادية ، والإجتماعية والسياسية .

ومعرفة الطرق التى تربط بلدان العالم الإســلامى ليسهل إدارتها.(١)

٦ – نجد بين الذين ألفوا فى الجغرافيا الوصفية رحالة قاموا بأسفارهم بدافع شخصى وحجاجا إلى مكة ، وضعوا كتباً عن تجاربهم فى السفر بعد عودتهم من الحج ، كما نجد تجاراً كانوا ينظمون قوافل تجارية ، ومبعوثين فى خدمة الدولة ، وسفراء للدول الأجنبية ، ودعاة دينيين ، ومسافرين فى طلب العلم كل هؤلاء كانت مهامهم تبعث فيهم الرغبة فى الإستزادة من المعرفة عن البلاد التى زاروها (٢)

إهتمام المسلمين بعلم الجغرافيا :

فى القرن الثالث الهجرى وضع " أبو القاسم بن خرداذبة" (٣) كتابه المسالك والممالك " وهو أقدم الكتب فى الجغرافيا ويعتبر دليلاً للمسافرين ، وصف فيه الطريق البحرى الذى يبدأ من مصب نهر "دجلة" فى العراق ، ويصل إلى الهند والصين وسيلان ومروراً بالخليج

---

(١) شاخت بوزرت مرجع سابق القسم الثالث صـــ ١٣٨.

(٢) د/ حسن ابراهيم حسن المرجع السابق ج٢ صـــ٣٥١ .

(٣) خرداذبة : كان مجوسيا وأسلم على يد البرامكة وتولى "البريد والخبر بنواحى الجبل فى العراق (وهى وظيفة تعادل وظيفة رئيس جهاز المخابرات فى أيامنا) ، وكان من ندماء الخليفة المعتمد (٢٥٦هـ/٧٨٠م – ٢٧٩هـ/٨٩٢م) وله من الكتب – كتاب أدب السماع ، كتاب جمهرة أنساب الفرس ، وكتاب المسالك والممالك ، كتاب الطبيخ ، كتاب للهو والملاهى ، كتاب الندماء والجلساء وغيرها ..

الفارسى [١]

وفى سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م) نشر "أبو عبدالله المقدسى" كتابة أحسن التقاسيم ، فى وصف الإمبراطورية الإسلامية [٢] وهو من أشهر جغرافى العرب ، زار أكثر البلدان الإسلامية وقد ترجم كتابه إلى أكثر اللغات الأوربية [٣] .

ومن الكاشفين العرب الكبار " أبوعبدالله ياقوت الحموى" : (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) صاحب " معجم البلدان" وهو موسوعة جغرافية جمع فيها كل المعلومات ولم يترك شيئاً إلا وأدخله فيها من فلك وطبيعة وعلوم وآثار ، والجغرافيا البشرية والتاريخ ومن أهم مؤلفاته معجم الأدباء ، وكان ياقوت عبداً من بلاد الروم أعتقه سيده وشغله بالاسفار فى مدن العراق والشام ومصر [٤]

وعلم نفسه ، واطلع على مكتبات مرو ، وطشقند ، وبلخ ، وعرف كل ما فيها من كنوز المعرفة ، وقد فرض عليه أن يشتغل بالنسخ ، لكى يستطيع أن يهىء لنفسه معاشا يوميا متواضعاً ، واستطاع أن يؤلف موسوعة جغرافية تمثل معارف العصر [٥]

كما عنى المسلمون بتراث الأقدمين فى الجغرافيا ، وإلى جانب ما حصلوه من المعلومات عن الكتب القديمة ، فإنهم كعادتهم لم يسلموا كل ما جاء فيها ، وإنما كانت لهم جهود خاصة صححوا أخطاءها ثم أضافوا إليها معلوماتهم التى وقفوا عليها بالخبرة والتجربة .

---

(١) د/حسن إبراهيم حسن مرجع سابق ح٣ صـ ٤٠٥ .
(٢) ريسلر مرجع سابق صـ ١٧٩ .
(٣) زيغرد هونكه مرجع سابق صـ ٤٦١ .
(٤) نفس المرجع صـ ٤٦٢ .
(٥) ريسلر المرجع السابق صـ ١٧٩ ، ١٨٠ .

وكان لرسم الخرائط بوصفه فنا وعلما لتمثيل الكرة الأرضية تأثير هائل فى تاريخ البشرية فمنذ وقت بعيد عمل أبناء العصور القديمة على وصف بيئتهم ، وبيئة جيرانهم ، إما لاسباب سياسية أو إجتماعية ، أو إقتصادية .

وقد اكتشفت أوائل الجغرافية ، والخرائط الأصلية فى اليونان قبل ميلاد المسيح عليه السلام قرابة أربعة قرون بالرغم من انه لم يتم وضع الجغرافيا المركزية التى إعتمد عليها علماء الجغرافية فى دراستهم الا فى القرن الثانى على يد بطليموس .[١]

ولم يعرف الناس فى أوربة لزمن طويل الجغرافية المؤسسة على المراقبة والتجربة – فلم تكن خرائط الأديرة ترسم الأرض طبقا لفهمهم للإنجيل الاعلى أنها قطعة من الأرض يحيط بها بحر عالى وفى وسطها تقع الجنة .[٢]

وكان العرب هم أول من تبنوا الفكرة بداية من علماء الفلك فى بيت الحكمة فى بلاط الخليفة المأمون ببغداد [٣] وبعد مضى قرنين من الزمان قام " البيرونى " [٤] بعمل دراسة مهمة حول شكل الأرض ومساحتها كما أرسى أيضاً علم المثلثات الكروية لاستخدامها فى الجغرافيا والرياضة [٥] .

كما أن "البيرونى" هو أول من أثبت أن الأرض كروية بالبراهين

---

(١) ميرنى كومير الخرائط فى أواخر العصور الوسطى – ترجمة – حاتم الطحاوى – ابن خلدون – البحر المتوسط مرجع سابق صـــ ٢١٦ .

(٢) زيغرد هونكه – مرجع سابق صـــ ٤٢٠ .

(٣) البيرونى – مر ذكره فى علم الفلك .

(٤) ميرثى : المرجع السابق صـــ ٢١٦ .

(٥) د/ راغب السرجانى – العلم وبناء الأمم صـــ ١٥٥.

الفلكية والحسابية ، وأنه لا بد من وجود جزر معمورة فى الوجه الآخر من الكرة الأرضية لم تكتشف بعد .

وقد بنيت هذه النظرية على أنه ليس من المعقول أن يكون أحد سطحى الكرة يابسة بالكامل بينما يغطى الماء الجانب الآخر لأن هذا سيؤدى إلى اختلال توازن الأرض وانتظام دورانها .

وبناء على هذه النظرية إبتدأت مغامرات الكشف الجغرافى التى جاء ذكرها فى مخطوطات كبار الجغرافيين المسلمين ومنهم "المسعودى" فى كتابه (مروج الذهب) "والإدريسي " فى كتابة (نزهة المشتاق) (١)

كما ترجم العرب مؤلفات "بطليموس" . وأصلحوا كثيراً من أخطائه ولم يكن "بطليموس " الاستاذ الحقيقى فى جغرافية أوربا ، لكنه " محمد الشريف الإدريسى " ولد فى الأندلس (١١٠٠ – ١١٦٦م) ودرس فى قرطبة وبرع فى علم الهيئة والجغرافية ، والطب والحكمة والشعر ، زار بلاد الروم ، واليونان ، ومصر ، والمغرب وفرنسا ، وبريطانيا (٢)

وعاش الإدريسي فى بلاط الملك النورماندى (٣) روجر الثانى فى "باليرمو" حيث قام بوضع عمله الجغرافى الرئيسي المعروف بـ " نزهة

---

(١) زيغرد هونكه – مرجع سابق صـ ٤٦١ .

(٢) نفس المرجع صـ ٤٦١ .

(٣) النورمانديون : هم الذين استقروا فى شمال فرنسة ، ومنحهم ملك فرنسا سنة ٩١١م مقاطعة عرفت باسم "Wormandie " وقبلوا اللغة الفرنسية واختلطوا بالشعب الفرنسى ، وخرج منهم وليام الفاتح الذى استولى على انكلترة ، ثم استعاد الفرنسيون المقاطعة عام ١٤٤٩م بقيادة شارل السابع .
زيغرد هونكه – مرجع سابق صـ ٦٢ .

المشتاق فى اختراق الآفاق) بناءًا على طلب الملك المذكور .

وهذا الكتاب هو وصف لخارطة كبيرة للأرض صنعت من الفضة وأضيف إليها إحدى وسبعون خارطة ، ويتضمن الكتاب بحثاً شاملاً فى الجغرافيا الوصفية (١)

وقد نشر في روما عام ١٥٩٢م بالعربية قسم مقتطف من كتاب "نزهة المشتاق" كما نشر هذا القسم فى ترجمة لاتينية قام بها راهبان مارونيان سنه ١٦١٩م تحت عنوان مغلوط هو (جغرافية النوبة) ويرينا هذا المثل كيف ساعدت كتب المسلمين الجغرافية على تعلم أهل الغرب فى جغرافية الشرق ولم تكن قد بدأت فيه الدراسات الغربية بمؤلفات المسلمين فى الجغرافية (٢).

الاكتشافات البحرية :

يعتبر اكتشاف "كريستوفركولومبوس" لأمريكا عام ١٤٢٩م ، واكتشاف "فاسكودى جاما" لطريق الهند البحرى عام ١٤٧٩م من اكثر الكشوف الجغرافية تأثيراً فى مجرى التاريخ الانسانى ...

وقد ذكر جغرافيو الأندلس عن سبق العرب لاكتشاف أمريكا (٣) ويؤيدها ما ذكره العالم المؤرخ اللغوى" الأب أنستاس الكرملى" من أن العرب قد وصلوا أمريكا من لشيونة قبل " كولومبوس" بفضل معرفتهم لتيار الخليج الحار فى الأطلسي فيقول : (سبق العرب إلى معرفة هذا التيار وخواصه، وإلى حركته فى المكسيك إلى ايرلندا وبالعكس .. (٤)

---

(١) شاخت وبوزورت مرجع سابق صـــ ١٣٩ .

(٢) شاخت وبوزرت مرجع سابق صـــ ١٤١ .

(٣) د/ راغب السرجانى المرجع السابق ص ١٥٥ ، ١٥٦

(٤) المرجع نفسه ص ١٥٦ عن الأب استانس الكرملى : عرف العرب =

وقد انطلق " كولومبوس " ومن معه برحلته من أسبانيا ، بعد أن حصل على آلاف الوثائق العلمية ، والخرائط الإسلامية التي وضع الأسبان أيديهم عليها من ميراث الحضارة الإسلامية الطويل، فأحرقوا بعضها ، واستولوا على البعض الآخر مما لم يظهر بعد ذلك إلا حديثا في مكتبة الإسكوريال في مدريد [١]

وجاء في أقوال " كولومبوس " نفسه ، حيث يذكر أنه كان يعتقد أول الأمر أن الهنود الحمر الذين رآهم في تلك الجزر لا بد أن يكونوا من سلالة العرب " الذين سبقوه" كما قرأ في المخطوطات العربية ... وقد قامت (الجمعية الجغرافية البريطانية) بإنتاج مسلسل تلفزيوني وثائقي بعنوان (المكتشفون) وبه حلقة مستقلة عن " كولومبوس" واكتشافاته ، وهي تبين أنه قد اختار أحد رجاله الذين يعرفون اللغة العربية (لأنه من أصل عربي) وبعث معه برسالة إلى ملك الهنود الحمر كتبت باللغة العربية يقول فيها :" يا صاحب الجلالة ... إن الملكة " إيزابيلا" ملكة أسبانيا وقشتاله ، تهديك السلام، وتطمع أن يكون بينها وبين بلادك علاقات صداقة .. الخ[٢]

والملاح الذي قاد سفن "فاسكوداجاما" إلى "قاليقوط" على الساحل الغربي للهند [٣] هو الملاح العربي أحمد بن ماجد الذي وضع دليلاً

=أمريكا قبل أن يعرفها الغرب .
بحث في مجلة المقتطف عدد ١٠٦ ، العقاد – أثر العرب في الحضارة ص ٤٧ .

(١) د/ راغب السرجاني المرجع السابق ص ١٥٥ بتصرف .

(٢) د/ زينب عصمت راشد – تاريخ أوربا الحديثة صـ ٤٧ دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٩٨م .

(٣) د/ راغب السرجاني المرجع السابق ص ١٥٧

للملاحين فى المحيط الهندى ، يعرف باسم " الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد " ، وله حوالى ثلاثين مؤلفا فى عالم البحار .وقد عاش هذا الملاح فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى [١] .

كما شارك رساموا الخرائط الأتراك وعلى رأسهم "برى ريس" واسمه الكامل (محى الدين محمد الريس) ألف كتابا فى الملاحة فى البحر الأبيض المتوسط إشتمل على مئات الخرائط التى تصف أجزاء فى خريطة العالم ، وبقى الجزء الشرقى منها خالدا فى هذه الخريطة ، ونصف خطوط السواحل الأمريكية، بالرغم من مضى وقت قصير على اكتشافها [٢] إلا أن أكثر تلك الإشارات إبهارا وأثارة للدهشة هى تلك الخريطة التى اكتشفها المستشرق الألمانى "kahle " فى مكتبة (طوب كابى سراى) باسطنبول ، ونشرها على العالم سنة ١٩٢٩ م تحقيق علمى دولى استمر عدة سنوات .

وقد حيرت هذه الخريطة العلماء وأذهلت العالم وهى من تأليف "برى ريس"[٣]

اكتشاف القارة السادسة فى القطب الجنوبى :

إن أعجب ما فى خرائط " برى برس " أنها عادت لتشغل العلماء بعد عصر رحلات الفضاء ، وتصوير الأرض بواسطة الأقمار الصناعية ، فقد كان الإعتقاد الأول لعلماء الخرائط فى أمريكا وأوربا فى القرن العشرين . أن الخرائط غير دقيقة ، وأن بها أخطاء فى

---

(١) شاخت بوزرت مرجع سابق صـــ ١٤٠

(٢) نفس المرجع صـــ ١٤٠

(٣) د/ راغب السرجانى مرجع سابق صـــ ١٥٧ انظر خريطة رقم (١) .

الرسم، حسب أحدث معلوماتهم عن الشاطيء الأمريكى ... لهذه المناطق أن خرائط " محى الدين الريس" أدق من كل ما عرفوه وتصوروه !!.. وأنها تطابق تماما صور القمر الصناعى ، وأن معلوماتهم هى التى كانت خاطئة .

وعلى أثر ذلك عكف فريق من العلماء فى وكالة الفضاء الأمريكية على إعادة دراسة الخرائط مقطعياً بعد تكبيرها عدة مرات ، فكانت المفاجأة الثانية .. هى أن " برى ريس" وضع فى خرائطه القارة السادسة فى القطب الجنوبى والمسماة "Antarctica " قبل اكتشافها بأكثر من قرنين من الزمان!! كما أنه وصف جبالها ووديانها التى لم تكتشف حتى سنة ١٩٥٢م!![١]

وفى سنة ١٩٥٧م عكف فريق من علماء الجغرافيا بالمراصد الكبرى ، والبحرية الأمريكية على مزيد من دراسة خرائط "الريس" .. وبعد دراسات على أجهزة متطورة ، وجدوا أن صورة عن القارة السادسة "Antarctica " صحيحة ودقيقة بدرجة مذهلة حتى بالنسبة للمناطق التى لم يستكمل اكتشافها فى عصرنا الحاضر .

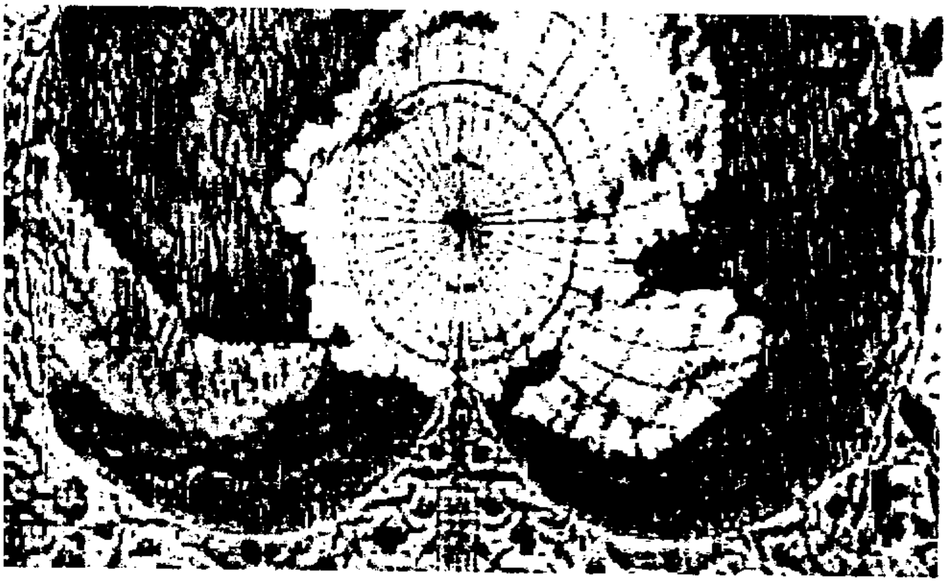
فالجبال على قارة القطب الجنوبى لم تكتشف حتى عام ١٩٥٢م فهى دائماً مغطاه بطبقة سميكة من الثلوج بحيث أن إكتشاف وجودها على الخرائط الحديثة كان بإستعمال أجهزة صدى الصوت . " Echo Sounding apparatus " وكان لإهتمام وكالة الفضاء الأمريكية بمواصلة دراسة هذه الخرائط ، إتضح أنها تشبه تماما الصور المأخوذة للكرة الأرضية من مركبة فضائية أثناء مرورها فوق منطقة القارة

---

(١) نفس المرجع صـ ١٥٨ ، ٥٩ .



خريطة رقم (٤) السواحل الأمريكية



خريطة رقم ([illegible])

(خريطة بيري ريس للقارة القطبية الجنوبية)

من كتاب
العلم وبناء الأمم ص ١٦٠
د/ راغب السرجاني

القطبية الجنوبية ، وهى تغطى مسافة (خمسة آلاف ميل) فوجدوا تشابها بين صور القمر الصناعى ، وبين خريطة "برى ريس" (١)

فلكم هو مذهل تتبع جهود المسلمين فى أكتشاف الأرض لابد أن يكون له أكبر الأثر فى بعث تلك الحركة الهائلة للكشوف والرحلات الجغرافية التى جابت أقطار المعمورة فى تلك العصور البعيدة .

ولا بد أيضاً أن نقرر أن إهتداء المسلمين بكتاب ربهم قد كان له أكبر الأثر فى هذا السير الفريد فى جنبات الأرض .. حيث يقول سبحانه وتعالى :﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (العنكبوت : ٢٠) (٢)

---

(١) د/ راغب السرجانى مرجع سابق صـــ ١٥٩ انظر خريطة رقم (٢) .
عن أريك فوار دانيكن : عربات الآلهة صـــ ٢٩ .

(٢) د/ راغب السرجانى مرجع سابق صـــ ١٦١ .

الفصل ا رابع

العلوم العربية أساس العلم الحديث [1]

(١) إعداد دكتور / طه عبد العزيز الخطيب .

العلوم العربية أساس العلم الحديث :

مر بنا ـــ فيما تقدم ـــ أن الحضارة الإسلامية إستمدت مقوماتها من تعاليم الدين الاسلامى القويمة ، ومن التراث العربى الأصيل ، وأفادت كذلك مما صادفته من التراث الحضارى للأمم السابقة عليها ذلك أن عجلة الفتح الإسلامى قد طوت فى سيرها مناطق هامة من المعمورة ، مثل فارس ، العراق ، الشام ، وفلسطين ، ومصر ، وغيرها من المناطق التى كانت مهد حضارات عريقة إزدهرت عبر مراحل التاريخ، وكان لها شأنها فى تقدم الفكر البشرى والحضارة الإنسانية . كذلك اتصل المسلمون ببعض الشعوب التى كان لها سبق فى المضمار الحضارى كالهنود والصينيين .

هذا فضلاً عن وقوفهم على تراث الحضارة اليونانية،والرومانية .

هكذا اتضح المجال رحبا أمام المسلمين ، فأقبلوا على الإفادة من التراث الحضارى للأمم الأخرى ، ولم يجدوا غضاضة فى تدعيم حضارتهم الاسلامية بخير ما وجدوه من هذا التراث فى مجالاته المختلفة .

على أنه لم يقلل من شأن الحضارة الإسلامية أنها أفادت من تراث الأمم السابقة فإن طبيعة التطور وسنة الحياة تستلزم إفادة الخلف من السلف ، ولا يعيب أمة أن تفيد من تجارب أمة أخرى .

فمقياس التقدم بين الأمم ، إنما هو مقدار ما تضيفه الى هذه التجارب من جهودها الخالصة فى ميادين الحضارة المختلفة [١]

---

(١) د/ مصطفى عبد المجيد مرجع سابق صـــ ١٨ .

وقد عرفنا كيف وصلت هذه الحضارة العظيمة إلى أوربا فأيقظتها، وأسهمت فى وضع حجر الأساس للحضارة الأوربية وغيرها من حضارات العصر الحديث .

كما تركت الحضارة العربية فى اللغات الأوربية الفاظا تدل على مقدار ما أفادته الحضارة الحديثة من تراث العرب فى شتى العلوم .

ومن أعظم الأمثلة على ذلك أن معظم أسماء النجوم والمصطلحات الرياضية ، والفلكية ، والكمياء ، وغيرها على صيغتها العربية ، فى اللغات الأوربية حتى الآن .

وقد جمع "منير البعلبكى" جميع المصطلحات ، والكلمات والاسماء – العربية – فى قاموس "المورد" وأفرد لها ملحقا خاصا بها [(١)]

كما نقل الأوربيون الكثير من بحوث العرب فى ميدان الطبيعة ، فقد نقل "روجر بيكون" دراسات" ابن الهيثم" ونظرياته فى البصريات وعلم الضوء [(٢)] فلأول مرة يضع "ابن الهيثم" قوانين الإنعكاس والإنعطاف فى علم الضوء ، وعلل لإنكسار الضوء مساره ، وهو الانكسار الذى يحدث عن طريق وسائط كالماء والزجاج ، والهواء ، وبذلك سبق "ابن الهيثم" العالم الإنجليزى "نيوتن" [(٣)]

ومن يطالع كتاب "المناظر" والموضوعات التى تتعلق بالضوء ، وما إليه يخرج بأن "ابن الهيثم" قد طبَّع علم الضوء بطابع جديد ، فقد الف هذا الكتاب سنة ٤١١هـ/١٠٢١م ، وفيه استثمر عبقريته وخبرته

---

(١) منير البعلبكى ــ ألفاظ إنكليزية ذات أصل عربى . قاموس المورد (عربى إنكليزى) دار العلم للملاينن ــ بيروت ط ١٩ ــ ١٩٨٥ .

(٢) إبراهيم العدوى – المرجع السابق ص ٢٢٧.

(٣) د/ راغب السرجانى مرجع سابق ص ١٧١.

وصار بها أحد العلوم التى غيرت من نظرة العلماء لأمور كثيرة فى هذا المجال [١]

وحاز ابن الهيثم على رأى كثير من المنصفين الغربيين حتّى وصفه "جورج سارتون" وهو من كبار مؤرخى العلم بقوله : " هو أعظم عالم فيزيائى مسلم ، وأحد كبار العلماء الذين بحثوا فى البصريات فى جميع العصور " [٢]

وتقول – المستشرقة الألمانية "زيغرد هونكة " كان " الحسن ابن الهيثم" أحد أكثر معلمى العرب فى بلاد الغرب أثرا وتأثيرا.

كما تقول :"لقد كان تأثير هذا العربى (ابن الهثيم) النابغة على بلاد الغرب عظيم الشأن ، فسيطرت نظرياته فى علم الفيزياء ، والبصريات على العلوم الأوربية حتى أيامنا هذه – فعلى أساس كتاب "المناظير" لإبن الهيثم نشأ كل ما يتعلق بالبصريات ، ابتداء من الإنكليزى "روجر باكون" حتى الألمانى "فيتللو" وأما "ليوناردو دافنش" الإيطالى ، مخترع آلة التصوير الثقب، أو الآلة المعتمة ، ومخترع المضخة والمخرط ، وأول طائرة – ادعاء – فقد تأثر تأثرا مباشرا بالعرب ، وأوحت إليه آثار ابن الهيثم أفكارا كثيرة ، وعندما قام "يوهانس كيلر" فى ألمانيا خلال القرن السادس عشر ، ببحث القوانين التى تمكن "غاليليو" بالاستناد إليها ، من رؤية نجوم مجهولة من خلال منظار كبير ، كان ظل ابن الهيثم الكبير يجثم خلفه .

وما تزال حتى أيامنا هذه المسألة الفيزيائية الرياضية الصعبة ، التى حلها "ابن الهيثم" بواسطة معادلة من الدرجة الرابعة ، مبرهنا بهذا

---

(١) نفس المرجع ص ١٧٢ .

(٢) د/ راغب السرجانى مرجع سابق ص ١٧٢.

عن تضلعه البالغ في علم الجبر ، نقول : ماتزال المسألة القائمة على حسب موقع نقطة التقاء الصورة التى تعكسها المرآة المحرقة بالدوائر على مسافة منها ، ما تزال تسمى "بالمسألة الهيثمية" نسبة إلى ابن الهيثم نفسه" (١)

كما استمدت الدراسات الطبية فى أوربا من مؤلفات الأطباء والعلماء العرب ومنهم ، الرازى ، ابن سيناء ، والزهراوى ، واعتبروا الرازى حجة فى الجراحة والكيمياء .

وقد ترجمت مؤلفاتهم إلى اللغات الأوربية ، واستمرت تدرس فى جامعات أوربا حتى القرن الثامن عشر، وعلى هذا النحو اعتمدت جميع قواعد الحضارة الأوربية الحديثة منذ عصر النهضة الأوربية الكبرى وإحياء العلوم .

والواقع أنه لولا الكنوز العربية فى الطب والفلك والرياضيات ، والكيمياء ، والفيزياء ، والبيطرة والزراعة لاستحالت حركة إحياء العلوم المشهورة .

ولا تزال كثير من المؤلفات العربية هى المرجع الوحيد الذى يمكن ان تستمد منه أوصاف كثير من بقاع الأرض التى كان للعرب الفضل الأول فى ارتيادها(٢)

كما أفاد علماء الغرب من العلوم العامة التى كتبت على لفافات البرديات العربية والقبطية ...

وذلك لأن الورق المصنوع من البردى يعتبر المادة المفضلة للكتابة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة. وذاع صيت هذه البرديات

(١) زيغرد هونكه – مرجع سبق ص ١٥٠.

(٢) دابراهيم العدوى – مرجع سابق – ص ٢٢٨

فى الأوساط العلمية فى أوربا جميعها ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية بسبب نشر مقال عنها فى مجلة مشهورة تسمى مجلة العلماء (Journalde Savants) سنة ١٨٢٤م ، الأمر الذى أدى إلى وجود العديد من البعثات الأجنبية التى تحاول النيل من هذه البرديات إما بالشراء من الفلاحين ، أو التجار الذين وجدوا فى هذه السلعة رواجًا كبيرًا . بين السفارات الأجنبية فى مصر خاصة الأوربية .

وأبرز مجموعات البرديات فى العالم هى :

١- مجموعة "الأرشيد ون ريتر" فى مكتبة فينًا القومية – بالنمسا – وهى غنيه جدا بالبرديات العربية وعددها التقريبى (١٠٠٠٠٠) مائة ألف وثيقة بردية ، المجموعة العربية منها وصلت تقريبًا (٤٠٠٠٠) أربعون ألف وثيقة نادرة ، لم يدرس منها سوى بضع مئات والباقى رهن الحفظ والصيانة والترميم والفهرسة ثم التحقيق والنشر .

والدليل على أهمية هذه الوثائق أن الرقم المفهرس فيها وصل إلى ١٥٩٣٤ ؛ وأشار المستشرق "جوزيف كارا باتشيك " الذى عكف لسنوات طويله باحثًا ، ومدققا للبرديات إلى أن هناك ما يقرب من (٣٠٠٠) وثيقة تاريخية فى هذه المجموعة تنتسب فقط لمدينتى الفيوم ، وأهناسيا.

ولو تمت دراسة هذه المجموعة فسوف نكشف العديد من الجوانب التاريخية ، والفنية ، والأثرية ، والحضارية التى ما زالت غامضة فى تاريخنا وحضارتنا الإسلامية ، خاصة وأن غالبية هذه البرديات ينتسب للقرون الثلاثة الأولى للهجرة .

٢- مجموعة " شوت رينهارت " فى معهد البرديات جامعة هايد لبرج بالمانيا (PSR)

ووصل عدد هذه المجموعة حوالى (٨٠٠٠) ثمانية آلاف بردية ما بين عربية، ويونانية ، ولاتينية، وقبطية ... وغيرها ، غالبيتها لم يدرس حتى اليوم .

٣- مجموعة "كارل فاسلى" (C.wessely) فى "براغ" بتشيكوسلوفاكيا - (سابقا) وبدأ فى جمع هذه المجموعة النادرة سنة ١٩٠٤م وتعدادها (٨٢٨٢) ، المجموعة العربية (١٠٠٠) بردية ، والباقى منها على مر العصور السابقة . وهذه المجموعة محفوظة حاليا فى مكتبة المعهد الشرقى فى مدينة "براغ" .

٤- مجموعة " جول رابلاندز " فى مدينة " مانشستر " فى انجلترا وتصل هذه المجموعة إلى(٦٠٠٠) درج ولوحة ومخطوط .

٥- مجموعة "آن اربر" ميتشجن " بالولايات المتحدة الامريكية وقد بدئ فى جمع برديات هذه المجموعة اثناء الحرب العالمية ويقرر الدكتور برهمان ان الدكتور كروم قد اخبره انه فى ١٩٣٢/١٢/١٠م قد تم نقل كميات ضخمة من البرديات إلى جامعة متشجن ولم يعلم عددها حتى اليوم . وهى بلا شك مجموعة نادرة ، وهى عبارة عن مكاتبات ديوانية ، وسير ، ومغازى، ووصفات طبية ... وغيرها .

٦- مجموعات أخرى متنوعة :

هناك العديد من المجموعات العربية المتنوعة ، لا تصل فى مجموعها إلى عدد المجموعات السابق ذكرها ، وهى بالغة الأهمية ، ومن هذه المجموعات برديات محفوظة فى :

أ - مكتبة المعهد الشرقى فى جامعة "شيكاغو" بالولايات المتحدة الأمريكية .

ب _ مجموعة متحف برلين (بالمانيا) .

ج – مجموعة متحف اللوفر فى باريس (بفرنسا) وهذه المجموعات متنوعة بين برديات وأوراق كاغد تنسب لعهود زمنية مختلفة [١]

ومن ذلك يتبين أن الحضارة العربية والاسلامية قد أسهمت فى وضع أساس الحضارات الحديثة بنصيب موفور ، وأن فضلها عليها واضح غير منكور ، كما أحدثت ثورة علمية عم يمنها وخيرها العالم الإنسانى كله.

ويشهد بذلك كثير من المنصفين الأوربيين [٢]

ويقول المستشرق " جون فيرنيه " (Juan vernal) " وقد انتقل اسهام المسلمين العلمى الى الغرب منذ النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى" .

وترجع الترجمات التى اطلع عليها المستعربون فى الأديرة فى جميع أنحاء شبه جزيرة " إيبيريا" (أسبانيا) وخاصة فى دير "ريبول" (Ripall) فى قطالونيا ، وفى مدينة برشلونة " ودير " البلد ...) وانتقلت هذه الترجمات بسرعة الى وسط أوربا .

ويرجع الفضل فى ذلك إلى الطريق التجارى النشط الذى كان يتبع مجرى نهرى الرين ، والراين ، ويصل إلى قلب ألمانيا . كما يعود الفضل أيضاً إلى جهود الراهب "جيربرت" واستمرت حركة النقل والترجمة ، والتبادل الثقافى بين الشرق والغرب حتى بداية القرن

---

(١) د / سعيد مغاورى محمد
أبرز مجموعات وثائق البرديات العربية فى العالم وأبرز الدراسات حولها – (بحث فى الندوة العالمية للمخطوطات) – القاهرة ٢٨م٥ – ٣٠م٥م١٩٩٦م بتصرف .

(٢) انظر ملحق رقم (٢)

العشرين ، عندما بدأت حقبة جديدة تقدم علم العالم الغربى الى العالم الاسلام ، شأنها شأن الحركة التى قدمت من القرن الثانى إلى القرن الرابع الهجرى (الثامن الى العاشر الميلادى) .

وإنًا لنأمل أن تنشأ من هذه الترجمات نهضة علمية عربية شبيهة بنهضتهم العلمية فى العصور الوسطى(١)

فكل حضارة لم تبدأ من الصفر ، وانما تبدا من حيث انتهى سابقوها ، ولو بدأت كل حضارة فى مضمار العلوم من الصفر لما ازدهرت أى حضارة ، ولما وصلت حضارة اليوم إلى ما وصلت اليه من هذا التقدم العلمى المذهل .. (٢)

ولكن لم يكتف الغرب بما أفاده من علوم المسلمين ، واعتمد على نفسه كما فعل المسلون عندما أنشأوا حضارتهم – بل عمل على استقطاب الكفاءات العربية فى بناء النهضة الحديثة ، ففى الستينيات من القرن العشرين فتح باب الهجرة العربية إلى أوربا ، وأمريكا ، وكندا ، واستراليا .

وكانت الشركات العملاقة تجتذبهم ، وتتلقف أفكارهم لتطبيقها ، بل وتغريهم بالتوظيف فى أعلى المناصب، وبأعلى الأجور .(٣)

ومن اللافت للانتباه أن إسرائيل أيضاً تستقطب الكفاءات المصرية، ووصل عدد المهاجرين إليها أكثر من أربعين ألفا حتى عام ٢٠٠٨م (٤)

---

(١) شاخت وبوزرت – مرجع سابق صـ ٢١٣ – ٢١٨ بتصرف .
(٢) د / راغب السرجانى – مرجع سابق صـ ٢٧٨ .
(٣) نفس المرجع صـ ٤٣٤ .
(٤) وقد نبه عن خطورة هذه الظاهرة الاستاذ / وائل الابراش (فى برنامج "الحقيقة" على قناة دريم الفضائية .

وناقش ظاهرة الهجرة هذه الدكتور "إبراهيم قويدر" عرض أسبابها وآثارها ، وعلاجها [١]

وجاء في مقاله "أن ظاهرة هجرة الكفاءات والعلماء من الدول العربية إلى الخارج أحد أهم العوامل المؤثرة على تطور الاقتصاد القومي ، وعلى التركيب الهيكلي للسكان ، والقوى البشرية ، وتكتسب هذه الظاهرة أهمية بالغة في ظل تزايد أعداد المهاجرين ، وخاصة من الكوادر العلمية المتخصصة ، وتتمثل أهم الآثار السلبية في حرمان هذه الدول من الإفادة بخبرات ، ومؤهلات هذه الكفاءات في مجال التنمية الاقتصادية ، والاجتماعية وتعاني مصر وغيرها من الدول العربية من آثار هذه الظاهرة ، حيث يقدر الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء أن المصريين المتميزين من العقول ، والكفاءات التي هاجرت إلى الخارج حوالي (٨٢٤. ألفاً) وفقا لآخر إحصاء صدر في عام ٢٠٠٣ م من بينهم ٢٥٠٠عالم – كما هو موضح في الإحصاء التالي :

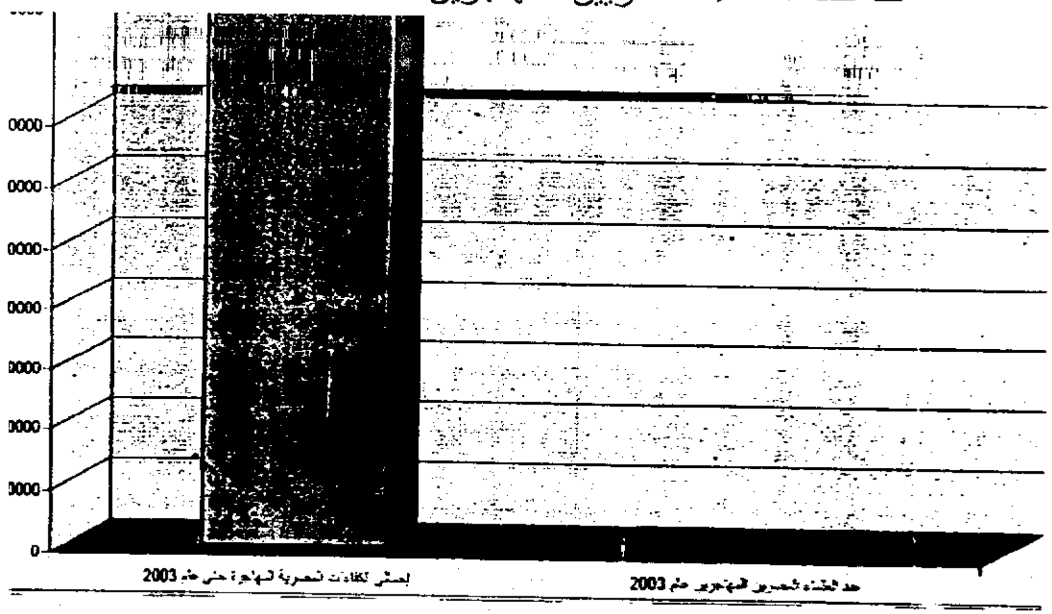
---

(١) د / إبراهيم قويدر – (مدير عام منظمة العمل العربية) (فقدان المواهب لصالح بلدان أخرى – وقف هجرة العقول العربية) شبكة المعلومات .
W.WW. google. COM
الموسوعة العربية .

عدد العلماء المصريين من الكفاءات المهاجرة للخارج حتى عام ٢٠٠٣ :

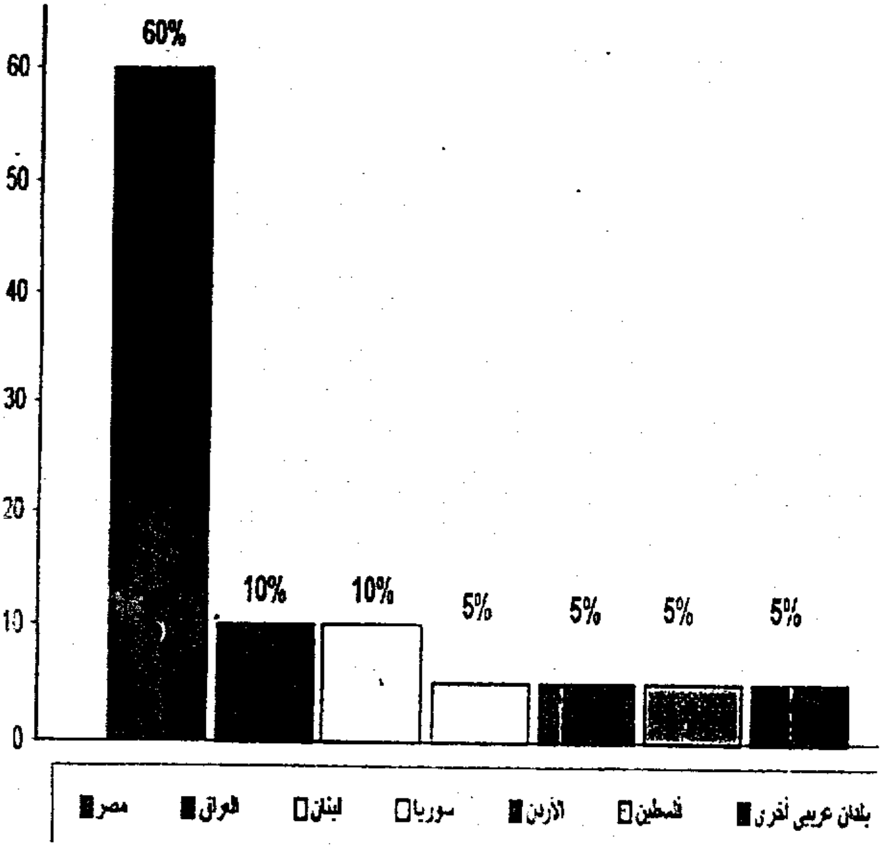
ـ عدد الكفاءات المصرية المهاجرة : ٨٢٤٠٠٠

ـ عدد العلماء المصريين المهاجرين : ٢٥٠٠



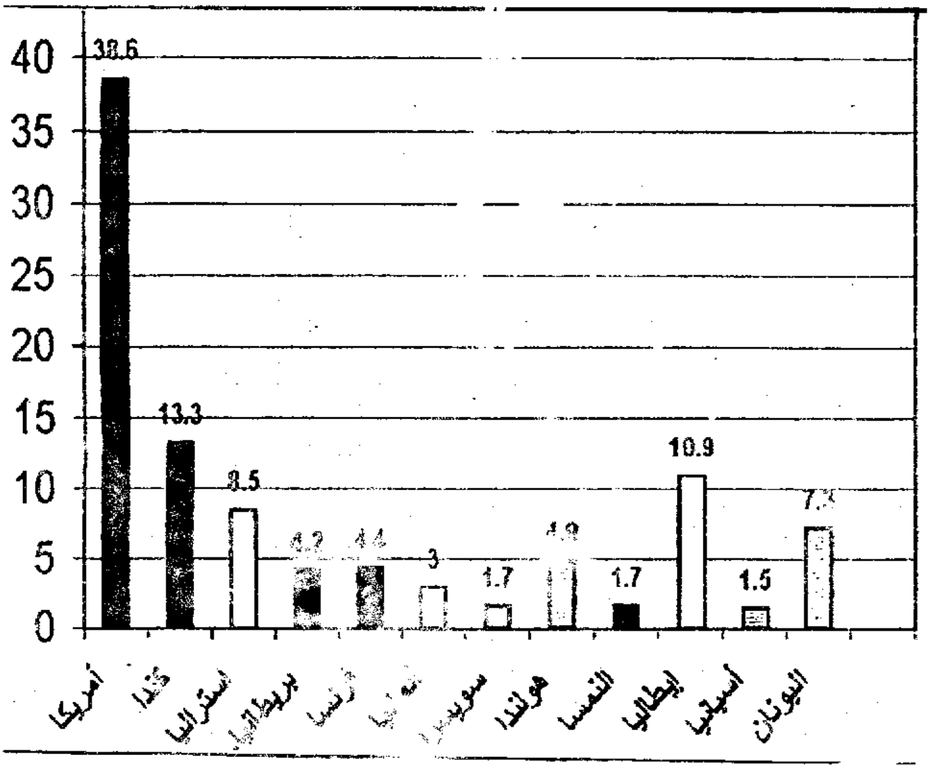
وتشير الاحصاءات إلى أن مصر قدمت نحو ٦٠% من العلماء العرب والمهندسين إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن مساهمة كل من العراق ولبنان بلغت ١٠% ، بينما كان نصيب كل من سوريا والأردن وفلسطين نحو ٥% .

نسبة توزيع العلماء العرب فى الولايات المتحدة الأمريكية حسب الجنسية فى عام ٢٠٠٣



ويلاحظ أنه فى حين تخسر الدول العربية وفى مقدمتها مصر من ظاهرة هجرة العقول ، فإن إسرائيل تستفيد من هذه الظاهرة بفعل الهجرة عالية التأهيل القادمة من شرق أوربا وروسيا وبعض الدول الغربية . وتعد مصر الخاسر الأكبر من هجرة الكفاءات فى الكم المطلق ففى أمريكا حوالى ٣١٨ ألف كفاءة مصرية ، وفى كندا ١١٠ ألف ، وفى أستراليا ٧٠ تألف ، وفى بريطانيا ٣٥ ألف ، وفى فرنسا ٣٦ ألف، وفى ألمانيا ٢٥ ألف ، وفى سويسرا ١٤ ألف ، وفى هولندا ٤٠ ألف ، وفى النمسا ١٤ ألف ، وفى إطاليا ٩٠ ألف ، وفى أسبانيا ١٢ ألف ، وفى اليونان ٦٠ ألف ، وتحظى الولايات المتحدة بالنصيب الأكبر من الكفاءات والعقول العربية بنسبة ٣٩% تليها كندا بنسبة ١٣,٣ % ثم أسبانيا ١,٥ % .

توزيع الكفاءات المصرية المتميزة (علماء) فى البلدان الأجنبية المستقلة لها حتى عام ٢٠٠٣



(التوزيع النسبى)

وتتضمن هذه الأرقام العديد من الفئات فى المهن وتخصصات مختلفة. وتتجلى الخطورة فى أن عددا من هؤلاء يعملون فى أهم التخصصات الحرجة والاستراتيجية مثل الجراحات الدقيقة ، والطب النووى ، والعلاج بالإشعاع ، والهندسة الالكترونية والميكروالكترونية ، والهندسة النووية ، وعلوم الفضاء ، والميكروبيولوجيا ، والهندسة الوراثية بل إنه حتى فى العلوم الإنسانية كاقتصاديات السوق والعلاقات الدولية ، هناك علماء متخصصون .

أن الطلاب فى الجامعات الغربية من أهم القنوات الرئيسية لهجرة الكفاءات العربية إلى البلدان الغربية لاسيما المبعوثين الذين ترسلهم الجامعات والمراكز البحثية ولايعود هؤلاء إلى بلدانهم الأصلية . وتعد مصر من أكثر الدول معاناة من هذه المشكلة حيث قدر عدد من تخلف من مبعوثيها فى العودة إليها منذ بداية الستينات وحتى مطلع عام ١٩٧٥م بحوالى ٩٤٠ مبعوثا بنسبة ١٢% من مجموع المبعوثين خلال تلك الفترة تركز معظمهم فى أمريكا ، وكندا، وفرنسا، وبريطانيا، وكانوا من المتخصصين فى الهندسة والطب والأبحاث الزراعية . وخلال الفترة من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٠ لم يعد إلى مصر ٧٠% من مبعوثيها فى الولايات المتحدة .

ويستطرد د / ابراهيم قويدر حديثه عن خطورة هجرة الكفاءات العلمية. بقوله "ولكى ندرك أبعاد المشكلة وخطورتها على واقع البلدان العربية ، ومستقبل عملية التنمية فيها – فإن من المفيد إيراد بعض الأرقام حولها – حيث تشير الإحصاءات المستندة إلى الدراسات التى قامت بها جامعة الدول العربية ، ومنظمة العمل العربية ، ومنظمة اليونسكو، وبعض المنظمات الدولية إلى الحقائق التالية :

١ – أن الوطن العربى يساهم فى ثلث هجرة الكفاءات من البلدان النامية .

٢ – أن ٥٠% من الأطباء و ٢٣ % من المهندسين و ١٥% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية يهاجرون إلى أوربا ، والولايات المتحدة، وكندا بوجه خاص .

٣ – أن ٥٤ % من الطلاب العرب الذين يدرسون فى الخارج لا يعودون إلى بلدانهم .

٤ – أن الاطباء العرب العاملون فى بريطانيا يشكلون حوالى ٣٤% من مجموع الأطباء العاملين فيها.

٥ – أن ثلاث دول غربية غنية هى الولايات المتحدة ، وكندا ، وبريطانيا ، تجتذب ٧٥% من المهاجرين العرب .

٦ – أن الخسائر التى منيت بها البلدان العربية من جراء هجرة العقول العربية بلغت ١١ مليار دولار فى عقد السبعينات .

ومن أراد المزيد من المعلومات حول أسباب الهجرة ، وآثارها على مستقبل الامة العربية ، ومقترحات حل هذه المشكلة فليرجع إلى شبكة المعلومات (١)

ومن أبرز العلماء الذين أفادوا الغرب بعلمهم وخبراتهم فى مجال العلوم ، والطب . وهم :

١ – د / مصطفى على مشرفه .
٢ – د / سميرة موسى .
٦ – د / مجدى يعقوب .
٤ – د / محمد مصطفى البرادعى .

---

(١) د / إبراهيم قويدر مرجع سابق

٣ – د / فاروق الباز .
٥ – د / مصطفى السيد .
٦ – د / أحمد زويل (١) .

والأمة التى تتولى عن ماضيها المجيد ، وتتولى عن حضارتها لا تستطيع السير فى ركب الحضارة الحديثة .

قال الله سبحانه وتعالى﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ محمد: ٣٨

ويروى فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى قائلاً : "عندما كنت فى زيارة للهند إلتقيت بالسيد / أبو الكلام أزاد ، وزير التربية والتعليم فى جمهورية الهند(٢) ، لاحظت فى مكتبه صور الحكام الانكليز – أثناء

---

(١) لمزيد من المعلومات عن هؤلاء انظر ملاحق أرقام : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ شبكة المعلومات. والموسوعة العربية : WWW. Goolle.com

(٢) فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى ، نشأ فى قرية "باقور" من أعمال" أسيوط" وهو علم من أعلام مصر ، ومن كبار علماء الأزهر الشريف، تقلد عدة مناصب هامة ، منها : أنه كان " نائب المرشد العام للإخوان المسلمين ؛ وعضواً فى مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م بمصر ، وعين وزيراً للأوقاف سنة ١٩٥٢م – ووزيراً للأوقاف فى الوزارة الاتحادية (بالجمهورية العربية المتحدة) سنة ١٩٥٨م أثناء وحدة مصر وسوريا ، إلى أن استقال سنة ١٩٥٩م ثم عين رئيساً لجامعة الأزهر من سنة ١٩٦٤م الى سنة ١٩٦٩م فمستشاراً برئاسة الجمهورية ، ورئيساً لجمعيات الشبان المسلمين العالمية ، ورئيساً لجمعيات الصداقة الصينية ؛ والهندية .. وغيرها، وتوفى الباقورى فى ٢٦/٨/١٩٨٥م الموافق يوم عيد الأضحى المبارك سنة ١٤٠٥هـ وله مؤلفات عديدة منها " أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية ، مع الصائمين ، قطوف من أدب النبوة ، فى عالم الصيد ، عالم الروح ، ذو القرنين وغيرها ، وله مقالات وأحاديث عديدة .

وكتب عنه المرحوم فضيلة الأستاذ الدكتور/سعد ظلام عميد كلية اللغة=

فترة الاحتلال – الى جوار صور زعماء الهند ، فسألت السيد الوزير : "لماذا تحتفظون بصور هؤلاء الحكام[١] ؟ فأجابنى قائلاً : إن نحن حططنا هذه الصور فإننا نكون قد أسقطنا حقبة هامة فى تاريخ أمتنا ، وأن وجودها يدعونا إلى تلافى أخطاءنا" [٢].

لذا فإننا نرى أن الهند التى تحررت من قيود الاستعمار مع أمتنا فى حقبة زمنية واحدة ، تقدمت وأصبحت فى مصاف الدول العظمى .

كما أن هناك دولاً أخرى لم يكن لها ماض عريق ، وبدأت نهضتها فى الستينات من القرن العشرين ، تقدمت وسارت فى ركب الحضارة الحديثة ، وأطلق عليها اسم النمور الأسيوية ، ومنها : "كوريا الجنوبية ، ماليزيا تايوان ، سنغافورة ... وغيرها . "

وعلى هذا فإن ما نريده اليوم هو أن نبدأ من حيث يقف سابقونا ، إذ هى سنة قيام الأمم والحضارات واللاحق فى ذلك يبنى على السابق ، فكما أخذ الغرب عنا ، نأخذ عنه ، ... !

=العربية بالقاهرة الأسبق كتاباً بعنوان "الباقورى شاعراً" ، كما كتب عنه الدكتور عبدالله درويش الداعية بوزارة الأوقاف رسالة ماجستير بعنوان "الشيخ أحمد حسن الباقورى ؛ وجهوده فى الدعوة إلى الله " من كلية أصول الدين – بالقاهرة .

وتقيم محافظة أسيوط إحتفالاً سنوياً تخليداً لذكراه ، كما تعقد الأمسيات والندوات بإسمه فى جميع بلدان المحافظة التى ينتمى إليها .

وأنه لمن دواعى الفخر والاعزاز أنى عملت معه فى صغرى سكرتيراً فترة رئاسته للجامعة ، ثم مديراً لمكتبة فى المناصب الأخرى ، واستمعت له، وتعلمت على يديه الكثير ، رحم الله أستاذى الجليل – دكتور طه عبد العزيز الخطيب .

(١) قد أبطلت الهند هذا التقليد بعد أن تقدمت .

(٢) فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى
ويسألونك عن ذى القرنين صـــ ٤٠ .

كيف يعود المسلمون إلى مجدهم ؟

(الداء والدواء)

عرفنا أن المسلمين إرتكزوا فى نهضتهم على الحضارات السابقة، من " فرعونية ، وإغريقية ، ويونانية ، وغيرها ... " واستطاعوا أن يواصلوا العطاء والتقدم الذى إبتداه من سبقهم .

وقدموا للإنسانية وللنهضة الأوربية بصفة خاصة أجل ما يمكن أن تفخر به .

ومما يؤكد أن الغرب يتخوفون من عودة المسلمين ما ذكره المستشرق الفرنسى "جاك رسلر" فى غضون خمسمائة عام ما بين (٧٠٠ – ١٢٠٠م) ساد الإسلام على العالم بقوة حضارته وعلمه ، وكان المقاتل العربى فى القرن الحادى عشر مزوداً بالقوس ، والقذافة قبل الغربيين بمائتى عام ، وكانت القذافة تستعمل لغرضين ، فهى لم تكن تسمح بإطلاق عدة أسهم – فحسب – بل كانت قادرة على قذفها لمسافة بعيدة ، ومنها من كان يطلق على منصات إطلاق ثقيلة ، ثم كان العرب أول من صنع البارود بعد ذلك بنصف قرن .

وقال المستشرق " رينان" : "مايدرينا أن يعود العقل العربى الإسلامى الولود إلى إبداع المدنية من جديد ؟ إن فترات الإزدهار والإنحدار مرت على جميع الأمم بما فيها أوربا المتعجرفة [١] .

لذا نجد أن الغرب يعمل على بسط نفوذه ، والسيطرة على الأمة العربية ، والقضاء على قوميتها ، ومحو هويتها ، وهى الأمة التى كرمها الله تعالى فى قوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران: ١١٠

---

(١) د/راغب السرجانى : مرجع سابق صـ ١٨١ .

وهذا الموضوع يحتاج إلى بحث مستقل ، ولله وللتاريخ نوجزه فيما يلي بـ :

لم يكتف الغرب بما أخذه من علوم المسلمين ، والإستفادة بخيرات علمائهم بل وحاول الإستيلاء على بلادهم ، ليستولى على ما تبقى من كنوزهم ، والسيطرة عليهم ، فكانت الحروب الصليبية [1] " ١٠٦٩ – ١٢٩١ م " على المشرق الإسلامى إذ أنها لم تحقق أية فائدة .

فبعد هزيمة الصليبيين بقيادة ملك فرنسا (لويس التاسع) جاء فى مذكراته : أنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب ، لأن دينهم يدعو إلى الجهاد والتضحية بالنفس ، ودحر الغزاة ، وأنه لا بد من سبيل آخر من شأنه أن يزيف هذا المفهوم عند المسلمين ، وأنه لا يتم إلا بتركيز واسع على الفكر الاسلامى ، حتى يستسلم المسلمون أمام القوى الغربية .

كما تضمنت وثيقة "لويس التاسع" الكثير من الخطط والمناهج التى تعتبر منطلقاً خطيرا للسيطرة الفكرية فى العالم الإسلامى [2] وكانت أهدافها واضحة ، وآثارها ملموسة فى العالم الإسلامى سواء سميت بالغزو الفكرى أو التغريب ، فإن الاتجاه واحد ، إذ التغريب فى أبسط

---

(1) سميت بالحملات الصليبية لأن المحاربين كانوا يضعون شارات الصليب على ثيابهم وأسلحتهم ، وجاءوا من أوربا الغربية الأراضى المقدسة ، وكانت نتائجها بين الشعوب تبادل العلاقات التجارية والثقافية وازدهار فن البناء ، وترقى الصناعة والتقدم فى الزراعة فى أوربا كما لأفادوا من علوم المسلمين والحملات الصليبية وهى :

الحملة الأولى (١٠٩٦ – ١٠٩٧) الحملة الثانية (١١٤٨ – ١١٤٩) الثالثة (١١٨٩ – ١١٩٢) الرابعة (١٢٠٢ – ١٢٠٤) الخامسة (١٢٧١ – ١٢٢١) السادسة (١٢٢٨ – ١٢٢٩) السابعة (١٢٤٨ – ١٢٥٤) الثامنة (١٢٧٠م) .

(2) انظر ص ١٦ ، ١٧ من الكتاب .

مفهوم له هو حمل المسلمين العرب على قبول ذهنية الغرب ، والخضوع لنفوذه ، وسلطانه ، وحتى يغدوا المسلمون مستغربين في تفكيرهم وحياتهم .

فالصراع الفكرى والحضارى لا يتم بسرعة ، ولا يكاد الذين يعايشونه يدركون آثاره ، وليس من السهل فصل الناس عما ألفوا من عادات وتقاليد ، وما توارثوا من عقائد .

وأن النفس إذا ألفت شيئاً لم تكد تتحول عنه إلا بصعوبة بالغة وبطء شديد ، وإن هذا التحول يحدث وتزداد قوة سلطانه على تكرار الممارسة ، ومع مرور الزمن ، وتعاقب الأجيال .

من أجل ذلك كان التغيير الفكرى والحضارى إذا تم عميق الجذور صعب العلاج ، بقدر ما هو بطئ التفاعل والتحول ، لأنه لا يهجم على النفس دفعة واحدة ، ولكن تشربه النفس آناً بعد آن ويسرى فيها سريان الغذاء فى الأبدان .

ولعل القارئ يمل من التحذير ، ويتساءل . هل نغلق على أنفسنا وننادى بالعزلة الإجتماعية فى عالم أصبح كالقرية الواحدة ؟!!

فنقول إننا لا ندعوا إلى الإنغلاق ، ولا نقر العزلة الإجتماعية فالمجتمع الإنسانى كله وحدة واحدة ، لا يستغنى بعضه عن كله .، ولا كله عن بعضه، بل لا بد من الالتقاء فى أى صورة من الصور ، ولا بأس من تفاعل الحضارات ، والاستفادة مما عند الغير مما هو خير .

أما المرفوض فهو التقليد الأعمى فى كل ما يقع تحت نظرنا مما لدى الآخرين وأكثر شرا ، ونتخلى عن مبادئنا وقيمنا ومثلنا العليا .

وقد حملت رياح التغريب هوسا تقليديا قد يراه بعض المتساهلين أنه يشكل خطراً ذى بال .

ولكن المتأمل يرى فى طياته (خلطاً) كاملاً لكل شئ فى حياتنا ، مما ينذر بذوبان شخصيتنا وفقدان هويتنا وقوميتنا ، وضياع ذاتنا ، فلا نحن من هؤلاء ولا من ألائك ، ولا يعجزنا الدليل على صحة ذلك ، إذ بنظرة واحدة إلى الشارع العربى ، يتضح لنا من خلالها مدى الخطورة فى الإنقياد لكل ما هو غريب عن بيئتنا ، وتقاليدنا ، وأعرافنا حتى فى أبسط الحياة المعيشية بل كأن الإنسان يجزم أن كل شئ أمامه أصبح صناعة غربية ، فى أسماء الأطعمة ، والمصانع ، وكل شئ أصبح يحمل أسماء غريبة ، بل زاد الطين بلة أنك تقرأ الإسم فتراه أجنبياً كتب بالعربية ، وأشد من ذلك المزج بين حروف العربية والأجنبية فى أسم واحد (الفرنكوأراب) كما يقولون ، و(عمر كو) ... (١)

ولتمام الفائدة لا بأس أن نقتطف شيئاً من مقال يصور لنا هذا الهوس التغريبى المتعمد . كتبه الأستاذ الدكتور / عبد العزيز مطر أستاذ علم اللغات بجامعة "(قطر) بعنوان " رياح التغريب تهب على الشارع المصرى" أوضح فيه مدى تأثير الحركة التغريبية ، والإنصياع لها دون ذكر أوربة ، وقبولها قبولاً مشوباً بالإنهيار .

حيث يقول : "رياح غربية عاتية تهب على الشارع المصرى ، فتهز القيم ، وتدفع سيلا جارفا من الكلمات والتراكيب الغربية على لغتنا القومية الأصيلة ، ولكن يبدوا أن الشارع المصرى منذ أن شاع فيه ما سمى بـ(الإنفتاح الاقتصادى) نسى نفسه ، وانساق وراء تيارالتغريب فى أسماء المحلات ، والمؤسسات ، فاختار كلمات غربية ، وظن أن كتابتها بحروف عربية يقربنا من ذوقنا العربى ، وتقريبنا فى الوقت

---

(١) د/ على محمد عبد الوهاب
بين الاسلام والغرب ط (١) صـ ١٧٤ . دار كابى للنشر .

نفسه من الشارع الغربى.

ولقد هُيئ لهذه الظاهرة الكثير من أسباب الإنتشار السريع حيث تراها بارزة على واجهات المحال ، ومكتوبة بالألوان المثيرة ، على حقائب التغليف . ولافتة للأنظار فى الإعلانات المضيئة على أعمدة الكهرباء ، ومتصدرة إعلانات الصحف كل صباح ، وإعلانات فى التلفاز كل مساء ، وهى أسباب للإنتشار تعجز عنها المجامع اللغوية العربية إذا أرادت أن تقاوم هذا السيل الجارف من هذه الألفاظ الداخلة والتراكيب الغربية " .

ثم أبرز صاحب المقال طائفة من نماذج هذه الكلمات قام بجمعها – كما قال – من شوارع القاهرة ، والأسكندرية ، ومن إعلانات الصحف ،والإذاعةالمرئية ، وغير المرئية ، فيقول " هذا بقال صغير على شلطئ الإسكندرية كتب على محل بقالة (ماى دير) وآخر كتب على محله (دارلنج) وشركة تختار أسمها (برفكت) وكواء ملابس كتب على محله (مكوجى داليا كايرو) .. ،(كايرو لاند) تركيب غريب وتغريب لاسم القاهرة ، وهذا حلاق يدعى أن أصابعه ذهبية فيسمى محله (جولد فنجرز) .

ولا يعجب أصحابنا الإنفتاحيون الفاظ (المنزل ، أو الدار أو العمارة ، أو البيت ، أو المركز) فاستهوتهم ألفاظ (هاوس وهوم وسنتر) وكأن لغتنا خلت من الألفاظ الدالة على هذه الألوان ، فلجأ عشاق التغريب إلى كلمات إنجليزية (وايت سنتر) ويطلقون على الشاطئ (الجين بيتش) و(بلو بيتش) ، (ستانلى بيتش) .

ثم يعقب الكاتب متعجباً من سريان هذه الروح لدى المسلمين وانبهارهم بكل ما هو غربى ، فيقول كانت هناك أسماء تتردد أيام

الاحتلال ثم ماتت ، ولكنها عادت تطل برأسها من جديد بفضل الموضة، من هذه الألفاظ التى عادت لتشويه لغتنا . (نيوكار) و (ميدوكار) و(موتورز) و(اكسبريس موتورز) .

وهكذا يعيد الينا عشاق الأجنبى كل بغيض ، كما تنتهى بعض أسماء الولايات المتحدة الأمريكية بكلمة (لاند) مثل (ميرى لاند) و (كايرو لاند) و(هابى لاند) وميلكى لاند) وهذا الاسم الأخير مع الأسف لشركة إسلامية إقتصادية تبيع اللبن – كما تستخدم محلات الأحذية تراكيب أجنبية تنتهى بكلمة (شوز) فيكتبون على المحال ، والصناديق ، والحقائب (كوين شوز) .

كما استعاروا من الأسماء (سانجام) و(أوسكار) و(موناليزا..) وكما أغرق الشارع المصرى بأسماء الدول الأجنبية ، ومن ذلك (سويسرا ، وفرنسا، بيكاديلى ، كابرى ، شانزليزيه، ومسخ الأسماء العربية (محمدكو ، وسيدكو ، وعمركو، وزيادكو) تغريب فمسخ كلمة محمد ، وسيد ، وعمر ، وزايد .... الخ .

ثم يوضح كاتب المقال : أن مؤسسات الدولة ، وقطاعها العام كانت تتحاشى الكلمات الأجنبية ، ولكنها إنجرفت أخيراً مع التيار فهذه (مجمعات النيل الإستهلاكية) تطور بعض محالها إلى ما اسمته بـ (سوبر ماركت) و(نيو ماركت) حتى محطات البنزين أنشئ ما يسمى (مينى ماركت) ولم تسلم قرى البدو فى المجتمعات العمرانية الجديدة فهذه قرية سياحية تسمى (ماربيلا) ... الخ .

ومدن جديدة تسمى "بالريف الأوربى والفرنسى والسويسرى وغيرها ، وبعض الأحياء فى المدن الجديدة تسمى بأسماء أجنبية كما ظهر فى الآونة الأخيرة ملابس للشباب من الجنسين تحمل شارات

وأسماء أجنبية .

ولكن ما سبب هذه الظاهرة فى استخدام الأسماء الأجنبية التى لا يمنع خطرها أنها كتبت بحروف عربية ؛

يجيب الكاتب على هذا التساؤل مبرراً لأهم أسبابه فيما يلى :

أ – ما إستقر فى أذهان رجال الأعمال ، والتجار المصريين أن رواد المحال التجارية تستهويهم أسماء المحال الأجنبية لأنه يتوقع أنها تبيع سلعاً أجنبية مستوردة ، وفى تقديره أنها الأحدث والأجود والأذوق .

ب – الموجة الدعائية التى صاحبت صدور قوانين الإستثمار لرأس المال الأجنبى فى مصر) مما أغرى أصحاب الشركات الإستثمارية باختيار أسماء توحى بأن لهم شركاء أجانب ، وأن منتجاتهم الصناعية لهذا ستكون ، أحدث ، وأزوق ، وأمتن .

جـ – التقليد الأعمى ، فإذا وجد أحدهم جاره أطلق على عمارته إسم (سنتر) أسرع إلى الخطاط ليكتب مثله ، وقد يكون تقليداً لأسماء محلات أو مؤسسات عامة فى البلاد الأوربية التى يزورها المصريون سائحين وغير سائحين .

د – إنشاء المناطق الحرة التى تحرص على إبراز صلاتها بالمؤسسات والشركات الأجنبية ، وتستخدم لغات غير العربية .

هـ – غياب الوعى اللغوى ، وضعف الإستمساك باللغة العربية بوصفها أهم العوامل القومية فى كل أمة ، ودعامة قومية للإنتماء للأمة العربية وسمة بارزة من سمات الشخصية العربية ، ومظهر من مظاهر الإعتزاز باللغة الأم [١] .

---

(١) د / على محمد عبد الوهاب مرجع سابق صـ ١٨٠ – ١٨٥ بتصرف .

و – أضف إلى ذلك المدارس والجامعات الأجنبية التى أنشئت فى أنحاء الوطن العربى [١] الهدف منها تعليم الطلاب لغة ، ومناهج ، وتقاليد وعادات بلدانها ، وتخرج جيل يدين بالولاء لهم .

إن التغير إلى الآخر لا يستغرق عقود بل يستغرق قرون من الزمان وقد رأينا أنه بدأ سنة ١٢٥٠م عندما وضع "لويس "التاسع" برنامجه الهدام .

ونخشى ما نخشاه أن يكون مصير لغتنا كاللغة التركية ، والملاوية فى أندونسيا وماليزيا ، التى كانت تكتب بالحروف العربية ، وتحولت إلى الحروف اللاتينية .

العوامل المساعدة لإنتشار هذه الظاهرة وموقفنا منها :

يقول صاحب المقال أن الدعوة إلى وقف هذه الظاهرة ما يلى :

أولاً : لأننا مصريون لا رعايا أجانب ، ولغتنا الرسمية العربية . كما نص دستور الدولة ، وكتابة هذه الأسماء بحروف عربية ، لا ينقلها من الأجنبية إلى العربية ففى (إيران) يكتبون الفارسية بالخط العربى ، وفى باكستان يكتبون (الأردية) بالحروف العربية ، وفى جنوب الفلبين يكتبون لغة (المورو) بحروف عربية ... والسبب لأننا نعيش على أرض ذات حضارة قديمة ولها شخصيتها التى تجعلها فى مصاف الدول المتحضرة هى شخصية (مصر) التى هى جزء من الأمة العربية صاحبة اللغة التى إختارها الله لتكون لغة القرآن الكريم .

ثانياً : اللجوء إلى اللغات الأخرى لإستعارة كلمات منها يوحى بالتبعية لأصحاب اللغة المنقولة منها ، وبالتخلف عن ملاحقة

---

(١) أنشئت الجامعات "الأمريكية ، والفرنسية ، والإنكليزية ، والكندية والألمانية وغيرها).

ركب التقدم .

ثم يسوق الكاتب إفتراضاً يبدو متوقعاً فيورد ما نصه : "قد يقول قائل . هل ننكر أننا نستعمل كثيراً جداً من الكلمات الأجنبية التى غزتنا فى عقر دارنا كالكمبيوتر ، والإلكترونيات ، والراديو ، والتلفزيون ، والريـ...ـر ، والهيلوكبتر ... الخ "

والإجابة : أننا لسنا من دعاة إغلاق لغتنا فهذا مالاسبيل اليه فى عصرنا الذى يشهد تطوراً مذهلاً فى وسائل الإتصال ، وجميع اللغات تأخذ وتعطى ، ومع ذلك فلا يزال هناك مقاومة للمصطلحات الأجنبية مهما كانت ضرورتها ... فالكمبيوتر فى (مصر) هو الحاسب الآلى ، وهو الحاسب فى دول (المغرب العربى) والتلفزيون هو (التلفاز) فى أكثر الدول العربية ...

إننا لا نمنع إستعمال كلمة (فيديو) لكن نمنع استعمال كلمة (فيديو كليب) بالتعريب الكامل ، فلا بأس إذا قلنا (نادى فيديو) ولكى أمنع كلمة سنتر إذ إلا ضرورة إليها وتغنى عنها كلمة (مركز) وإذا كان هناك عبارة وسط المدينة فلماذا يستعاض عنها بـ (ستى سنتر) .

وإذا كان هناك إجازة أن تعرب وندخل فى لغتنا العربية هذه الألفاظ الأجنبية ، فإن هذه الإجازة مقيدة بالضرورة كأن تكون الكلمة إسم علامة تجارية دولية (ناشيونال) ، أو وكالة أنباء (رويتر) أو إسم دخل اللغة العربية وأصبح معرباً مثل كلمة (ديباج) أو من الألفاظ التى لا يمكن ترجمتها مثل (الأنفلونزا) فربما لا تغنى عنها (نزلة برد) لكن الذى يحدد الضرورة فى استعمال هذه المسميات هوالمجامع اللغوية ومراكز البحث اللغوى والجامعات.

أما أن يترك الحبل على الغارب ، ويوكل أمر اللغة إلى مستثمر

أو صانع ، أو تاجر ، أو حلاق ، فهذا هو الخطر بعينه على قيمنا ولغتنا، وشخصيتنا . (١)

فى سبيل المواجهة :

يجب علينا أن نتنبه لهذه الأخطار ، ونعمل على استعادة مجدنا بالوسائل الأتية :

١ – الاهتمام بحفظ القرآن الكريم ، واتقان اللغة العربية . فعندما حفظ المسلمون الأوائل القرآن ، ودرسوا ما جاء فيه ، واهتدوا به تقدموا فى جميع العلوم ، كما رأينا فى علم الحساب والفلك ، والجغرافيا ، والطب ، والصيدلة .

ولما عرف علماء الغرب أن سر التقدم يكمن فى القرآن الكريم ولغته، فلا أقول قرءوه ، بل حفظوه ، وتعلموا اللغة العربية .

ويشهد بذلك المستشرق "بريفولت" بقوله ، لقد انبعثت الحضارة الاسلامية إنبعاثاً طبيعياً من القرآن الكريم ، وتميزت عن الحضارات البشرية المختلفة بطابع العدل ، والأخلاق ، والتوحيد ، كما إتسمت بالسماحة ، والإنسانية والإخوة العالمية .

ويقول " جورج"سارتون" المسلمون عباقرة الشرق لهم مأثرة عظمى على الإنسانية ، تتمثل فى أنهم تولوا كتابة أعظم الدراسات قيمة، وأكثرها أصالة وعمقاً ، مستخدمين اللغة العربية التى كانت بلا مراء لغة العلم للجنس البشرى " ويقول "جوان فرينيه" وإذا نحن تحرينا الدقة نجد أن أصول التطور العلمى عند المسلمين تبدأ مع اللغة العربية .

٢ – عدم تعيين الخريجين فى المؤسسات التى تشترط التفوق فى

---

(١) د / على محمد عبد الوهاب مرجع سابق صـ ١٨٥ – ١٨٦ .

لغة أجنبية ، إلا إذا كانوا متفوقين فى اللغة العربية .

٣ – إعادة تدريس الخط العربى فى مراحل التعليم الأولى .

٤ – يجب تعيين مقدمى برامج فى المحطات الإذاعية ، المرئية وغير المرئية يجيدون اللغة العربية ، خاصة فى وسائل الإعلام التى ظهرت فى الآونة الأخيرة ، تتحدث باللهجة العامية الدارجة فى الإقليم التابعة له ، مما يصعب فهمها فى أى إقليم عربى آخر ، كما يجب انتقاء البرامج الهادفة .

٥ – استصدار قانون للحد من هذه الظاهرة .

٦ – على السادة رؤساء الأحياء فى المدن العربية ، ومسئولى المحليات مراجعة لافتات المحال التجارية المكتوبة بالاسماء الأجنبية وعدم إصدار ترخيص إلا إذا كانت اللافتات مكتوبة باللغة العربية ، وفى المناطق السياحية ، تكتب باللغة العربية أولا ثم باللغة الأجنبية .

٧ ـــ ومن وسائل النهوض بالأمة مراعاة المسئولين ما يلى :

أ ـــ تنحية الوساطة والمجاملات فيما يضر بمصلحة المجتمع .

ب ـــ القيام بزيارات مفاجئة للهيئات والإدارات ، والمشاريع ، ومتابعة سير الأعمال ، دون إعلان مسبق ليطلعوا على حقيقة الأمور .

ج ـــ إنشاء (إدارة متابعة) تابعة لرئيس الجهاز الإدارى مهمتها تنفيذ التأشيرات فى مواعيد محددة ، ومتابعة سير العمل بكل دقة ، وتقديم تقارير صلاحية دون مجاملة .

د ـــ وضع لائحة جزاءات لكل مقصر فى عمل مهما كانت رتبته، وعزل المقصرين فى حق وطنهم ، ولو أدى الأمر إلى التضحية بجيل كامل حتى يتعود الناس على الاهتمام بأعمالهم .

٨ ـــ ولكى تستعيد الأمة العربية مجدها كما كانت قبل عصر النهضة الحديثة ، فإن أى دولة منها لا تستطيع مواكبة سير الحضارة

وحدها .

لذلك يجب تضافر جهود الدول العربية الثرية فى إنشاء جامعة للعلوم والبحث العلمى ، ويفضل أن تحمل اسم (بيت الحكمة) التى أنشأها الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) ومن بعده الخليفة المأمون وبذل علماؤها جهدا أفادت منه الحضارة الحديثة منذ النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى العاشر ميلادى حتى أوائل القرن العشرين ، كما يجب أن تكون هذه الجامعة تحت إشراف جامعة الدول العربية ، ومن أهم إختصاصاتها ما يلى :

١ ـ جذب النابهين من العلماء العرب وغيرهم .

٢ ـ ترجمة كل ما انتهى إليه علم الدول لمتقدمة إلى اللغة العربية للحفاظ على هوية الأمة ، كما فعل علماء العرب السابقون الذين عملو فى بيت الحكمة ، وحذا حذوهم علماء الغرب فى ترجمة علوم العرب إلى لغاتهم، كما تعلموا اللغة العربية التى كانت سببا فى إحياء عصر النهضة ، كما فعل محمد على باشا فى نهضته الثقافية فأرسل البعوث لتعلم علوم الغرب وترجمت ودرست باللغة العربية .

ونجد بعض الدول المتقدمة تهتم بالدراسة فى معاهدها بلغتها القومية مثل الصين والهند وروسيا وغيرها .

٣ ـ مواصلة الدراسة والبحث لسد حاجات جميع الدول العربية ، بما توصلوا إليه من أبحاث ودراسات ومدهم بالخبراء .

٤ ـ إنشاء قلاع صناعية لتصنيع ما توصلوا إليه من أبحاث فى جميع مجالات العلوم [(١)] .

---

(١) (أ) ومن المفارقات أنه جاء فى وكالات الأنباء بتاريخ ٢٠٠٩/٤/٢٠ أن دولة الهند إستوردت من إسرائيل قمرًا صناعياً لمراقبة حدودها مع باكتسان ، وأفغانستان ، كما ساتوردت دولة الصين أيضا من إسرائيل طائرات بدون طيار ـ وغير ذلك من الدول التى تتعامل مع أسرائيل .

(ب) لدينا قناة فضائية تسمى قناة (البحث العلمى) تقدم برامج ، ومقترحات من علماء أفاضل لهم آراء هامة فى مجال البحث العلمى ، ومواكبة النهضة الحديثة .

ولا ننكر دور المؤتمرات الإسلامية ، والتى تتضمن عن الكثير من التوصيات ، والتوجيهات ، والتى لوخرجت إلى حيز التنفيذ الفعلى لكانت بحق سدا منيعا فى مواجهة الخصوم ، وتحدياتهم .

ولابأس أن نسوق بعض هذه التوصيات التى اسفرت عنها بعض المؤتمر العالمى المنعقد فى المدينة المنورة فى الفترة من ٢٤ – ٢٩ صفر ١٣٩٧هـ الموافق ١٢ – ١٧ فبراير ١٩٧٧ م وقد حضره نحو ٥٠٠ مندوب يمثلون الدول والشعوب الإسلامية . ومؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ، وكذلك مؤتمرات الإغاثة ، ومؤتمرات رابطة العالم الإسلامى ومن التوصيات لهذه المؤتمرات ما يلى :

١ – تنقية مناهج التربية والتعليم ووضعها على أسس إسلامية والعناية بإعادة كتابة التاريخ الاسلامى .

٢ – الاهتمام الخاص بالمرأة من حيث التربية الدينية والثقافة الإسلامية .

٣ – العناية بالتوعية الدينية فى القوات المسلحة .

٤ – الاهتمام الإعلامى برد الشبهات والدعاوى الباطلة ضد الإسلام .

٥ – الإسهام فى تحصين القيم والأخلاق والبعد عن الإسفاف والخلاعة، والمجون ، والإقلال من البرامج الترفيهية .

٦ – العناية ببرامج وكتب ووسائل الاعلام للأطفال .

٧ – إن الثقافة الإسلامية العربية التى صنعت المسلمين فى القديم جاءت نتيجة الجهود المشتركة للعالم الإسلامى كله .

٨ – إن اللغة العربية لغة القرآن الكريم تتطور فى العصر الحديث وأن عشـرات الآلاف من المصطلحات فـى العلوم ، وألفـاظ

الحضارة قد دخلت المعجم العربى الحديث ، وان اللغة العربية أصبحت لغة رسمية فى هيئة الأمم المتحدة ، ومنظمتها .

٩ – إن تحقيق الوحدة الثقافية للمسلمين يعين على تحقيق وحدة فكرية وسياسية ، واجتماعية شاملة .

١٠ – المتابعة الدقيقة لتنفيذ مقررات المؤتمرات .

وهذه التوصيات وغيرها فى التنفيذ ، وليكن وراء ذلك حمية دينية، ونيات صادقة ، وإخلاص لله ورسوله [١] .

ومن أنسب ما نختم به هذه الدراسة ما قاله – الدكتور مصطفى مشرفه حيث قال :

_ فى بلدى جيل يحتاج إلى إعمل وا نواتك للاسلام ... لله .

_ لا يزدهر حاضر أمة تهمل دراسة ماضيها ، وأنه لا بد من الوقوف عند نوابغ الإسلام والعرب ، ونكون أدرى الناس بها .

_ إن الحكومه التى تهمل دراسة الذرة ، إنما تهمل الدفاع عن وطنها.

_ القيود القومية والفواصل الجنسية ما هى إلا حبال الشيطان يبث بها العداوة والبغضاء بين القلوب المتآلفة .

إن مبدأ تكافؤ الفرص هو المقياس الدقيق الذى يرتضيه ضميرى[٢]

وما قاله المستشرق . البروفسور " غريسيب " (مدير جامعة برلين) نصيحة بقوله : أيها المسلمون مادام كتابكم المقدس عنوان نهضتكم موجوداً بينكم ، وتعاليم نبيكم محفوظة عندكم ، فارجعوا إلى

---

(1) المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية الجزء الثانى صـــ ٧٤ وما بعدها – ذو القعدة ١٣٩٧ هـــ م اكتوبر ١٩٧٧م .
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة – ١٣٩٨هـــ – ١٩٧٨م .
د/ على محمد عبد الوهاب مرجع سابق صـــ ٣٤٢ – ٣٤٦ بتصرف .

(2) أنظر ملحق رقم (٣) د / مصطفى مشرفة .

الماضي لتؤسسوا المستقبل) (١)

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ سورة النور – ٥٥

وإن لا ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٥٤ .

---

(١) د/ راغب السرجاني – مرجع سبق صـ ١٨٢ .
عن حسان شمس باشا : هكذا كانو يوم كنا صـ ٩ .

الملاحـــق

ملحق (١)

آراء المستشرقين فى الحضارة العلمية الإسلامية

د / راغب السرجانى

العلم وبناء الأمم – مرجع سابق

من ص ١٧٩ – ١٩٠ – وماثلاه من مصادر

١ – شهادة العلامة بريفولت :

"ما من ناحية من نواحى الازدهار الأوربى إلا يمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه لنا من كشوف مدهشة ونظريات مبتكرة ، بل إنه مدين بوجوده ذاته .. ولم يكن بيكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلامى إلى أوربا المسيحية، وهو لم يمل قط من التصريح بأن اللغة العربية وعلوم العرب هما الطريق الوحيد لمعرفة الحق [١].. ولقد انبعثت الحضارة الاسلامية انبعاثا طبيعياً من القرآن ، وتميزت عن الحضارات البشرية المختلفة بطابع العدل والأخلاق والتوحيد ، كما اتسمت بالسماحة والإنسانية والأخوة العالمية"[٢]

٢ – شهادة الكاتب الفرنسى اناتول فرانس :

"أسوأ يوم فى التاريخ هو يوم معركة (بواتييه) عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة ، ألا ليت شارل مارتل قطعت يده ولم ينتصر على القائد الاسلامى عبد الرحمن الغافقى" .

---

(١) أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ٧١٠/٤ نقلاً عن رويلت بريفوليت : بناء الانسانية .

(٢) أنور الجندى : أخطر ما تواصى به المسلمون عبر الأجيال ص ١٦.

" وحين نتذكر كم كان العرب بدائيين فى جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافى الذى أحرزوه خلال مائتى سنة ، وعمق ذلك التقدم – أمرا يدعو إلى الذهول حقا ، ذلك علينا أن نتذكر أيضا أن النصرانية احتاجت إلى نحو من ألف وخمسمائة سنة لكى تنشئ ما يمكن أن يدعى حضارة مسيحية وفى الاسلام لم يول كل من العلم والدين ظهره للآخر ، بل كان الدين باعثا على العلم ، وإن الحضارة الغربية مدينة للحضارة الإسلامية بشئ كثير إلى درجة نعجز معها عن فهم الأولى إذا لم تتم معرفة الثانية " (١)

٣ – شهادة المسيو سيديو :

"لم يشهد المجتمع الاسلامى ما شهدته أوربا من تحجر العقل ، وشلل التفكير ، وجذب الروح ، ومحاربة العلم والعلماء ، ويذكر التاريخ أن اثنين وثلاثين ألف عالم قد أحرقوا أحياء ! ولا جدال فى أن تاريخ الاسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر ، بل كان المسلمون منفردين بالعلم فى تلك العصور المظلمة ، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة ، ومنح مخالفيه فى العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام"(٢)

"لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة فى الأندلس ! لماذا ؟ لأنها نشأت من أصول رفيعة ، ومن طباع شريفة ، نعم من رجال الإسلام . إن المدنية الإسلامية لم تتنكر يوما للحياة " (٣)

٤ ــ شهادة العلامة جورج سارتون :

---

(١) روم لاندو : الاسلام والعرب صـــ ٩،٢٤٦ .

(٢) حسان شمسى باشا : هكذا كانوا يوم كنا صـــ ٨٣ .

(٣) محمد الغزالى : ظلام الغرب صـــ ١٤٠.

" المسلمون عباقرة الشرق ، لهم مآثر عظمى على الانسانية ، تتمثل فى أنهم تولوا كتابة أعظم الدراسات قيمة ، وأكثرها أصالة وعمقا، مستخدمين اللغة العربية التى كانت بلا مراء لغة العلم للجنس البشرى"(١)

٥ – شهادة الدكتور لويجى رينالدى :

"لما شعرنا بالحاجة إلى دفع الجهل الذى كان يثقل كاهلنا ، تقدمنا إلى العرب ومددنا إليهم أيدينا؛لأنهم كانوا الاساتذة الوحيدين فى العالم"(٢)

٦ – شهادة جلين ليونارد :

" يجب لأن تكون حالة أوربا مع الاسلام بعيدة من كل هذه الاعتبارات الثقيلة ، وأن تكون حالة شكر أبدى بدلاً من نكران الجميل الممقوت والازدراء المهين ، فإن أوربا لم تعترف إلى يومنا هذا بإخلاص طوية وقلب سليم ، بالدين العظيم المدينة به للتربية الاسلامية والمدنية العربية ، فقد اعترفت به بفتور عدم اكتراث عندما كان أهلها غارقين فى بحار الهمجية والجهل فى العصور المظلمة فقط . ولقد وصلت المدنية الإسلامية عند العرب إلى أعلى مستوى من عظمة العمران والعلم ، فأحيت المجتمع الأوربى وحفظته من الانحطاط ، ولم نعترف – ونحن نرى أنفسنا فى أعلى قمة من التهذيب والمدينة – بأنه لولا التهذيب الإسلامى ، ومدنية العرب وعلمهم وعظمتهم فى مسائل المدنية ، وحسن نظام مدارسهم ، لكانت أوربا إلى اليوم غارقة فى ظلمات الجهل " (٣)

---

(١) حسان شمسى باشا : هكذا كانوا يوم كنا ص ٨ ، وانظر : أحمد على الملا : أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوربية ص ١١٠ – ١١١ .

(٢) أنور جندى : مقدمات العلوم والمناهج ١٤١/٧.

(٣) محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية القاهرة ١٩٦٨ صـ ٨٢.

٧ - شهادة كارادى فو :

"إن العرب ارتفعوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى فى الوقت الذى كان العالم المسيحى يناضل نضال المستميت للانعتاق (للتحرر) من أحابيل البربرية وأغلالها، ووصلوا إلى قمة نشاطهم (الذى استمر حتى القرن الخامس عشر) فى القرنين التاسع العاشر . ومن القرن الثانى عشر فصاعدا ، كانت مراكش الشرق الأوسط محط أنظار كل غربى يميل إلى العلم ويتذوقه ، وفى هذه الفترة شرع أبناء أوربا يترجمون آثار العرب ، كما كان العرب قد ترجموا آثار الإغريق " (١)

٨ - شهادة زيغرد هونكة :

"إن هذه القفزة السريعة المدهشة فى سلم الحضارة التى قفزها أبناء الصحراء والتى بدأت من اللاشئ لهى جديرة بالاعتبار فى تاريخ الكر الإنسانى . وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التى جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة الفريدة من نوعها ، لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها ، وتدعونا أن نقف متأملين : كيف حدث هذا ؟ إنه الإسلام الذى جعل من القبائل المتفككة شعباً عظيماً ، آخت بينه العقيدة، وبهذا الروح القوى الفتى شق العرب طريقهم بعزيمة قوية تحت قيادة حكيمة وضع أساسها الرسول بنفسه!! أوليس فى هذا الإيمان تفسير بذلك البعث الجديد ؟ ! والواقع أن روجر بيكون أو جاليليو أو دافشنى ليسواهم الذين أسسوا البحث العلمى .. إنما السباقون فى هذا المضمار كانوا من العرب الذين لجئوا فى بحثهم إلى العقل والملاحظة والتحقيق

---

(١) [illegible] رادى فو : الفلك والرياضيات بحث منشور بكتاب تراث الإسلام بإشراف "أرنولد" ص ٥٦٤ .

والبحث المستقيم ، لقد قدم المسلمون أثمن هدية هى طلريقة البحث العلمى الصحيح التى مهدت أمام الغرب طريقه فى حقيقة الأمر نصب تذكارى للعبقرية العربية .

وقد بقى الطب الغربى قروناً عديدةً نسخة ممسوخة عن الطب العربى، وعلى الرغم من احراق كتب ابن سينا فى مدينة بازل بحركة مسيحية عدائية، فإن كتب التراث العربى لم تختف من رفوف المكتبات وجيوب الأطباء، بل ظلت محفوظة يسرق منها السارقون ما أحبوا أن يسرقوا " (١)

٩ – شهادة بلنسر :

"لايكاد يوجد شئ من جهود المسلمين فى ميدان العلوم لم يتأثر به الغرب بطريق أو آخر".

"لم تكن علوم المسلمين بطبيعة الحال العامل الوحيد الذى أدى إلى إحياء العلم فى الغرب فتقاليد العلوم القديمة لم تتلاش تماماً وسط الفوضى التى عمت خلال عصر غزوات البرابرة لأوربا ، ومع ذلك فمن الصحيح أن علماء المسلمين أعطوا العلم الأوربى قوة دفع جديدة ، وأهم من ذلك أن هذا العلم الغربى قد اكتسب مادة أدت إلى إثرائه بدرجة لا نظير لها بفضل الترجمات العربية عن الإغريق ، وكذلك بفضل الإنتاج العلمى المستقل للمسلمين أنفسهم.." (٢)

١٠ – شهادة يبدى تومبسون :

"إن انتعاش العلم فى العالم نشأ بسبب تأثر شعوب غربى أوربا بالمعرفة العلمية العربية وبسبب الترجمة السريعة لمؤلفات المسلمين فى

---

(١) زينغرد هونكة : شمس الغرب ص ١٤٨ ، ٢٦٩ ، ٣١٥ ، ٣٥٤.

(٢) بلسنر : العلوم الطبيعية والطب دراسة منشورة بكتاب تراث الاسلام اشراف " شاخت " و " بوزورث" ص ٧٩ ، ٨٠ .

حقل العلوم ونقلها من العربية إلى اللاتينية لغة التعليم الدولية آنذاك .
ويقول فى مكان آخر : إن ولادة العلم فى الغرب ربما كانت أمجد قسم وأعظم إنجاز فى تاريخ المكتبات الإسلامية .(١)

١١ – شهادة أوسلر :

"إن ابن سينا مكن علماء الغرب من الشروع فى الثورة العلمية ، التى بدأت فعلاً فى القرن الثالث عشر وبلغت مرحلتها الأساسية فى القرن السابع عشر"(٢) .

١٢ – شهادة جوان فرينيه :

"وإذا نحن تحرينا الدقة نجد أن أصول التطور العلمى للرياضيات عند المسلمين تبدأ مع القرآن الكريم ، وذلك فيما ورد فى القرآن من الأحكام المعقدة فى تقسيم الميراث ، ويعد الخوارزمى أول رياضى مسلم ، ونحن مدينون له بمحاولة وضع تنظيم منهجى باللغة العربية لكل المعارف العلمية والتقويم ، كما ندين له باللفظ الاسبانى "غوارزمى" الذى يعنى الترقيم (أى الاعداد ومنازلها والصفر) ، وكان الجبر هو الميدان الثانى الذى عمل فيه الخورزمى ، وهو فرع من الرياضيات لم يكن حتى ذلك الوقت موضوعاً لأية دراسة منهجية جادة "(٣) .

١٣ – شهادة دوبير :

"ولما آلت الخلافة إلى المأمون سنة ٨١٣م صارت بغداد العاصمة

---

(١) Yhompsonj \J\W\The Medioval Library N>Y>Hafner Piblishing Company ١٩٦٧ P ٢٦٣

(٢) شوقى أبو خليل : دور الحضارة العربية الإسلامية فى النهضة الأوربية ص ١٢٣.

(٣) جوان فرنيه : الرياضيات والفلك والبصريات دراسة منشورة بكتاب تراث الاسلام إشراف "شاخت" و"بوزورث" القسم الثالث ص ١٦٨ .

العلمية العظمى فى الأرض ؛ فجمع الخليفة إليها كتباً لا تحصى ، وقرب إليه العلماء وبالغ فى الحفاوة بهم . وقد كانت جامعات المسلمين مفتوحة للطلبة الأوربين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم ، وكان ملوك أوربا وأمراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها" (١)

١٤ – شهادة نيكلسون :

" وما المكتشفات اليوم لتحسب شيئا مذكورا إزاء ما نحن مدينون به للرواد العرب الذين كانوا مشعلاً وضاء فى القرون الوسطى ولاسيما فى أوربا" (٢)

١٥– شهادة وايدملن :

"إن العرب أخذوا بعض النظريات عن اليونان وفهموها جيداً ، وطبقوها على حالات كثيرة ومختلفة ، ثم أنشؤا من ذلك نظريات جديدة وبحوث مبتكرة ، فهم بذلك قد أسدوا إلى العلم خدمات لا تقل عن الخدمات التى أتت من مجهودات نيوتن ، وفرادى ، ورنتجن " (٣)

١٦ – شهادة كمستون :

"إنه لو لم يكن للعرب غير هذا الفضل فى الانقاذ ، لكفاهم خدمة وفخراً. لقد رفع العرب شان الطب ولهم الفضل فى جعل الجراحة قسماً منفصلاً عنه ، وفى إنشاء المستشفيات والتفنن فيها ، وفى الترخيص الشرعى لممارسة الطب" (٤)

---

(١) قدرى كوقان : علماء العرب وماقدموه للحضارة ص ٦ .
(٢) جوان فرنيه : الرياضيات والفلك والبصريات دراسة منشورة بكتاب تراث الاسلام إشراف "شاخت" و"بوزرث" القسم الثالث ص ١٦٨ .
(٣) المصدر السابق نفسه ص ١٠ .
(٤) جوان فرنيه : الرياضيات والفلك والبصريات دراسة منشورة بكتاب تراث الاسلام إشراف "شاخت" و"بوزرث" القسم الثالث ص ١٦٨ .

١٧ – الباحث الألمانى الدكتور بيربورمان :

"إن إنجازات المسلمين فى العالم واضحة جلية فى كل شئون العلوم والثقافة ، بل إن إنجازاتهم فى مجال الطب لا يستطيع أحد إنكارها ، وهذا هو ما دفعنى إلى تأليف كتاب بعنوان (الطب الاسلامى فى القرون الوسطى)". وقال : " دفعنى لتأليف هذا الكتاب أننى كمسيحى ألمانى أدين بالفضل فى جزء من ثقافتى للثقافة الإسلامية ، وهذا ما أحاول توضيحه وتأكيده رغم محاولات البعض طمس الدور المهم الذى لعبه المسلمون فى أوربا والعالم ، ولقد عكفت أنا وزميلتى الباحثة " إيميلى سافاج سميث" على رصد إنجازات المسلمين فى مجال الطب فى القرون الوسطى" ، وأضاف : " إن المستشفيات الاسلامية كانت عبارة عن أوقاف إسلامية ، وكانت تقدم الخدمة الطبية لكل الناس بصرف النظر عن ديانتهم ، فهناك اليهود والمسيحيون والصابئة والزرادشتيون وغيرهم ، فكان المستشفى الإسلامى يعالج الجميع ، وهذا يعنى تسامحاً إسلامياً كبيراً مع غير المسلمين " .. وعن أهم الأمراض التى أسهم فيها المسلمون بعلم جديد، قال : " الكثير من الأمراض ، إلا أن أخطرها هو مرض المالنخوليا"(١)

١٨– شهادة ي . هل :

" من تراث العرب علم حساب المثلثات ونظريات الزوايا والتماس، ولم يكن استطاعة بيورباخ ورجيوناس وكوبرنيق أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه دون أساس من علوم العرب وما أسهموا به فى ميدان الرياضيات " ذلك أن العرب أحبا تدعيم نظرياتهم بنماذج عملية ، وساعدهم ذلك على وصول درجة الكمال فى علم الجوادسيا (مقياس

---

(١) حوار له بجريدة طوقان : علماء العرب وما قدموه للحضارة ص ١٢ .

سطح الأرض) الخاص بقياس ارتفاع الجبال واتساع الوديان ، أو حساب المسافة بين نقطتين تقعان على سطح منبسط ، واستخدم العرب هذا العلم أيضا فى تصميم مجارى المياه" (١)

١٩ – شهادة جوستاف ! فون جرونيباوم :

" كان الرازى يتناول الطب على صورة علمية حقا ، حتى لقد كتب رسالة موضوعها"أن مهرة الأطباء أنفسهم لا يستطيعون شفاء جميع الأمراض " (٢)

٢٠ – شهادة مايرهوف :

"كان تفوق المسلمين العلمى والمادى فى الشطر الأعظم من العصر الوسيط معترفا به غير منكور إلى حد بعيد . ثم يتناقص ذلك التفوق قرب نهاية ذلك العصر بدخول الشرق فى دور الركود الذهنى والاضمحلال الاقتصادى ، على حين تنهض أوروبا وتتماسك وقد نبهها إلى حد كبير اطراد إلمامها بالعلوم الإسلامية " (٣)

٢١ – شهادة تشرش :

" يعود الفضل للعرب إذ إنهم كانوا أول من أوجد حوانيت الصيدلية لبيع الأقرباذينات (٤)، ويغلب على الظن أنه لولا العرب لما وصل الطب الأوربى إلى ما هو عليه الآن" (٥)

---

(١) ى . هل : الحضارد العربية ص ١٠٨ ، تعريب الدكتور ابرهيم العدوى .

(٢) جوستاف إ . فون جرونبياوم : حضارة الإسلام ص ٤٢٤ ، ترجمة عبدالعزيز توفيق .

(٣) انظر تراث الإسلام ص ٣٥٣.

(٤) الأقراباذين : فارسية تعنى فن تركيب الدواء .

(٥) محمد الصادق عفيفى : تطور الفكر العلميى عند المسلمين ص ١٨٨.

٢٢ – شهادة ماكس فانتيجو :

" كل الشواهد تؤكد أن العلم الغربى مدين بوجوده إلى الحضارة العربية الإسلامية ، وأن المنهج العلمى الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة ، والذى أخذ به علماء أوروبا ، إنما كان نتاج اتصال العلماء الأوربيين بالعام الإسلامى عن طريق دولة العرب المسلمين فى الأندلس "(١)

٢٣ – شهادة الزعيم الهندى " جواهر لال نهرو " :-

" انهم – العرب – آباء العلم الحديث وإن بغداد تفوقت على كل العواصم الأوروبية فيما عدا قرطبة عاصمة إسبانيا العربية " الأندلس " وإنه كان لا بد من وجود ابن الهيثم الحسن والكندى وابن سيناء والخوارزمى والبيرونى لكى يظهر عند الغرب " جاليليو ، وكبلر، وكوبرنيق ، ونيوتن "(٢)

٢٤ – شهادة الأمير البريطانى تشارلز :

" إن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة التفاهم والعيش فى العالم ، الأمر الذى فقدته المسيحية ، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة ، والدين والعلم ، والعقل والمادة " (٣)

٢٥ – شهادة الموسوعة البريطانية :

" والحق أن كثيرا من أسماء الأدوية وكثيرا من مركباتها

---

(١) ماكس فانتيجو : فى كلمة له أمام مؤتمر الحضارة العربية الاسلامية المعقود فى جامعة برنستون فى واشنطن عام ١٩٥٣م . انظر شوقى أبو خليل ، هانى المبارك : دور الحضارة العربية والاسلامية فى النهضة الأوربية ص ١٢٥.

(٢) جواهر لال نهرو : لمحات من تاريخ العالم .

(٣) محاضرة "الاسلام والغرب " والتى ألقاها فى مركز أوكسفورد للدراسات الاسلامية عام ١٩٩٣م .

المعروفة حتى يومنا هذا ، وفى الحقيقة المبنى العام للصيدلة الحديثة – فيما عدا التعديلات الكيماوية الحديثة بطبيعة الحال – قد بدأه العرب "(١)

٢٦ – شهادة البروفسور هو كينج :

"إن الشغف بالعلم والتعطش الدائم لارتياد مناهله ، صفات امتاز بها العرب ، وهى التى تمد عبقريتهم بالقوة المبدعة الخلاقة ، يعشقون الحرية ويتطلعون دوما إلى المثل العليا بدون تعصب ولا تزمت ، ولسوف نرى عندما تزول اللفحة المحرقة التى أصابت العرب وخدرت نفوسهم ، أن عناصر الثروة العلمية الكامنة والشجاعة الفكرية الخابية سوف تنطلق من عقالها ، وتتحرر من أسرها ليعودوا سريعا لاحتلال مكانتهم على الأرض " ، ويضيف : " والدليل على قولى هو ما كان من انطلاق العرب فى نهضتهم الأولى وما تركوا للأجيال من تراث علمى، وآثار خالدة ، وهذا ما يزعمون فعله فى العصر الحاضر .." (٢)

٢٧ – شهادة الدكتور كمبل :

"إن أوربا كانت من عصر شارلمان حتى تأسيس مدرسة (سالرنو) الطبية (العرب هم الذين أسسوها)، قد انحدرت إلى أدنى دركات الانحطاط ، وإن شعوبها لم تكن لتقارن بالهمج الأسطوريين الذين عاشوا فى أدنى حدود المدنية ، وأنها كانت كلها حتى الحروب الصليبية (١٠٩٦ – ١٢٧٢م) باستثناء اسبانيا وايطاليا (وكانت تحت النفوذ العربى الإسلامى) فى حالة همجية تامة" (٣)

---

(١) الموسوعة البريطانية ٤٦/١٨ الطبعة الحادية عشرة .

(٢) استيفن هو كينج : مبادئ السياسة العالمية ص٢٥.

(٣) d.campbell:Arabian medicine vol ١/١٠٧،١٠٨

انظر :

A.d.white:a history of the warfare of science with Theology in chirstendom vol.١٢٣/١١.

٢٨ - شهادة اندرو ديكسون وايت :

"إن معاملة المجانين فى العالم الإسلامى منذ عصر عمر وما بعده كانت أرحم بكثير من الوضع الذى ساد، طول العالم المسيحى وعرضه مدة ثمانية عشر قرنا من الزمان ، كان المجانين يعتبرون خلالها ممسوسين تقمصتهم الشياطين ، ومن ثمة تعرضوا لأقصى ضروب التنكيل والوحشية ".

ويقول أيضاً : " إن الراهب جون هوارد لاحظ فى القرن الثامن عشر مالا حظه غيره من الرهبان والرحالة الأوربيين فى ذلك العصر وقبل ذلك ، أن المسلمين قد وفروا كثيراً من الوسائل الرحيمة للمجانين ، ولم ير هؤلاء لها مثيلاً فى أراضى أوربا المسيحية، الحق أن المسلمين هم الذين نبهوا إلى ضرورة بذل الجهود التى بدأت فى أوربا ابتداء من القرن الثامن عشر لمعاملة المجانين معاملة رحيمة "(١)

٢٩ - شهادة سميث :

"إن البيرونى كان أبرز أهل زمانه فى الرياضيات ، وإن الغربيين مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثرهم فى العلوم " (٢)

***

---

(١) انظر:
A.d.white:a history of the warfare of science with Theology in chirstendom vol.١٢٢/١١.

(٢) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٣١١، نقلا عن سميث : تاريخ الرياضيات الجزء الأول ..

ملحق (٢)

إينشتاين العرب د/ مصطفى مشرفه

فى بلدى جيل يحتاج إلى " إعمل لإخوانك للإسلام .. لله

لا يزدهر حاضر أمة تهمل دراسة ماضيها ، وأنه لابد من الوقوف عند نوابغ الإسلام والعرب ، ونكون أدرى الناس بها .. إن الحكومة التى تهمل دراسة الذرة إنما تهمل الدفاع عن وطنها .

القيود القومية والفواصل الجنسية ما هى إلا حبال الشيطان يبث بها العداوة والبغضاء بين القلوب المتآلفة .

إن مبدأ تكافؤ الفرص هو المقياس الدقيق الذى يرتضيه ضميرى .

من خلال هذه العبارات نستطيع أن نغوص فى شخصية هذا الراحل العظيم وأن نسبر أغوارها ولكن من نحن حتى نفعل ذلك ؟؟ إننا مهما اقتربنا فلن نكون إلا كالصياد الواقف على شاطئ المحيط وبيده شبكة صغيرة يصطاد بها بعض السمك .

لأن الإنسان العظيم كالمحيط الواسع فى أى ناحية تنظر اليه تراه يعانق السماء .

الدكتور على مصطفى مشرفة

بداية مشرقة

ولد الدكتور على مصطفى مشرفة فى دمياط فى ٢٢ صفر ١٣١٦ الموافق ١١ يوليه ١٨٩٨ ، وغرس فيه والده منذ نعومة اظافره الدين والخلق الكريم، وحبب إليه العلم والاطلاع فى شتى المجالات المختلفة.

فى عام ١٩١٤ التحق الدكتور على مشرفة بمدرسة المعلمين العليا ، التى اختارها حسب رغبته رغم مجموعة العالى فى الكالوريا .

واستمرت المسيرة .

وفى عام ١٩١٧ اختير لبعثة لأول مرة إلى إنجلترا بعد تخرجه التحق "على" بكلية نوتنجهام Nottingham ثم بكلية "الملك" بلندن ؛ حيث حصل منها على بكالوريوس علوم مع مرتبة الشرف فى عام ١٩٢٣، ثم حصل على شهادة (ph・D دكتوراه الفلسفة) من جامعة لندن فى أقصر مدة تسمح بها قوانين الجامعة ، وقد رجع إلى مصر بأمر من الوزارة ، وعين مدرساً بمدرسة المعلمين العليا .. إلا أنه وفى أول فرصة سنحت له ، سافر ثانية إلى إنجلترا ، وحصل على درجة دكتوراة العلوم D・Sc فكان بذلك أول مصرى يحصل عليها .

فى عام ١٩٢٥ م رجع الى مصر ، وعين استاذاً للرياضة التطبيقية بكلية العلوم بجامعة القاهرة ، ثم منح درجة " أستاذ" فى عام ١٩٢٦م رغم اعتراض قانون الجامعة على منح اللقب لمن هو أدنى من الثلاثين .

اعتمد الدكتور "على" عميداً للكلية فى عام ١٩٣٦م وانتخب للعمادة أربع مرات متتاليات ، كما انتخب فى ديسمبر ١٩٤٥ وكيلاً للجامعة .

أينشتاين العرب :

بدأت أبحاث الدكتور "على مشرفة" تأخذ مكانها فى الدوريات العلمية وعمره لم يتجاوز الخامسة والعشرين .

فى الجامعة الملكية بلندن King's College ، نشر له أول خمسة أبحاث حول النظرية الكمية التى نال من أجلها درجتى (ph・D دكتوراه الفلسفة) و(Dsc・ دكتوراة العلوم) .

كذلك كان الدكتور مشرفة أول من قام ببحوث علمية حول إيجاد

مقياس للفراغ ؛حيث كانت هندسة الفراغ المبنية على نظرية "أينشتين" تتعرض فقط لحركة الجسيم المتحرك فى مجال الجاذبية .

ولقد أضاف نظريات جديدة فى تفسير الإشعاع الصادر من الشمس؛ إلا أن نظرية الدكتور مشرفة أن المادة إشعاع فى أصلها ، ويمكن اعتبارها صورتين لشئ واحد يتحول إحداهما للآخر .. ولقد مهدت هذه النظرية العلم لبحول المواد الذرية إلى إشعاعات .

كان الكتور "على" أحد القلائل الذين عرفوا سر تفتت الذرة وأحد العلماء الذين حاربوا استخدامها فى الحرب .. بل كان أول من أضاف فكرة جديدة وهو ما حدث بعد وفاته بسنوات فى الولايات المتحدة وروسيا .

تقدر أبحاث الدكتور "على مشرفة" المتميزة فى نظريات الكم ، الذرة والإشعاع ، الميكانيكا والديناميكا بنحو خمسة عشر بحثاً .. وقد بلغت مسودات أبحاثه العلمية قبل وفاته إلى حوالى مائتين .. ولعل الدكتور كان ينوى جمعها ليحصل بها على جائزة نوبل فى العلوم الرياضية .

العالم الموسوعى

وعلى الرغم من انشغاله بأبحاثه العلمية إلا أنه كان حافظاً للشعر .. ملماً بقواعد اللغة العربية.. عضواً بالمجمع المصرى للثقافة العلمية باللغة العربية؛ حيث ترجم مباحث كثيرة إلى اللغة العربية .

كان يحرص على حضور المناقشات والمؤتمرات والمناظرات ، وله مناظرة شهيرة مع د/طه حسين حول: أيهما أنفع للمجتمع الآداب أم العلوم .

نشر للدكتور مشرفة ما يقرب من ثلاثين مقالاً منها : سياحة فى

فضاء العالمين – العلم والصوفية – اللغة العربية كأداة علمية – اصطدام حضارتين، – مقام الإنسان فى الكون ..

ولم يأنس أن العالم لا بد وأن يتفاعل مع مجتمعه ولا يكون منعزلاً عنهم .. فقد شارك الدكتور على فى مشاريع مصرية عديدة تشجيعاً للصناعلت الوطنية .. كما شارك فى إنشاء جماعة الطفولة المشردة .. كان أول من لقن من حوله دروساً فى آداب الحديث وإدارة الجلسات .

وكان الدكتور مشرفة ينظر إلى الأستاذية على أنها لا تقتصر على العلم فقط، وإنما توجب الاتصال بالحياة .. وأن الاستاذ يجب أن يكون ذا أثر فعال فى توجيه الرأى العام فى الأحداث الكبرى التى تمر بالبلاد، وأن يحافظ على حرية الرأى عند المواطنين .

مصر التى فى خاطره

أول من أكد للحكومة عن وجود (اليورانيوم) فى صحرائنا المصرية ولكن ليس هذا هو كل ما كان يعنى د مشرفة ، وإنما كان يعد الصحراء المصدر الثانى بعد النيل لثرواتنا القومية فكان يتساءل :

متى نعنى بهذه الثروة المعدنية المبعثرة فى صحارينا ؟

أم سنبقى على حالنا ؟

فيصدق قول الشاعر:

كالعيش فى البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

كان لمشرفة فى النيل أمل عظيم وكان يدعو الى انشاء معهد علمى تجريبى لدراسة طبيعات النيل على ان يزود هذا المعهد بالمعامل اللازمة لأجراء التجارب العلمية والعملية .

كان يدعو الى استغلال مساقط النيل فى استخراج الطاقة الكهربية

وكان يستحث الحكومة على السير قدماً فى مشروع كهربة خزان أسوان.

نادى بتكوين المجمع المصرى للثقافة العلمية ليكون على غرار " الجمعية البريطانية لتقدم العلوم" وكان د/ مشرفة واحداً من مؤسسى هذا المجمع وشارك بمحاضراته فى مؤتمره الأول فى مارس ١٩٣٠م

أول من أسس الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية فى السابع من فبراير ١٩٣٦م واختير عضواً فى المجمع العلمى المصرى وقام بتأسيس الأكاديمية المصرية للعلوم .

اختير الدكتور مشرفة عضواً فى "المجمع العلمى المصرى" من السادس من فبراير١٩٣٣م وكان اختياره عضواً فى شعبة الفيزياء والرياضة.

ظل الدكتور / مشرفة طيلة حياته بعيداً عن الأحزاب رغم العروض والرجاءات المتكررة والصداقات المتينة مع زعماء تلك الاحزاب وكان يقول :

" اننى لن ابقى فى اى حزب أكثر من يوم واحد ذلك انى لن اسكت عن خطأ وسيكون مصيرى الطرد من أول يوم" وكان الزعماء يعجبون لهذه المصداقية.

شارك فى تأسيس اتحاد الجامعة وعمل إرساء تقاليده وتنشيطه وظل عضوا بارزاً فى هذا الاتحاد إلى أن اختير وكيلاً للاتحاد ثم تولى الرئاسة فجعل د/ مشرفة من الاتحاد برلماناً يضم الصفوة من الأساتذة والطلاب وضرب لهم المثل فى طريقة عرض المشروعات ومناقشتها فكان يعطى مؤيدى الرأى الفرصة للإدلاء بآرائهم ثم يعطى المعارضة حقها ثم يستخلص الأصوات للصالح العام .

كان ينظم المناظرات فى رحاب الجامعة ويشارك فى هذه المناظرات وناظر الدكتور / طه حسين / أحمد امين والاستاذ/ محمد توفيق دياب والاستاذ / عباس العقاد .

تمتعت كلية العلوم فى عصره بشهرة عالمية واسعة حيث عنى عناية تامة بالبحث العلمى وإمكاناته ، فوفر كل الفرص المتاحة للباحثين الشباب لإتمام بحوثهم .. ووصل به الاهتمام إلى مراسلة اعضاء البعثات الخارجية .

سمح لأول مرة بدخول الطلبة العرب الكلية ؛ حيث كان يرى أن:

"القيود القومية والفواصل الجنسية ما هى إلا حبال الشيطان يبث بها العداوة والبغضاء بين القلوب المتآلفة "

أنشأ قسماً للغة الإنجليزية والترجمة بالكلية .. كما حول الدراسة فى الرياضة البحتية باللغة العربية .. صنف قاموساً لمفردات الكلمات العلمية من الإنجليزية إلى ا ربية .

أرسى قواعد جامعية راقية .. حافظ على استقلالها وأعطى للدرس حصانته وألغى الاستثناءات بكل صورها ، وكان يقول : "إن مبدأ تكافؤ الفرص هو المقياس الدقيق الذى يرتضيه ضميرى "

العلم للحياة :

" خير للكلية أن تخرج عالماً واحداً كاملاً .. من أن تخرج كثيرين أنصاف علماء "

هكذا كان يؤمن الدكتور مشرفة ، وكان كفاحه المتواصل من أجل خلق روح علمية خيرة ..

يقول فى سلسلة محاضراته الإذاعية (أحاديث العلماء)

" هذه العقلية تعوزنا اليوم فى معالجة كثير من أمورنا ، وإنما تكمن الصعوبة فى اكتسابها والدرج عليها .. فالعقلية العلمية تتميز بشيئين اساسيين: الخبرة المباشرة ، والتفكير المنطقى الصحيص "

ولقد نادى بأفكاره هذه فى كثير من مقالاته ومحاضراته فى الإذاعة : مثل : كيف يحل العالم مشكلة الفقر؟ – العلم والأخلاق – العلم والمال – العلم والاقتصاد – العلم والاجتماع .. وغيرها .

كان ينادى دائماً أن على العلماء تبسيط كل جديد للمواطن العادى حتى يكون على إحاطة بما يحدث من تطور علمى ..يوجه كلامه إلى العلماء قائلاً:

" ومن الأمور التى تؤخذ على العلماء أنهم لا يحسنون صناعة الكلام ؛ ذلك أنهم يتوخون عادة الدقة فى التعبير ويفضلون أن يبتعدوا عن طرائق البديع والبيان ، إلا أن العلوم إذا فهمت على حقيقتها ليست فى حاجة إلى ثوب من زخرف القول ليكسبها رونقاً ؛ فالعلوم لها سحرها ، وقصة العلم قصة رائعة تأخذ بمجتمع القلوب ؛ لأنها قصة واقعية حوادثها ليست من نسج الخيال .

فبسط الدكتور مشرفة كتباً عديدة منها : النظرية النسبية – الذرة والقنابل – نحن والعلم – العلم والحياة .

واهتم خاصة بمجال الذرة والإشعاع وكان يقول : " إن الحكومة التى تهمل دراسة الذرة إنما تهمل الدفاع عن وطنها"

ثقافتنا فى نظر الدكتور مشرفة هى الثقافة الأصلية التى لا بد أن تقف عندها طويلاً ويرى أنه لا يزدهر حاضر أمة تهمل دراسة ماضيها، وأنه لا بد من الوقوف عند نوابغ الإسلام والعرب ، ونكون أدرى الناس بها .. فساهم بذلك فى إحياء الكتب القديمة وإظهارها

للقارئ العربى مثل : كتاب الخوارزمى فى الجبر والفارابى فى الطب والحسن ابن الهيثم فى الرياضة .. وغيرها .

وآمن الدكتور مشرفة بان "العلم فى خدمة الإنسان دائماً وأن خير وسيله لاتقاء العدو أن تكون قادراً على رده بمثله .. فالمقدرة العلمية والفنية قد صارتا كل شئ .. ولو أن الألمان توصلوا إلى صنع القنبلة الذرية قبل الحلفاء لتغيرت نتيجة الحرب . وهو تنوير علمى للأمة يعتمد عليه المواطن المدنى والحربى معاً . "

وفاته الغامضة

توفى الدكتور "على مصطفى مشرفة " عن عمر يناهز ٥٢ عاماً .. يوم الأثنين السابع والعشرين من ربيع الأول الموافق ١٥ يناير ١٩٥٠ ..

وباتت ظروف وفاة د. مشرفة المفاجئة غامضة للغاية وكانت كل الظروف المحيطة به تشير إلى أنه مات مقتولاً إما على يد مندوب عن الملك فاروق أو على يد الصهيونية العالمية ولكل منها سببه قد يكون للنظام الملكى المصرى فى ذلك الوقت دور فى قتله خاصة إذا علمنا أن د. مشرفة قام بتشكيل جماعة تحت اسم "شباب مصر" كانت تضم عدداً كبيراً من المثقفين والعلماء والطلاب وكانت تهدف لإقصاء نظام فاروق الملكى وإعلان مصر جمهورية عربية مستقلة ، فذاع أمر هذه الجماعة السرية ووصلت اخبارها الى القصر الملكى ، مما يعطى للقصر مبرراً للتخلص من د. مصطفى ، اما الصهيونية العالمية فيكفى ان نقول ان نظرتهم للطالبة النابغة د. سميرة موسى لن تختلف عن نظرتهم لأستاذها الأكثر نبوغا د. مصطفى مشرفة ولعبت الصهيونية لعبتها القذرة وهى التصفية الجسدية وكانت نظرة واحدة تعنى التخلص منها ومن أمثالها .

قال عنه انشتاين تعليقاً على وفاته :

(انه لخسارة للعالم أجمع ..)

لقد قال الأستاذ الدكتور / أديب عبدالله : لقد كان لظهور مواهب مشرفة فى المجال العلمى أثر فى كفاحنا القومى ضد النفوذ الاجنبى فقد عجل ظهور مواهبه بتحرير الارادة المصرية فى مجال العلوم من السيطرة الاجنبية وكان الساسة فى كل بلد يتعلمون من مشرفة كيف يتم تحقيق الانتصار الضخم فى كل مجال من مجالات الحياة .

" وقدمت الاذاعة فى امريكا د/ مشرفة على انه واحد من سبعة علماء فى العالم يعرفون اسرار الذرة .

وقد اطلق اسم د/ مشرفة على شارع فى القاهرة وهو الشارع الذى كانت فيه الفيلا التى سكنها مشرفة حتى وفاته ، واطلق اسمه على الشارع فى الاسكندرية وعلى شارع فى دمياط كما اطلق اسمه على المدرج الأول فى كلية العلوم وعلى معمل قسم الرياضة بالكلية وعلى مدرسة اعدادية بمدينة دمياط .

وقبل أن نودع هذه الشخصية العظيمة نهمس فى أذن شبابنا الكرام
أملنا المرجو وغدنا المشرق ومستقبلنا المنير
هذه هى القدوات .. هذه هى المثل العليا .. لا التافهين والتافهات
فاستعينوا بالله وصيغوا لأمتكم مجدها
واصنعوا حياتها بالإيمان .. بالعلم .. بالعمل

ملحـــق (٣)

د/ سمـــيرة موســـى

(٣ مارس ١٩١٧ – ١٥ أغسطس ١٩٥١م) ولدت فى قرية سنبو الكبرى – مركز زفتى بمحافظة الغربية وهى أول عالمة ذرة مصرية ولقبت باسم ميس كورى الشرق ، وهى أول معيدة فى كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول ، جامعة القاهرة حاليا .

حياتها الجامعية

اختارت سميرة موسى كلية العلوم بجامعةِ القاهرة ، رغم أن مجموعها كان يؤهلها لدخول كلية الهندسة ، حينما كتنت أمنية أى فتاة فى ذلك الوقت هى الألتحاق بكلية الآداب وهناك لفتت نظر استاذها الدكتور على مشرفة ، أول مصرى يتولى عمادة كلية العلوم .

وقد تأثرت به تأثراً مباشراً ، ليس فقط من الناحية العلمية بل أيضاً بالجوانب الإجتماعية فى شخصيته .

تخرجها

حصلت سميرة موسى على بكالوريوس العلوم وكانت الأولى على دفعتها وعينت كأول معيدة بكلية العلوم وذلك بفضل جهود د. مصطفى مشرفة الذى دافع عن تعيينها بشدة وتجاهل احتجاجات الأساتذة الأجانب (الإنجليز).

اهتماماتها النووية

حصلت على شهادة الماجستير فى موضوع التواصل الحرارى للغازات .

سافرت في بعثة إلى بريطانيا درست فيها الإشعاع النووى ، وحصلت على الدكتوراة في الأشعة السينية وتأثيرها على المواد المختلفة .

معادلة هامة توصلت إليها

أنجزت الرسالة في سنتين وقضت السنة الثالثة في أبحاث متصلة وصلت من خلالها إلى معادلة هامة (لم تلق قبولاً من العالم الغربى آنذاك) تمكنت من تفتيت المعادن الرخيصة مثل النحاس ومن ثم صناعة القنبلة الذرية من مواد قد تكون في متناول الجميع ، ولكن لم تدون الكتب العلميةالعربية الأبحاث التى تو صلت إليها د. سميرة موسى .

اهتماماتها السياسية

وكانت تأمل أن يكون لمصر والوطن العربى مكان وسط هذا التقدم العلمي الكبير ، حيث كانت تؤمن بأن زيادة ملكية السلاح النووى يسهم في تحقيق السلام ، فإن أى دولة تتبنى فكرة السلام لا بد وأن تتحدث من موقف قوة فقد عاصرت ويلات الحرب وتجارب القنبلة الذرية التى دكت هيروشيما وناجازاكى في عام ١٩٤٥م ولفت انتباهها الاهتمام المبكر من اسرائيل بامتلاك أسلحة الدمار الشامل وسعيها للانفراد بالتسلح النووى في المنطقة .

قامت بتأسيس هيئة الطاقة الذرية بعد ثلاثة أشهر فقط من إعلان الدولة الإسرائيلية عام ~~١٩٨٤~~ ١٩٤٨

حرصت على إفاد البعثات للتخصص في علوم الذرة فكانت

دعواتها المتكررة إلى أهمية التسلح النووى ، ومجاراة هذا المد العلمى المتنامى .

نظمت مؤتمر الذرة من أجل السلام الذى استضافته كلية العلوم وشارك فيه عدد كبير من علماء العالم .

وقد توصلت فى إطار بحثها إلى معادلة لم تكن تلقى قبولاً عند العالم الغربى .

اهتماماتها الذرية فى المجال الطبى

كانت تأمل أن تسخر الذر لخير الانسان وتقتحم مجال العلاج الطبى حيث تقول "أمنيتى أن يكون علاج السرطان بالذرة مثل الاسبرين" كما كانت عضواً فى كثير من اللجان العلمية المتخصصة على رأسها "لجنة الطاقة والوقاية من القنبلة الذرية التى شكلتها وزارة الصحة المصرية .

مؤلفاتها

تأثرت د. سميرة بإسهامات المسلمين الأوائل كما تأثرت بأستاذها أيضاً. د. على مشرفة ولها مقالة عن الخوارزمى ودوره فى إنشاء علوم الجبر.

ولها عدة مقالات أخرى من بينها مقالة مبسطة عن الطاقة الذرية أثرها وطرق الوقاية منها شرحت فيها ماهية الذرة من حيث تاريخها وبنائها ، وتحدثت عن الانشطار النووى وآثاره المدمرة وخواص الاشعة وتأثيرها البيولوجى .

سفرها للخارج

سافرت سميرة موسى إلى بريطانيا ثم إلى أمريكا لتدرس فى جامعة "أوكردج" بولاية تنيسى الأمريكية ولم تنبهر ببريقها أو تنخدع بمغرياتها ففى خطاب إلى والدها قالت : " ليست هناك فى أمريكا عادات وتقاليد كتلك التى نعرفها فى مصر ، يبدءون كل شئ ارتجاليا .. فالأمريكان خليط من مختلف الشعوب ، وكثيرون منهم جاءوا إلى هنا لا يحملون شيئاً على الإطلاق فكانت تصرفاتهم فى الغالب كتصرف زائر غريب يسافر إلى بلد يعتقد أنه ليس هناك من سوف ينتقده لأنه غريب .

مصرعها

استجابت الدكتورة سميرة إلى دعوة للسفر إلى أمريكا فى عام ١٩٥١، أتيحت لها فرصة إجراء بحوث فى معامل جامعة سان لويس بولاية ميسورى الأمريكية ، تلقت عروضاً لكى تبقى فى أمريكا لكنها رفضت وقبل عودتها بأيام استجابت لدعوة لزيارة معامل نووية فى ضواحى كاليفورنيا فى ١٥ أغسطس ، وفى طريق كاليفورنيا الوعر المرتفع ظهرت سيارة نقل فجأة؛ لتصطدم بسيارتها بقوة وتلقى بها فى وادى عميق ، قفز سائق السيارة واختفى للأبد .

بداية الشك فى حقيقة مصرعها

أوضحت التحريات ان السائق كان يحمل أسماً مستعاراً وأن إدارة المفاعل لم تبعث بأحد لاصطحابها كانت تقول لوالدها فى رسالتها "لو كان فى مصر معمل مثل المعامل الموجودة هنا كنت استطيع ان اعمل حاجات كثيرة " ولقد علق محمد الزيات مستشار مصر الثقافى فى واشنطن وقتها ان كلمة (حاجات كثيرة) كانت تعنى بها أن فى قدرتها

اختراع جهاز لتفتيت المعادن الرخيصة إلى ذرات عن طريق التوصيل الحرارى للغازات ومن ثم تصنيع قنبلة ذرية رخيصة التكاليف .

وفى آخر رسالة لها كانت تقول " لقد استطعت أن أزور المعامل الذرية فى أمريكا وعندما أعود إلى مصر سأقدم لبلادى خدمات جليلة فى هذا الميدان وسأستطيع أن أخدم قضية السلام " ، حيث كانت تنوى إنشاء معمل خاص لها فى منطقة الهرم بمحافظة الجيزة .

ولا زالت الصحف تتناول قصتها وملفها الذى لم يغلق ، وأن كانت الدلائل تشير – طبقاً للمراقبين – أن الموساد ، المخابرات الإسرائيلية هى التى اغتالتها ، جزاء لمحاولتها نقل العلم النووى إلى مصر والعالم العربى فى تلك الفترة المبكرة .

ملحق (٤)

د/ مجــدى يعقــوب

السير مجدى حبيب يعقوب بوفيسور مصرى بريطانى وجراح قلب بارز ولد فى ١٦ نوفمبر ١٩٣٥ ببلبيس بمصر لعائلة قبطية أرثوذكسية تنحدر أصولها من أسيوط درس الطب بجامعة القاهرة وتعلم فى شيكاغو ثم انتقل إلى بريطانيا فى عام ١٩٦٢ ليعمل بمستشفى الصدر بلندن ثم أصبح أخصائى جراحات القلب والرئتين فى مستشفى هارفيلد (من ١٩٦٩ إلى ٢٠٠١) ومدير قسم الأبحاث العلمية والتعليم (منذ عام١٩٩٢) . عين استاذاً فى المعهد القومى للقلب والرئة فى عام ١٩٨٦م . واهتم بتطوير تقنيات جراحات نقل القلب منذ عام ١٩٦٧، فى عام ١٩٨٠ قام بعملية نقل قلب للمريض دريك موريس والذى أصبح أطول مريض نقل قلب أوربى على قيد الحياة حتى موته فى ٢٠٠٥ . من بين المشاهير الذين أجرى لهم عمليات كان الكوميدى البريطانى إريك مور كامب . ومنحته الملكة إليزابيث الثانية لقب فارس فى عام ١٩٩٢ ويطلق عليه فى الإعلام البريطانى لقب ملك القلوب .

حين أصبح عمره ٦٥ سنة اعتزل إجراء العمليات الجراحية واستمر كاستشارى ومُنظر لعمليات نقل الأعضاء .

فى عام ٢٠٠٦ قطع الدكتور مجدى يعقوب اعتزاله العمليات ليقود عملية معقدة تتطلب إزالة قلب مزروع فى مريضه بعد شفاء قلبها الطبيعى . حيث لم يزل القلب الطبيعى للطفلة المريضة خلال عملية الزرع السابقة والتى قام بها السير مجدى يعقوب .

حصل على زمالة كلية الجراحين الملكية بلندن وحصل على ألقاب ودرجات شرفية من كلاً من جامعة برونيل وجامعة كارديف وجامعة

نوفيورا وجامعة ميدلساكس (جامعات بريطانية) وكذلك من جامعة لوند بالسويد وله كراس شرفية فى جامعة لاهور بباكستان وجامعة سيينا بإيطاليا .

الدكتور يعقوب وجائزة فخر بريطانيا

ثم منحة جائزة فخر بريطانيا فى ١١ اكتوبر ٢٠٠٧ والمقدمة على الهواء مباشرة من قناة اى تى فى البريطانية بحضور رئيس الوزراء غوردن براون والجائزة تمنح للأشخاص الذين ساهموا بأشكال مختلفة من الشجاعة والعطاء أو ممن ساهم فى التنمية الاجتماعية والمحلية . ارتئت لجنة التحكيم ان الدكتور يعقوب قد انجز اكثر من ٢٠ الف عملية قلب فى بريطانيا وقد ساهم بعمل جمعية خيرية لمرضى القلب الاطفال فى دول العالم النامية ولا يزال يعمل فى مجال البحوث الطبية وعمره الان حوال ٧١ سنة لذا تم اختياره من لجنة التحكيم ليكون الشخصية البارزة فى الحفل وتم تسليمه الجائزة فى نهاية الحفل مع حضور عشرات الأشخاص الذين ساهم الدكتور يعقوب بإنقاذ حياتهم على خشبة المسرح .

إنجازه فى مجال زرع الخلايا

نجح فريق طبى مصرى بقيادة الدكتور مجدى يعقوب بتطوير صمام للقلق باستخدام الخلايا الجذعية . وكان الفريق الطبى قد نجح فى استخراج الخلايا الجذعية من العظام وزرعها وتطورها إلى أنسجة تحولت إلى صمامات للقلب ، وبوضع هذه الخلايا فى بيئة من الكولاجين تكونت إلى صمامات للقلب بلغ طولها ٣سم .

هو واحد من أشهر ستة جراحين للقلب فى العالم .. وثانى طبيب يقوم بزراعة قلب بعد كريستيان برنارد ، أجرى اكثر من ألفى عملية

زرع قلب خلال ربع قرن وهو من أشهر المصريين الذين يرفعون اسم مصر في اوربا.. تاريخه حافل .. وعبقريته غير مسبوقة فى تاريخ مصر .. وتواضعه جم للغاية ويتميز بالمسيحية الحقيقية ويعد من أشهر أطباء مصر الذين لم يسبق لهم الوصول إلى هذا المركز بين أطباء القلب في العالم ، أجرى ما يزيد على ألفى عملية قلب مفتوح فى العالم، كرمته الملكة إليزابيث ملكة بريطانيا ومنحته لقب سير ووسام فارس ، نال العديد من درجات الدكتوراة الفخرية من الجامعات الأجنبية ، بلغت أبحاثه العلمية أكثر من ٤٠٠ بحث متخصص فى طب وجراحة القلب والصدر .

أما عن تاريخه قالت جريدة الحياة الطبعة السعودية بتاريخ ٢٠٠٦/٢/١٤ "ولد د/ مجدى يعقوب عام ١٩٣٥ فى مدينة بلبيس فى محافظة الشرقية . حصل على بكالوريوس الطب من جامعة القاهرة مستشفى القصر العينى – ثم عمل جراحاً نائباً فى قسم عمليات الصدر فى المستشفى . ثم سافر الى المملكة المتحدة (انجلترا) عام ١٩٦٢م لاستكمال دراساته وحصل على درجة الزمالة الملكية في الجراحة من ثلاث جامعات بريطانية هى لندن وأدنبرة وغلاسكو . وعمل باحثاً فى جامعة شيكاغو الامريكية عام ١٩٦٩م . ولمهارته ترأس قسم جراحة القلب عام ١٩٧٢م ثم عمل استاذاً لجراحة القلب في مستشفى برومتون في لندن عام ١٩٨٦ ، ثم رئيساً لمؤسسة زراعة القلب فى بريطانيا عام ١٩٨٧ . وأخيراً استقر في عمله كاستاذ لجراحة القلب والصدر فى جامعة لندن . وبلغت ابحاثه العالمية أكثر من ٤٠٠ بحث متخصص فى جراحة القلب والصدر .

ملحق (٥)

مصطفى محمد البرادعى

مصطفى محمد البرادعى ، الرئيس الحالى للوكالة الدولية للطاقة الذرية ، والحاصل على جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٥ ولد فى حى الدقى فى محافظة الجيزة فى مصر يوم ١٧ يونيو ~~١٩٧٢~~ ١٩٢٧م . أبوه مصطفى البرادعى محام ونقيب سابق للمحامين . تخرج فى كلية الحقوق فى جامعة القاهرة عام ١٩٦٣ حاملاً درجة ليسانس الحقوق .

وهو متزوج من عايدة الكاشف ، وهى مدرسة فى رياض أطفال مدرسة فينا الدولية ، ولديها ولدان ؛ ابنتهما ليلى محامية وابنهما مصطفى مدير استوديو فى محطة تلفزة خاصة ، وهما يعيشان فى لندن.

بدأ حياته العملية موظفاً فى وزارة الخارجية المصرية فى قسم إدارة الهيئات عام ١٩٦٤م حيث مثل بلاده فى بعثتها الدائمة لدى الأمم المتحدة فى نيويورك وفى جنيف .

سافر إلى الولايات المتحدة للدراسة ، ونال عام ١٩٧٤ شهادة الدكتوراة فى القانون الدولى من كلية نيويورك الجامعية للحقوق .

عاد إلى مصر فى عام ١٩٧٤ حيث عمل مساعداً لوزير الخارجية إسماعيل فهمى ثم ترك الخدمة فى الخارجية المصرية ليصبح مسئولاً عن برنامج القانون الدولى فى معهد الامم المتحدة للتدريب والبحوث عام ١٩٨٠ م ، كما كان أستاذاً زائراً للقانون الدولى فى مدرسة قانون جامعة نيويورك بين عامى ١٩٨١ ، ١٩٨٧ م .

اكتسب خلال عمله كأستاذ وموظف كبير فى الأمم المتحدة خبرة بأعمال وصيرورات المنظمات الدولية خاصة فى مجال حفظ السلام

والتنمية الدولية، وحاضر في مجال القانون الدولي والمنظمات الدولية للحد من التسلح والاستخدامات السلمية للطاقة النووية ، ووضع مقالات وكتباً في تلك الموضوعات ، وهو عضو في منظمات مهنية عدة منها اتحاد القانون الدولي والجماعة الأمريكية للقانون الدولي .

التحق بالوكالة الدولية للطاقة الذرية في عام ١٩٨٤ حيث شغل مناصب رفيعة منها المستشار القانوني للوكالة ، ثم في عام ١٩٩٣ وصار مديراً عاماً مساعداً للعلاقات الخارجية ، حتى عين رئيساً للوكالة الدولية للطاقة الذرية في ١ ديسمبر ١٩٩٧ خلفاً للسويدي هانز بليكس وذلك بع أن حصل على ٣٣ صوتاً من إجمالي ٣٤ صوتاً في اقتراع سرى للهيئة التنفيذية للوكالة ، وأعيد اختياره رئيساً لفترة ثانية في سبتمبر ٢٠٠١ وهو حالياً في الفترة الثالثة لرئاسته التي بدأت في سبتمبر ٢٠٠٥ .

جائـزة نوبــل

في اكتوبر ٢٠٠٥ حصل محمد البرادعي على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومنحت للوكالة ومديرها اعترافا بالجهود المبذولة من جانبهما لاحتواء انتشار الأسلحة النووية .

وقال البرادعي :

" إن الفقر وما ينتج عنه من فقدان الامل يمثل "أرضاً خصبة" للجريمة المنظمة والحروب الاهلية والارهاب والتطرف "

تتألف الجائزة من شهادة وميدالية ذهبية و ١٠ملايين كرونا سويدية (حوالي ١,٣ مليون دولار) مناصفة بين الوكالة ومديرها . وقال البرادعي إن نصيبه من الجائزة التي سيحصل عليها ستذهب إلى دور

لرعاية الأيتام فى بلده مصر ، وان نصيب الوكالة سيستخدم فى إزالة الألغام الأرضية من الدول النامية .

جوائز أخرى

- جائزة فرانكلين د . روزفلت للحريات الأربع (٢٠٠٦) (Four Freedoms Award The Franklin D. Roosvelt)
- جائزة الطبق الذهبى من الأكاديمية الاوروامريكية للإنجاز (award from the American Academy of Achievement the Golden plate)
- جائزة جيت تراينور (Jit Trainor) من جامعة جورجتاون للتميز فى الأداء الدبلوماسى .
- جائزة أمن الإنسانية من مجلس العلاقات العامة الإسلامى (award from the Muslim public Affairs Council the Human Security)
- جائزة المؤسسة من مجلس كرانس مونتانا (Crans Montana Forum the prix de la Fondation award from the)
- جائزة الأثير ، أعلى وسام وطنى جزائرى .
- جائزة الحمامة الذهبية للسلام من الرئيس الإيطالى .
- حامى شرفى لجامعة الفلسفة فى كلية الثالوث فى دبلن (٢٠٠٦)، مماثلاً لأخرين ممن نالوا جائزة نوبل للسلام مثل دز موند توتو وجون هيوم .
- وشاح النيل من الطبقة العليا ، أعلى تكريم مدنى من الحكومةالمصرية .
- جائزة الاسهام المتميز فى الاستخدامات السلمية للتقنية النووية من الاتحاد النووى العالمى (سبتمبر ٢٠٠٧) .

- جائزة موستار ٢٠٠٧ للسلام العالمى من مركز موستار للسلام والتعاون بين الإثنيات .

١٠. نال البرادعى شهادات دكتوراة فخرية من جامعات نيويورك ، وماريلاند ، والجامعة الأمريكية فى القاهرة ، والجامعة المتوسطية الحرة فى بارى ، وجامعة سوكا فى اليابان ، وجامعة تسنغوا فى بكين ومعهد بوخارست للتقانة ، والجامعة التقنية فى مدريد ، وجامعة كونكو فى سيول ، وجامعة فلورنسا ، وجامعة بوينوس ايرس ، وجامعة كويو الوطنية فى الأرجنتين وجامعة أمهرست .

جدل حوله

بسبب اضطلاع الوكالة الدولية للطاقة النووية بدور فى التفتيش على الأسلحة النوويه وبسبب السياسة الأمريكية الساعية إلى تحديد امتلاك دول لتلك التقنيات ، فقد ثار حول محمد البرادعى جدل كانت السياسة الخارجية الامريكية محركة الاساسى ، خصوصاً فيما يتعلق بقضيتى أسلحة العراق قبل غزوها عام ٢٠٠٣ والبرنامج النووى الايرانى .

أسلحة العراق

عارضت الولايات المتحدة تعيين محمد البرادعى لمدة ثالثة كرئيس للوكالة الدولية ، كما أثارت صحيفة واشنطن بوست جدلا حول ما أعلنته من قيام الولايات المتحدة بالتنصت على مكالماته على أمل العثور على ما يساعدها على إزاحته عن رئاسة الوكالة .

وبالرغم من عدم وجود مترشحين منافسين على رئاسة الوكالة فى ذلك الوقت ، حاولت الولايات المتحدة اقناع رئيس الوزراء الاسترالى الكسندر كونر بالترشيح الا انه رفض فتأجل قرار مجلس محافظ

الوكالة حتى نهاية مايو ٢٠٠٥ ، عندما أسقطت الولايات المتحدة من اعتراضاتها على رئاسته فى ٩ يونيو بعد مقابلة بينه وبين كوندوليسا رايس وهو ما فتح الطريق أمام مجلس محافظتى الوكالة للموافقة عليه فى ١٣ يونيو.

كان البرادعى قد أثار منذ ٢٠٠٣ تساؤلات حول دوافع ورشد الإدارة الأمريكية فى دعواها للحرب على العراق بدعوى حيازتها لأسلحة دمار شامل ، حيث كان قد ترأس هو وهانز بلكس فرق مفتشى الأمم المتحدة فى العراق ، حيث صرح فى بيانه امام مجلس الامن فى ٢٧ يناير ٢٠٠٣ ، قبيل غزو الولايات المتحدة العراق ، " إن فريق الوكالة الدولية للطاقة الذرية لم يعثر حتى الآن على أى أنشطة نووية مشبوهة فى العراق ، " كما لم يأت تقرير هانز بلكس رئيس فرق التفتيش على لأسلحة الدمـــار الشامل بما يفييد وجود أيا منها فى العراق ،وإن كان لا ينفى وجود برامج ومواد بهدف انتاج اسلحة بيولوجية وكيميائية سابقاً .

قبل عشرة أيام من موعد انتخابات الرئاسة الأمريكية فى ٢٠٠٤ أثار البرادعى تساؤلات حول مآل ٣٧٧ طنا من المتفجرات التى اختفت فى العراق بعد سيطرة الجيش الأمريكى عليها ، فيما شكل مفاجأة أكتوبر فى السياسة الأمريكية لتلك الانتخابات .

البرنامج النووى الايرانى

اتهمت الولايات المتحدة البرادعى باتخاذ موقف متخاذل فيما يتعلق بمنـ ـ البرنامج النووى الإيرانى ، إلا أن حيثيات فوزه بجائزة نوبل السلام " لجهوده الحثيثة فى الحول دون استخدام التقنيات النووية فى الأغراض العسكرية وفى أن تستخدم فى الأغراض السلمية بأمن وأسلم الوسائل الممكنة " فند تلك المزاعم .

ملحق (٦)

د. مصطفى السيد

أستاذ الكيمياء بجامعة جورجيا الامريكية للتكنولوجيا

تخرج الدكتور مصطفى السيد من كلية العلوم جامعة عين شمس عام ١٩٥٣م . وكان ترتيبه الأول على الدفعة الأولى ، وقد سافر إلى أمريكا في منحة دراسية واستقر فيها حتى اليوم ، ولكن صلته لم تنقطع أبداً بوطنه مصر.

انتخب عضواً بالأكاديمية الوطنية للعلوم بالولايات المتحدة عام ١٩٨٠م، وتولى على مدى ٢٤ عاماً رئاسة تحرير "مجلة علوم الكيمياء الطبيعية" وهى من أهم المجلات العلمية في العالم .

كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم عام ١٩٩٠م والعديد من الجوائز الأكاديمية العلمية من مؤسسات العلوم الأمريكية المختلفة ، ومنح زمالة أكاديمية علوم وفنون السينما الأمريكية ، وعضوية الجمعية الأمريكية لعلوم الطبيعة ، والجمعية الأمريكية لتقدم العلوم ، وأكاديمية العالم الثالث للعلوم .

تركزت أبحاث الدكتور مصطفى السيد حول استخدام تقنية النانو تكنولوجي في مجال الطب ، وبخاصة في أبحاث السرطان ، وبمشاركة نجله الدكتور أيمن استاذ جراحة العنق والرأس بمركز السرطان بجامعة كاليوفورنيا في سان فرانسيسكو ، فقد توصلا الى أن جزيئات الذهب النانوية تساعد في اكتشاف الخلايا السرطانية وعند تسخينها يمكنها تدمير الخلايا السرطانية .

من المتوقع أن يتم تطبيق اختراعه فى علاج السرطان برقائق الذهب النانونية فى خلال سبع سنوات من الآن ، بعد أن نجح بنسبة ١٠٠% فى علاج الحيوانات المصابة بالسرطانات البشرية باستخدام مركبات الذهب النانومترية .

حصل العالم المصرى الدكتور مصطفى السيد أرفع وسام علمى أمريكى فى مجال الكيمياء لعام ٢٠٠٧ ، ، وتسلمه فى حفل أقيم فى البيت الأبيض فى شهر سبتمبر ٢٠٠٨ ، وتسلم الميدالية الوطنية للعلوم والتكنولوجيا والابتكار ، وتم تكريمه ضمن عدد من العلماء قدموا نحو ١٠٠ ابتكار سجل أسمائهم وأثروا الفكر العلمى ، ويرأسون مؤسسات علمية وأقسام فى أفضل جامعات أمريكا .

ملحق (٧)

فـــاروق البـــاز

مشواره العلمى :

حصل على شهادة البكالوريوس (كيمياء – جيولوجيا) فى عام ١٩٥٨م من جامعة عين شمس بمصر .

نال شهادة الماجستير فى الجيولوجيا عام ١٩٦١م من معهد علم المعادن بميسورى الأمريكية .

حصل على عضوية جمعية سيجما كاى (Sigma Xi) العلمية .

نال شهادة الدكتوراة فى عام ١٩٦٤م وتخصص فى الجيولوجيا الاقتصادية .

المناصب العلمية

يشغل فاروق الباز منصب مدير مركز تطبيقات الإستشعار عن بعد فى جامعة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية .

كان قبل ذلك نائباً لرئيس العلم والتكنولوجيا فى مؤسسة آيتك لأجهزة التصوير بمدينة لكسنجتون ، بولاية ماساتشوستس .

منذ عام ١٩٧٣ الى ان التحق مؤسسة آيتك عام ١٩٨٢ ، قام الدكتور الباز بتأسيس وإدارة مركز دراسات الأرض والكواكب فى المتحف الوطنى للجو والفضاء بمعهد سميثونيان بواشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية . وعمل بالاضافة إلى ذلك مستشار علمى للرئيس السادات ما بين ١٩٧٨ – ١٩٨١ م .

منذ عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٢ عمل الدكتور فاروق الباز بمعامل بل بواشنطن كمشرف على التخطيط للدراسات القمرية واستكشاف سطح القمر .

وفى خلال هذه السنوات ، اشترك فى تقييم برنامج الوكالة الوطنية للطيران والفضاء "ناسا" للرحلات المدارية للقمر . بالاضافة إلى عضويته فى المجموعات العلمية التدريبية لإعداد مهمات رحلات ابوللو على سطح القمر.

شغل منصب سكرتير لجنة اختيار مواقع هبوط سفن برنامج ابوللو على سطح القمر .

كما كان رئيساً لفريق تدريبات رواد الفضاء فى العلوم عامة وتصوير القمر خاصة .

شغل منصب رئيس أبحاث بالمراقبات الأرضية من الفضاء والتصوير وذلك فى مشروع الرحلة الفضائية المشتركة ابوللو – سويوز فى عام ١٩٧٥ م

ملحق (٨)

أحمـــــد زويـــــل

من وكيبيديا ، الموسوعة الحرة

أذهب إلى : تصفح ، ابحث

ملف : Zewail·jpg Alhked

أحمد حسن زويل :

احمد حسن زويل عالم كيميائى مصرى امريكى حاصل على جائزة نوبل فى الكيمياء لعام ١٩٩٩ ولد فى دمنهور فى جمهورية مصر العربية وذلك فى ٢٦ فبراير عام ١٩٤٦م .

انجازاته :

من ابرز إنجازات العالم المصرى أحمد زويل هو اختراعه لكاميرا تعمل باستخدام الليزر لها القدرة على رصد حركة الجزيئات عند نشوئها وعند التحام بعضها ببعض . وأيضاً له الفضل فى اختراع الفيمتو ثانية والتى ساهمت فى العديد من التكنولوجيا الحديثة . وقد ساعدت على التعرف على الكثير من الأمراض بسرعة كما أن له العديد من براءات الاختراع للعديد من الأجهزة العلمية . ومن أهم منجزاته هو أنه أصبح عضواً فى الاكاديمية الأمريكية للعلوم فى سن الثلاثة والأربعين ، علماً أن هذه الأكاديمية لا تقبل أى عالماً بل تقبل أذكى العلماء وشرط أن يتخطى عمرهم الخامسة والخمسين عاماً .

إقرأ أيضاً : عالم الفيمتو : د. احمد زويل

الجوائز التى حصل عليها

- جائزة الكسندر فون همبولدت من ألمانيا الغربية وهى أكبر جائزة علمية هناك.
- جائزة باك وتينى من نيورك .
- جائزة الملك فيصل فى العلوم والفيزياء عام ١٩٨٩م .
- جائزة فى الكيمياء عام ١٩٩٣م.
- جائزة بنجامين فرانكلين عام ١٩٩٨م على عمله فى دراسة التفاعل الكيميائى فى زمن متناهى الصغر (Femto) يسمى femtochemistry .
- جائزة نوبل للكمياء لإنجازته فى نفس المجال عام ١٩٩٩ . نص قرار الاكاديمية.

Chemistry to the Royal Swedish Academy of Sciences has awarded the ١٩٩٩ Nobel Prize in Pasadena,USA, Professor Ahmed H.Zewail, California Instiute of Technologe

- جائزة الأمريكية (أهداها الرئيس بيل كلينتون).
- انتخبته الأكاديمية اليابوية ، ليصبح عضوا بها ويحصل على وسامها الذهبى عام ٢٠٠٠م .
- جائزة وزارة الطاقة الأمريكية السنوية فى الكيمياء .
- جائزة "كارس" من جامعة زيورخ ، فى الكيمياء والطبيعة ، وهى أكبر جائزة علمية سويسرية.
- انتخب بالاجماع عضواً بالاكاديمية الأمريكية للعلوم .
- وضع اسمه فى قائمة الشرف فى الولايات المتحدة الأمريكية .
- كرمته مصر ، وحصل على عدة جوائز مصرية منها قلادة

النيل العظمى وهى أعلى وسام مصرى ، وأطلق اسمه على بعض الشوارع والميادين كان تكريم مصر له قبل حصوله على جائزة نوبل.

كتب الدكتور زويل

يوجد كتابان معروفان للمؤلف وهما :

١ – كتاب رحلة عبر الزمان .. الطريق إلى نوبل

٢ – كتاب عصر العلم : وقد تم اصداره فى العام ٢٠٠٥ وخلال عام وتم طباعة ٥ طبعات منه ، حيث نفذت الطبعة الأولى منه خلال ساعتين من اصداره .

حاليا

يعيش البروفيسور زويل حالياً فى سان مارينو بولاية كاليفورنيا ، وهو استاذ كرسى لينوس باولينج فى الكيمياء الفيزيائية وأستاذ الفيزياء فى كالتيك ، وهو متزوج من السيدة ديما زويل وهى تعمل طبيبة ، وتم اختياره ليكون عضواً فى المجلس الاستشارى فى جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية فى المملكة العربية السعودية .

مصادر ومراجع

الفصلين الثالث الرابع

أولا : المصادر

١ - القرآن الكريم

اصبعيه - موفق الدين أبو العباس أحمد

٢ - عيون الأنباء فى طبقات الأطباء تحقيق نذار رضا .

الحياة - بيروت - لبنان سنة ١٩٦٥م

ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن الحسن ت (٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

٣ - المقدمة :

دار القلم - بيروت - بنان - ط ٥ ١٩٨٤م

الشيرازى - محمد الحسينى .

٤ - من التمدن الاسلامى :

دار الصادق - بيروت - لبنان ط (١) سنة ١٩٧٧م .

ابن العبرى - غر عريوس الملطى ت ٧٨٥هـ / ١٢٨٦م .

٥ - تاريخ مختصر الدول :

الكاثولوكية - بيروت - لبنان ط(٢) ١٩٥٨م.

القفطى - جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى .

٦ - أخبار العلماء بأخبار الحكماء :

القاهرة - مطبعة الخانجى سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ابن قيم الجوزية : شمس الدين أبى عبدالله م-مد بن أبى بكر : ت : ٧٥١هـ/١٣٥٠م .

٧ – الطب النبوى :

دار نور الإسلام .

ابن الطقطقى : محمد بن على بن طباطبا ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م.

٨ – الفخرى فى الآداب السلطانية :

مطبعة محمد على صبيح – القاهرة .

ابن كثير – الحافظ اسماعيل ت ٧٧٤ هـ / ١٣٨٢م .

٩ – الفصول فى سيرة الرسول :

مكتبة الفيصلية – مكة المكرمة .

المقريزى–تقى الدين أبى العباس أحمد بن على ت (٨٤٥هـ/١٤٤١م).

تحقيق محمد مصطفى زيادة ط (١) سنة ١٩٥٨م .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة – القاهرة .

١٠ – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار :

مكتبة الثقافة الدينية ١٩٨٧م .

النديم – أبى الفرج محمد بن أبى يعقوب اسحاق ت ٣٨٠هـ/ ١٩٩٠ م الفهرست .

ضبطه د/يوسف على طويل ، وضع فهارسه أحمد شمس الدين

دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

ثانياً المراجـــع

دكتور / ابراهيم أحمد العدوى

١ – تاريخ العالم الإسلامى

مكتبة الانجلو المصرية – سينة ١٩٨٣م .

دكتور / ابراهيم قويدر .

٢ – فقدان المواهب لصالح بلدان أخرى

وقف هجرة العقول العربية – الموسوعة العربية شبكة المعلومات
www·google com

فضيلة الشيخ / أحمد حسن الباقورى
ويسألونك عن ذى القرنين
٣ – دار الشعب ١٩٧٢م
جاك – ريسلر
٤ – الحضارة العربية
ترجمة غنيم عبدون – مراجعة . د/ أحمد فؤاد الأهوانى الدار المصرية للتأليف والترجمة .
د/ حسن إبراهيم حسن
٥ – تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى
مكتبة النهضة المصرية ط (٧) سنة ١٩٦٤م
خوليو – فالديوم .
٦ – الوباء الأسود فى عالم القرن الرابع عشر
ابن خلدون – البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر – قيام وسقوط امبراطوريات – نشر مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٧م
دكتور / راغب السرجانى
٧ – العلم وبناء الأمم
مؤسسة إقرأ سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م
زيغرد – هونكة .
٨ – شمس العرب تسطع على الغرب .
نقله من الألمانية – فاروق بيضون د/كمال دسوقى
مراجعة – ماردن عيسى الخورى
المكتب التجارى للطباعة والنشر .

دكتورة / زينب عصمت راشد

٩ – تاريخ أوربا الحديث

دار الفكر العربى – القاهرة .

س . الفايز ، و ف . جيرون

١٠ – قيام وسقوط إمبراطورية

ابن خلدون – البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر – نشر مكتبة الاسكندرية .

دكتور / سعيد مغاورى .

١١ – أبرز مجموعات وثائق البرديات العربية فى العالم

بحث فى الندوة العالمية للمخطوطات – القاهرة ٥/٢٨-٥/٣٠/١٩٩٦م سماح سامى .

١٢ – مختصر القانون فى الطب (ابن سينا)

الهيئة المصرية العامة للكتاب

دكتور سمير عرابى .

١٣ – علوم الطب والجراحة عند علماء المسلمين

دار الكتاب الحديث

دكتور / السيد عبد الرازق الحسينى

١٤ – العراق قديماً وحديثاً

مطبعة الفرقان – صيدا – بيروت ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م .

شاخت وبوزورت

١٥ – تراث الإسلام (القسم الثالث)

ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقى العمد

مراجعة / فؤاد زكريا .

المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت

دكتور / طه عبد العزيز الخطيب

١٦ - السياسة الداخلية والخارجية للدولة العباسية

من سنة ٦٢٢ - ٦٤٠ هـ رسالة ماجستير

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

دكتور على محمد عبد الوهاب .

١٧ - بين الاسلام والغرب

دار ركابى للنشر سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م

ل - سيديو

١٨ - تاريخ العرب العام ٦

نقله إلى العربية - عادل زعير

مطبعة عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٦٩م .

دكتور / محمد حمزة اسماعيل

١٩ - السلطان المنصور قلاوون

مكتبة مدبولى - القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

دكتور محمد كامل حسين (بالإشتراك)

٢٠ - الموجز فى تاريخ الطب ، والصيدلة عند العرب

إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

القاهرة - طبع على نفقة الحكومة الليبية

دكتور مصطفى عبد المجيد

٢١ - بحث فى الحضارة الاسلامية

كلية اللغة العربية القاهرة - ١٩٧٥

منير البعلبكى .

٢٢ - المورد - (قاموس إنجليزى - عربى)

ميرڤي - كومير .

٢٣ – الخرائط فى أواخر العصور الوسطى
ترجمة حامد الطحاوى
ابن خلدون / البحر المتوسط – فى القرن الرابع عشر – نشر – مكتبة الاسكندرية المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية الجزء الثانى
ذو القعدة ١٣٩٧هـ /اكتوبر ١٩٧٧م
القاهرة – الهيئة العا لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
وائل الإبراشى .
٢٥ – حلم ى الهجرة إلى إسرائيل – (بانامج الحقيقة)
قناة دريم (١١) الفضائية .
٢٦ – شبكة المعلومات
الموسوعة العربية www·google · co

فهرس الموضوعات